


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1-الحاج لخضر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

واقع الأفارقة في الإدارة الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد "دراسة في المنافذ والتأثيرات"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه LMD في التاريخ
تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم

إعداد الطالبة: إشراف الدكتور :
صونية شلالي بلقاسم شعلال

الأستاذ	الدرجة	الصفة	الجامعة
بعيطيش عبد الحميد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة باتنة1
شعلال بلقاسم	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة باتنة1
سعيدي سليم	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة باتنة1
خالد محفوظ	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة سطيف2
خاشة السعيد	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة سطيف2

السنة الجامعية: 2024-2025





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1-الحاج لخضر
قسم التاريخ والآثار

واقع الأفارقة في الإدارة الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد "دراسة في المنافذ والتأثيرات"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه LMD في التاريخ

تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم

إعداد الطالبة:
صونية شلالي

إشراف الدكتور :
بلقاسم شعلال

السنة الجامعية: 2024-2025

شكر وتقدير

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، اللهم إنا نحمدك حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، نشكره تعالى أن وفقنا لإنهاء هذا العمل المتواضع، وأن يسر لنا السبل وهون علينا مصاعب البحث، كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر إلى الأستاذ المؤطر للعمل على توجيهاته.

نشكر كل الأساتذة الذين قدموا لنا يد العون: الأستاذ الدكتور خالد محفوظ، الأستاذ الدكتور خاشا السعيد، الأستاذ الدكتور زهير بخوش، الأستاذ الدكتور محمد العربي عقون، ونشكر كل من كان له فضل علينا بنصائحه.

كما لا يفوتنا أن نقدم جزيل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة على قبولها قراءة الموضوع وتقديمها للملاحظات القيمة و البناءة.

إهداء

إلى روح أستاذنا أونيس ميلود الذي كان ملهمنا في مواصلة درب العلم، نهدي هذا العمل المتواضع

إلى من كان لهما علينا الفضل وكانا جسرا لنا إلى النجاح ومواجهة الصعاب التي ما كنا لنتخطاها إلا بوقفتهما والدي العزيزين.

إلى إخوتي وأصدقاء دربي حكيمة، نبيل، نبيلة، آسيا وابنها الصغير فراس.

إلى كل أقربائي، وصديقاتي في مقرأة حماة ورش الجزائرية، وعلى رأسهم شيخنا عماد الدين بوحوفاني.

قائمة المختصرات:

1. A. N. A : L'Afrique du Nord antique.
2. A.A : Antiquites Africaines.
3. AE : Année Epigraphique.
4. CIL : Corpus inscriptionum Latinarum.
5. D. H. A : Dialogues d'histoire ancienne.
6. E. B : Encyclopédie berbère.
7. E. P. H. E : L'Ecole pratique des hautes études.
8. IAM : Inscriptions Antiques du Maroc.
9. ILA : Inscriptions Latines de l'Algérie.
10. M. A. H : Mélanges d'archeologie et d'histoire.
11. M. F. R : Melanges de l'école Française de Rome.
12. M. I. F : Mémoires de l'Institutnational de France.
13. M. I. N. F : Mémoires de L'Institut National de France.
14. V. L : Vita Latina.

مقدمة

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب القديم بعد احتلال قرطاج من قبل الرومان سنة 146 ق.م توسع هذا الأخير، عبر مراحل وسيطرته على أجهزة القضاء والحكم والإدارة، مسنا بذلك قوانين يحكم بها سكان المنطقة اختلفت من مجال إلى آخر، فارضا ديانته وثقافته وسياسته معتمدا أساليب ومناهج تنوعت باختلاف الحكام والأباطرة، واستثمر في العنصر المحلي لفرض سيطرته، تقوية شوكته وتحقيق أطماعه ومبتغاه، الذي تمثل في استغلال ثروات البلاد والتنعم بخيراتها، ولم يقتصر على ذلك وإنما تعداها إلى نشر أفكاره، معتقداته ولغته، في المقابل سعى لإلغاء معالم ومقومات الحضارة في إفريقيا ورومنة سكانها، فراح يعمل على إنشاء طبقة موالية له عمل على تكريسها لخدمة مصالحه وتحقيق أهدافه، هذه الفئة التي رغم الامتيازات التي حصلت عليها من ترقيات ومنح للوظائف، إلا أنها لا تزال في نظرهم تشكل ذلك الإفريقي القاصر حضاريا، ومن جهة أخرى كان يعد ورقة رابحة في يد الاحتلال الروماني، بدأ في استمالته منذ عهد يوليوس قيصر أين تجلت بوادر سياسة رومنة مقاطعة إفريقيا، لتظهر جليا خلال القرن الثاني ميلادي، ثم برزت وتطورت أكثر مع بداية القرن الثالث خاصة مع فترة حكم الأباطرة السيفيريين، حيث شهدت مختلف المجالات سيطرة العنصر الإفريقي وتراجع جد ملحوظ للرومان، يعكسه وصول الأفارقة إلى هرم السلطة الرومانية معتبرين بني جلدتهم أحق بالمناصب والأولى بالتسيير، مما ساعد في تغيير الأوضاع بشمال إفريقيا خاصة خلال القرنين الثالث والرابع الذي حددناهما كإطار زماني للدراسة، كون الأفارقة قد تناقلوا فرص الإدارة والتسيير طيلة هذه الفترة جيلا بعد جيل، بعدما أحكموا السيطرة في المنطقة وأصبح لهم نفوذ بفضل ثرواتهم وأملاكهم العقارية التي امتلكوها و امتدت على أجزاء واسعة من بلاد المغرب، وعلى هذا الأساس عنونّا موضوع بحثنا بـ: واقع الأفارقة في الإدارة الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد "دراسة في المنافذ والتأثيرات"، ربما يتساءل القارئ عن مصطلح المنافذ في دراستنا، إذ يمكننا الإشارة إلى أننا بعد قراءاتنا المسبقة في زوايا وحيثيات الموضوع، توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الأفارقة لم يكن الطريق أمامهم سهلا ومفتوحا للارتقاء في الوظائف وكسب مكانة اجتماعية مرموقة في أوساط المجتمع الروماني، وإنما كان مرهونا بشروط أقل ما يقال عنها أنها مجحفة أثقلت كاهلهم، فكان هذا التميز والبروز بمثابة النفاذ على صعوبات و معيقات عدة، فخصصنا بلاد المغرب القديم كمنطقة ممتدة من غرب نهر النيل إلى المحيط الأطلسي كإطار مكاني لموضوع بحثنا، نظرا لعدة اعتبارات حالت بيننا وبين الاكتفاء بدراسة منطقة دون سواها من بلاد المغرب القديم يمكننا سردها فيما يأتي:

- يعتبر البحث في الشخصيات الإفريقية المحلية الأصل من الأمور الشائكة نظرا للتداخل الذي طرأ على الألقاب والكنى، إضافة إلى كون موضوعنا يسلط الضوء على المنافذ العسكرية والاقتصادية والثقافية كجزئية من البحث، والعثور على شخصيات ارتقت عبر هذه

المنافذ الثلاثة في مقاطعة أو إقليم معين صعبة المنال، لقلة المصادر التي كتبت أو أشارت إلى السبل التي اتبعها معظم الافارقة للارتقاء في الوظائف، إضافة إلى طمس[1] بعض الأصول للشخصيات المحلية من قبل المؤرخين الأجانب وكذا المصادر الأدبية التي عاصرت الفترة الزمنية المدروسة، كما أن المصادر الإبيغرافية في معظم الأحيان لا تذكر المسار الوظيفي لهذه الشخصيات وسبلها إلى المناصب المختلفة.

أهمية الموضوع:

- اعتبار أن هذه الفئة استطاعت إلى حد ما قلب الموازين لصالح بلاد المغرب، في ظل احتلال بسط كامل قوته على المنطقة وأحكم قبضته على سكانها تسييرا وحكما.

- حسن استغلال الأفارقة للظروف السائدة من أجل التغلغل والدخول في العالم السياسي الروماني، عبر منافذ عدة واجه فيها مختلف الصعاب للقيام بإفريقيا لمصاف ولاية ايطاليا.

- الجهود التي بذلها الإفريقي في ظل الأوضاع الاستعمارية للبروز في مجالات مختلفة، وتراجع نسبة الرومان في السلك الإداري الوظيفي ثم التقهقر الذي بدأ يمس كيانهم ويضعفهم في المنطقة.

الدوافع:

- محاولة تسليط الضوء على النخبة الإفريقية وإبراز جهودها ودورها في النهوض بإفريقيا، التي أصبحت وريد روما الاقتصادي خاصة خلال أزمة القرن الثالث، والتي لم تلقى حظا وافرا من الدراسة من قبل المؤرخين، كما أن المصادر التاريخية القديمة التي كتبت بوجهة نظر استعمارية حاولت الحديث عن هذه الفئة فيما يخدم مصالحها لا غير.

- محاولة دحض وتفنيد الفكرة القائلة بترومن هؤلاء الأفارقة، لخدمة مصالح روما لا أكثر ولا أقل، من خلال التطرق إلى ذكر أبرز الأعمال التي قدمها هؤلاء في سبيل خدمة وطنهم.

- محاولة الاستدلال بنماذج لشخصيات كان لها الفضل في الازدهار الذي شهدته بلاد المغرب، في وقت كانت روما قد شهدت فيه أزمة دفعت بها إلى التراجع والانحطاط خلال القرن الثالث، ورد الاعتبار الذي سلبه منهم المؤرخين الأجانب الذين كتبوا التاريخ لإحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية، مستعينين في دراستنا ببعض النماذج في انتظار دراسات مستقبلية للبحث أكثر عن هذه الشخصيات، التي كان لها الأثر في التغييرات التي طرأت على إفريقيا وخدمتها التي انعكست في تطورها في شتى المجالات.

الإشكالية:

تسعى هذه الدراسة إلى إظهار واقع النخبة الإفريقية في الإدارة والتسيير، أثناء الاحتلال الروماني، وإبراز أهم الطرق التي كانت سبيلا إلى الارتقاء الاجتماعي والحصول

[1] - طمس: حاولنا استعمال هذا المرادف لأنه في اللغة العربية يعني (أخفى)، ونحاول هنا الإشارة إلى تعمد بعض المؤرخين الأجانب أمثال كانيا (Cagnat)، بوسويلولد (Boeswillwald) و بالو (Ballu) تجنب الخوض في الحديث عن أصول بعض الشخصيات الإفريقية وحتى نسبها إلى شعوب أخرى، رغم إشارته بأنه سيتحدث عنها ولنا مثال في الصفحة 149.

على الوظائف والترقية في المناصب، بعدها نحاول رصد أهم التأثيرات التي نتجت عن ارتقاء هذا الإفريقي في سلم التوظيف بالعالم الروماني في جميع المجالات، من خلال الاستدلال بأهم الانجازات التي حققوها سواء في إفريقيا أو في مقاطعات رومانية أخرى، نظرا لأن بروزهم لم يقتصر على إفريقيا، وإنما عرفت شخصيات عدة ذاع صيتها في كامل أرجاء الإمبراطورية، بغض النظر عن هؤلاء الذين أصبحوا أباطرة لها، إلا أن معظم الدراسات التاريخية لم تخض في الحديث عن أصول أغلبيتهم، مما يستدعي البحث في ألقاب وكنى بعض الشخصيات التي عثر على نقائش لها في بلاد المغرب أو خارجها، ومحاولة تتبع سيرها ومساراتها الوظيفية استنادا إلى ما كتب عنها في بعض المراجع الأجنبية خصوصا، ثم تدرج في المنفذ الذي تمكنت عن طريقه من الولوج في العالم السياسي الروماني، كما لا بد من الإشارة إلى عدم انصاف الدراسات الغربية أثناء الكتابة عن هذه الفئة، حيث تناولتها بانحياز وعنصرية جد واضحة في مؤلفاتهم، بمحاولة إظهار الجانب السلبي وإخفاء الجانب الإيجابي لها و إلباس كل ما تقوم به من أعمال لها أثر بثوب السلام الروماني في المنطقة، وعلى هذا الأساس نطرح الاشكالية الآتية:

الأفارقة بين تحديات النفاذ إلى الهرم الإداري الروماني ومدى تأثيرهم في إفريقيا.

تتفرع عن الإشكالية أسئلة فرعية وهي كالآتي:

في ظل السياسات التي فرضتها روما لرومنة المجتمع الإفريقي ماهي المناهج التي سطرتها لإنجاح مخططاتها في المنطقة، مُواجهة في ذلك مجتمع له سياسته الخاصة، منفردا بعاداته وتقاليده ومتعصبا لمعتقداته؟

من بين السياسات التي انتهجتها روما على إفريقيا تمدين أجزاء واسعة من المقاطعة ومنح المواطنة الرومانية لسكانها، فكيف طبقتها؟ وكيف كانت ردة فعل الأفارقة منها؟ وما مدى نجاحها في شمال إفريقيا؟

اعتبرت العديد من الدراسات التاريخية سياسة منح الوظائف والترقيات الاجتماعية للأفارقة كرما من روما، فهل كانت هذه الوظائف حقيقة موضوعة على طبق من ذهب أم أنها مرهونة بمقابل يدفعه الإفريقي للحصول عليها؟ وفيما تمثلت هذه الوظائف؟ وهل اقتصرت على جانب معين أم اختلفت مجالاتها؟

عمد الأباطرة الرومان لتجديد سياسة الترقيات الاجتماعية من حين لآخر لإنجاح مشروع رومنة شمال إفريقيا، فما هي السياسة التي اعتمدوها خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد؟

تعددت طرق الدخول إلى عالم الادارة الرومانية واختلفت من شخص إلى آخر فما هي أهم المنافذ التي اتخذها الأفارقة سبيلا لهم إلى ذلك؟ وهل حقا عرفت شخصيات محلية كان لها الحظوة في تحقيق طموحاتها؟ وإذا حُققت هذه الطموحات فهل اقتصرت على طموحات شخصية؟ وإذا كان الأمر كذلك فبماذا نفسر سر الازدهار الذي شهدته مقاطعة إفريقيا طيلة

القرن الثالث والرابع؟ وكيف نفسر عدم تضررها من أزمة القرن الثالث التي اشتد لهيبها في كامل أرجاء الإمبراطورية وتأزم الأوضاع فيها؟ وبماذا نفسر جعل شمال إفريقيا متمورة روما وسلة خبزها كما وصفها بعض المؤرخين؟ ألا يمكن ربط هذا الازدهار والتطور في إفريقيا بمدى تزايد العنصر الإفريقي في تولي زمام الحكم بإفريقيا؟ والذي توج منذ بداية القرن الثالث بحكم العائلة السسيفيرية للإمبراطورية الرومانية، ووصول شخصيات عديدة بعدها للحكم أمثال الغورديانيين.

خطة البحث

للبحث في الموضوع وللإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة وللغوص أكثر في أهم حيثياته ودراسته من كافة الجوانب اعتمدنا خطة مقسمة إلى ثلاث فصول:

بداية بمقدمة للموضوع ثم الفصل الأول تحدثنا فيه عن سياسة روما التي اعتمدتها لرومنة مجتمع شمال إفريقيا، إذ تطرقنا لدراسة السياسة التمدينية ومنح المواطنة الرومانية، التي ركزت فيها روما على مبدأين أساسين، الأول تأسيس البلديات والثاني تطوير المدن، بعدها انتقلنا لشرح سياسة توظيف الأفارقة ومنحهم المناصب، حيث بينا فيها كل من الوظائف العسكرية، الإدارية والقضائية، السياسية والدينية، والتي واجهنا فيها إشكالية تداخل المهام والوظائف فيما بينها وصعوبة تصنيف هذه الأخيرة، لنعرّج إلى سياسة ترقية الأفراد والمدن، أبرزنا فيها بدايات الترقيات الاجتماعية التي كانت في أولها تخص الأفراد بعدها أصبحت ترقيات جماعية عن طريق منح المواطنة الرومانية لمدن بأكملها، وختمنا الفصل بالإشارة إلى أن بروز الأفارقة في الإدارة الرومانية لم يكن وليد القرنين الثالث والرابع وإنما كانت له بدايات تعود إلى القرنين الأول والثاني للميلاد مدعمين ذلك ببعض النماذج.

الفصل الثاني بعنوان منافذ الأفارقة للارتقاء في الإدارة الرومانية؛ حاولنا من خلاله إظهار أبرز السبل التي اتبعها السكان المحليين للتغلغل في أوساط المجتمع الروماني، والمشاركة في إدارة وتسيير إفريقيا وغيرها من المقاطعات ومن بينها المنفذ العسكري، الذي يعتمد بالدرجة الأولى على التجنيد في صفوف الجيش الروماني وبعدها الحصول على رتب عليا في الجيش وتولي وظائف إدارية، إضافة إلى المنفذ الاقتصادي المرتكز على الزراعة، التجارة، الصناعة والحرف، كمصادر أساسية لجمع الثروة التي تمكنه من الدخول في المجالس البلدية وممارسة مهام إدارية مختلفة، أخيرا المنفذ الثقافي حيث وضحنا فيه كيف كان الجانب العلمي سبيلا للإفريقي إلى مناصب إدارية، دعمنا كل هذه المنافذ بنماذج لشخصيات وعائلات اختلفت طرقها للولوج إلى عالم السياسة الروماني.

الفصل الثالث خصصناه لدراسة أهم التأثيرات التي نتجت عن نفاذ هؤلاء الأفارقة في الإدارة الرومانية سواء على روما أو إفريقيا، إذ كان لهم تأثيرات سياسية تجلت في أهم الانجازات التي قدمت في الجانب السياسي، أشرنا أيضا إلى التأثيرات التي كانت على المستوى الاقتصادي دعمناه ببعض المنشآت واالإصلاحات التي كثيرا ما كان مصدرها

المالي مقدم من قبل الأفارقة، وهو الأمر ذاته على الصعيد الاجتماعي وما أحدثته تلك النخبة الإفريقية لتحسين الأوضاع الاجتماعية، كما كانت لهم بصمة على الجانب الثقافي وقد حاولنا الاستدلال بأهم الركائز التي كان لها دور في تطور الجانب الثقافي ودور النخب الفكرية الإفريقية في وضع بصمتها التي كان لها صدى واسع سواء في كامل أرجاء الإمبراطورية الرومانية، كما كان لا بد من الحديث على أهم التأثيرات الدينية لنختم الموضوع بخاتمة توصلنا فيها إلى أهم الاستنتاجات عن موضوع الدراسة.

مناهج البحث

لدراسة الموضوع اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، يظهر الوصفي من خلال وصفنا لبعض الوظائف الإدارية أما التحليلي فبرز من خلال تحليل بعض المعلومات الخاصة بالنماذج التي استدللنا بها في دراستنا ومحاولة تأكيد أصولها المحلية، من خلال دراسة الألقاب والكنى والاعتماد على المعلومات التي وردت لدى المؤرخين في تصنيفهم لأصولها، مدعمين ذلك بالكتابات اللاتينية القديمة كأداة من أدوات البحث التاريخي ومدى أهميتها في مثل هذه الدراسة لارتباطها ارتباطا وثيقا بالدراسات والأبحاث الأثرية.

المصادر والمراجع:

اعتمدنا في انجازنا لهذا البحث بالدرجة الأولى على المصادر المادية المتمثلة في النقيشات اللاتينية المحفوظة في مدونات النقائش باختلافها كمدونة النقائش اللاتينية (CIL)، النقائش اللاتينية الجزائرية (ILA)، والتي كانت سبيلا لنا لمعرفة السير الذاتية والمسارات المهنية للشخصيات التي استدللنا بها في دراستنا، ضف إلى ذلك أنها فتحت لنا الآفاق وزودتنا بما لم نتحصل عليه من الكتابات التاريخية حول نماذج الدراسة، أما أهم المراجع فنذكر:

Prévot Françoise, Jean-Louis Voisin, Philippe Blaudeau, Leila Najar, L'Afrique Romaine 69-439.

استخرجنا منه عدة نقاط تخص الموضوع بصفة عامة، حيث تطرق في مؤلفه لجوانب متعددة سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية ودينية، وهو ما ساعدنا لأخذ نظرة عن زوايا مختلفة لدراستنا إضافة إلى:

Hugoniot Christophe, Rome en Afrique de la chute de Carthage aux débuts de la conquête arabe.

يعد مؤلفه هو الآخر شاملا للكثير من المجالات التي ألقينا عليها الضوء في بحثنا، وتمكنا من خلاله من استخلاص أهم المعلومات، كونه قد تناول في دراسته فترة زمنية طويلة شملت الفترة التي خصصناها بالدراسة.

Bertrandy François, Demarolles Jeanne-Marie, L'Empire romain de 192 à 337 après J.-C.

مكننا هذا المؤلف من معرفة بعض الشخصيات الإفريقية التي ساهمت بتقديم الهبات في إنجاز مرافق عمومية عدة سواء أسواق أو ساحات أو طرقات أو حتى مراكز دينية، ساهمت في تطوير وازدهار مقاطعة إفريقيا.

Aounallah Samir, Pagus, Castellum, et civitas études d'épigraphie et d'histoire sur le village et la cité en afrique romaine.

ساعدنا في تقديم معلومات حول هيئة المدن خلال الفترة المدروسة.

Yanne le bohec, La vie quotidienne des soldats romains à l'apogée de l'empire 31 avant j.-c.-235 après j.-c. l'art de la guerre.

ساهمت دراسة يان لو بوهيك (Yanne le bohec) في تمكننا من فرز بعض المصطلحات المتعلقة بالجانب العسكري، كما سهلت علينا دراسة الوظائف والرتب العسكرية.

Lassèr Jeane Marie, Manuel d'épigraphie romaine.

استقينا منه أهم المعلومات عن الوظائف الإدارية والقضائية، حيث تناولها بالتفصيل ودرسها من مختلف الجوانب، كون هذه الوظائف هي الأخرى فيها تداخل سواء من ناحية المصطلحات التي تطلق عليها، أو من ناحية توزيع المهام التي تكون تارة سياسية إدارية بحتة وتارة عسكرية أو سياسية عسكرية في آن واحد، وهو ما صعب علينا مهمة تصنيفها التي ربما وفقنا إلى حد ما من تجاوزها.

Monceaux (P.), Les Africains étude sur la littérature latine d'afrique : les païens.

ساعدنا في التعرف على المزيد من الأفارقة الذين كان لهم صدى واسع في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، بإحياهم للأدب اللاتيني الذي شهد ركودا لمدة طويلة، وكيف كانت حياتهم الفكرية سبيلا لهم إلى الوظائف الإدارية والرقي الاجتماعي، وقد سهل علينا مهمة معرفة أصول تلك الشخصيات دون العودة تقريبا إلى دراسة ألقابهم وكناهم.

Monceaux (P.), Histoire littéraire de l'afrique chrétienne depuis les origines jusqu' a l'invasion arabe.

تحصلنا منه على بعض الشخصيات المحلية الإفريقية التي ساهمت في البعث الأدبي المسيحي وأهم توجهاتها، ضف إلى ذلك أنه تحدث عن شهرتهم التي فتحت لهم الطريق للمناصب، وكانت سبيلا لاستدعائهم من قبل الأباطرة للعمل في البلاط الإمبراطوري.

تجدر بنا الإشارة إلى الحديث عن الدوريات التي كانت بمثابة طريق مختصرة لنا لدراسة الموضوع، نظرا لتناولها للكثير من المواضيع باختصار واجتنابها للإسهاب في سرد الأحداث والتفاصيل، مع اقتصارها على أهم المعلومات باعتمادها في معظم الأحيان على الاكتشافات الأثرية، وخاصة المقالات الحديثة التي أضافت إلى عدة مواضيع نقاط لم تكن من قبل، بفضل ما تم اكتشافه من قبل علماء الآثار خاصة والمهتمين بدراسة التاريخ القديم عموما، حيث سلطت الضوء على الكثير من الزوايا والنقاط المبهمة التي بقيت محل استفهام من قبل المؤرخين، كما مكنتنا من إزالة الغموض على بعض العناصر الشائكة التي واجهتنا فيها صعوبات أثناء البحث.

الصعوبات:

يواجه كل باحث بطبيعة الحال أثناء بحثه في أي موضوع مجموعة من الصعوبات والعراقيل التي إما تحول بينه وبين الوصول إلى كل حيثيات الموضوع، أو تكون سببا في

تأخره في انهاء البحث في معظم الأحيان، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا نذكر:

صعوبة الحصول على بعض المراجع الأجنبية الفرنسية على وجه الخصوص، كونها السباقة في البحث في تاريخ شمال إفريقيا، بحكم قلة توفرها في المكتبات الجزائرية.

نظرا لأن الموضوع يتناول النخب المحلية وتأثيراتها على إفريقيا والإمبراطورية على السواء، وبما أن الموضوع جديد على التأليف باللغة العربية وعلى القلم المحلي الإفريقي، إذ ما تم دراسته من قبل حول النخب تناول النخب بصفة عامة دون تحديد المحلية من النخب ذات الأصول الرومانية، لذا واجهنا صعوبة في إيجاد مثل هذه النخب كنماذج لدراستنا، كما أن الكتابات الغربية لم تنصف هذه الفئة وحاولت في معظم الأحيان إخفاء هويتها واجتناب الحديث عن أصولها، وقد لاحظنا في بعض المؤلفات تفادي المؤلف التطرق إلى أصول بعض المحليين الذين كانت لهم إنجازات مهمة، إما بالإشارة إلى تناولها لاحقا _وبتتبع قراءة مؤلفه تتفاجأ بعدم التطرق لها_، أو أنه إذا تبين أن اللقب على سبيل المثال يدلي بأصوله الإفريقية، فإنه يتفادى دراسته ويبحث في كنيته التي قد تكون أجنبية عن شمال إفريقيا وبذلك يحاول تضبيع القارئ، أما إذا لم يجد سبيلا إلى إخفاء أصوله المحلية فإنه يلجأ إلى احتقار عمله المنجز واعتباره عملا رديئا لا يضيف إلى الحضارة شيئا، أو ينسب الفضل للرومان في كل ما أنجزه الأفارقة.

تعد عملية البحث في الألقاب والكنى المحلية أمرا ليس بالهين، وذلك لأسباب عدة منها أن الإفريقي لم يكتفي بأخذه للألقاب والكنى المحلية، وإنما اضطر في بعض الأحيان إلى تبني كنى وألقاب رومانية دخيلة، كانت تفرض عليه أحيانا نظرا لكونه قد سكن بلدية أو مدينة تم ترقيتها أو حصلت على المواطنة الرومانية الجماعية في عهد إمبراطور أو حاكم ما، فيأخذ كامل سكانها لقب أو كنية ذلك الإمبراطور أو الحاكم الذي رقاها، وبذلك تنتقل الكنية حتى إلى أبناءه وأحفاده، ومنه لم يعد من السهل التفريق بين الروماني وذوي الأصول الإفريقية خلال القرنين الثالث والرابع، كما أن بعض الألقاب أو الكنى إذا نظرنا في تعريفها فإننا نجدها دخيلة على إفريقيا، إلا أنها شهدت انتشارا كبيرا وبنسب مرتفعة في مقاطعة إفريقيا مقارنة بإيطاليا وروما، الأمر الذي استدعى منا الحذر التام في اختيار نماذج للدراسة، وبهذا لا يمكن القول أن الموضوع قد أخذ حقه من البحث، وإنما لا تزال هناك إشكاليات لا بد من دراستها بترك الباب مفتوحا للدراسات المستقبلية، التي نرجو أن تكون بأقلام محلية موضوعية ونزيهة في الطرح.

سطيف في 19-08-2024

الفصل الأول

سياسة الرومنة في شمال إفريقيا

الفصل الأول: سياسة الرومنة في شمال إفريقيا.

المبحث الأول: السياسة التمدينية ومنح المواطنة الرومانية.

المطلب الأول: تأسيس البلديات.

المطلب الثاني: تطوير المدن.

1- هيئة المدن:

1-1 القلعة (Castella):

2-1 قطاعات إقليمية (Pagi):

3-1 مركز ريفي (Vicus):

4-1 المدينة (Civitas):

1-4-1 المستعمرات الرومانية (Coloniae):

2-4-1 البلديات الرومانية (Municipes):

3-4-1 البلديات اللاتينية (Municipes latin)

4-4-1 البلديات الأجنبية (Municipes peregrinus)

المبحث الثاني: سياسة منح الوظائف والمناصب.

المطلب الأول: الوظائف العسكرية.

1- حاكم برتبة قاضي (Praefectus praetorio):

2- قائد سرية (Legatus):

1-2 قائد الجيش القنصلي (Legatus militaris consularis):

2-2 قائد الجيش البرايتوري (Legatus militaris praetoree):

3-2 قائد الفيلق (Legatus legionis):

3- الوكيل (Procurator):

المطلب الثاني: الوظائف الإدارية والقضائية.

1- الوظائف:

1-1 الماجيسترا (Magistrats):

1-1-1 الماجيسترا السفلى (Magistrats inferior):

أ- مسؤول الشؤون المالية (Quaestor):

1- اثنين كواستور أغسطيين (Quaestores augusti) :

2- أربع كواستور قناصلة (Quaestores consulum):

3- اثنين كواستور حضريين (Quaestores urbani ou urbis):

4- اثنين كواستور أمناء الصندوق أو الخزينة (Quaestores aerarii):

5- العشر أو الاثنا عشر كواستور قضاة مدنيين .Quaestores pro praetore) (Q. PR. PR)

ب- أعضاء مجلس المدينة (Aedilis):

1-1- 2 الماجيسترا العليا (Magistrats superior):
أ- القاضي (Praetor):
1 - قاضي حضري (Praetor urbianus):
2 - قاضي أجنبي (Praetor peregrinus):
3 – قاضي المالية (Praetor Fiscalis):
1-3 قائد قاضي المقاطعة (Légatus pro praetor prouinciae, (LEG.PR.PR.PROV) :
2-3 حاكم برتبة قاضي Proconsul uir praetorius:
3-3 قائد أغسطي برتبة قاضي (Legatus augusti pro praetor (uir praetorius) (LEG.AVG.PR.PR):
ب- القنصل الشوفيط (Consul suffect):
ج- مسؤول بلدي ثنائي (Duumvirs):
2- الهيئات والهياكل الإدارية:
1-2 المجلس البلدي (Decuriun):
2-2 الجمعية الشعبية (Curiae):
المطلب الثالث: الوظائف السياسية.
1- الإمبراطور:
2- مجلس الشيوخ (Senatus):
3- الفرسان (Equestre):
3- 1 وكيل (Procurator):
3- 2 وكيل الفروسية (Procurator equestre):
المطلب الرابع: الوظائف الدينية.
1- الراهب الأكبر (Pontifex):
2- عراف (Augur):
3- الكاهن (Flamen):
4- الكهنوت (Sacerdos):
المبحث الثالث: سياسة ترقية الأفراد والمدن.
المطلب الأول: الترقيات الفردية.
المطلب الثاني: الترقيات الجماعية.
المبحث الرابع: النخبة الإفريقية المحلية خلال القرن الأول والثاني "دراسة نماذج".
المطلب الأول: نماذج من القرن الأول.
1- كوينتوس أورليوس باكتيميوس فرونتو (Quintus aurelius pactumeius fronto):
2- كوينتوس أوريليوس باكتيميوس كليمنس (Q. Aurelius Pactumeius Clemens):

المطلب الثاني: نماذج من القرن الثانـي.

1- أنطونيا ساتورنينا (Antonia saturnina):

2- كايوس أريوس أنطونينوس (C. arrius antoninus):

3- كوينتوس لوليوس أوربيكوس (Quintus lollius urbicus):

4- ل. أوكتافيوس كورنليوس سالفيوس يوليانوس أميليانوس (L. octavius cornelius salvius iulianus aemilianus):

5- كوينتوس أنتيستيوس أدفنتيوس بوستيميوس أكويلينوس (Quintus antistius adventus postumius aquilinus):

6- بوبليوس باكتيميوس كليمنس (Publius pactumeius clemens):

7- لوكيوس أنتيستيوس أدفنتيوس بوستيميوس أكويلينيوس بيروس: (Lucius antistius adventius postimius aquilinius burrus):

8- لوريوس روقاتوس (Lurius rogatus):

9- ماركوس سولبيكيوس فليكس (Marcus sulpicius felix):

الفصل الأول: سياسة الرومنة في شمال إفريقيا

المبحث الأول: السياسة التمدينية ومنح المواطنة الرومانية:

تطرق مارسال بن عبو (Marcel Benabou) إلى ذكر بعض الحقائق المعروفة حول دور المدن في عملية الرومنة، وأشار إلى أنه نظرا لكون المدينة الخلية الأساسية للنظام الروماني سياسيا واقتصاديا أو دينيا، فهي بالطبع من خلال الاعتماد على شبكة حضرية مكثفة، ستضمن روما هيمنتها في مقاطعاتها الإفريقية، إلا أن الشبكة الحضرية لإفريقيا خلال الاحتلال الروماني ليست من صنع روما الخالص، بل كانت نتيجة عمليتين متميزتين للغاية؛ الأولى تتمثل في إنشاء مجتمعات رومانية عن طريق غرس مجموعة من المستعمرين في موقع معين، أما الثانية فتتمثل في تحويل المجتمعات الأصلية القديمة إلى مدن بموجب القانون الروماني، عندما يجعل تطورها الداخلي ذلك ممكنا أو مرغوبا فيه أو ضروريا، سواء في نظر سكانها أو في نظر الإدارة الإمبراطورية، ورأى بن عبو (Benabou) أن العملية الثانية المرتبطة بالتطور الداخلي لكل مجتمع، لا يمكن أن تتقدم إلا ببطء معين، ويفسر هذا البطء أحيانا بارتباط هذا المجتمع أو ذاك بتقاليده أو مؤسساته، وأحيانا أخرى بالإرادة المتعمدة للإمبراطورية لتجنب التكاثر السريع جدا للمدن ذات المكانة المتميزة في أوقات معينة.[1]

عملت روما بعد إنشاءها للمقاطعات المختلفة على منح مكانة المدينة للمجتمعات المحلية التي تعتبر قادرة على أداء هذا الدور، إذ يتطلب ذلك تنظيما مستقرا وقدرة على ضمان عمل المؤسسات الإدارية والقضائية، وكان الأمر يستغرق عملية طويلة للحصول على ترقية إلى رتبة مدينة ويعتبر أمرا صعبا لكن ممكن بمجرد أن تتيقن الإدارة أن المجتمع أصبح قادرا على تولي هذه الوظائف[2]، وتعترف الترقيات بالازدهار والرومنة إذ يربط القانون بين الاقتصاد والثقافة، حيث أن التغييرات البلدية تكافئ بالتالي المراحل الطويلة من النمو الاقتصادي والرومنة[3]، إذ كانت المدينة كما أشارت المصادر الأثرية شبيهة بالجمهورية، ودليل ذلك التسمية التي أطلقت عليها ريسبوبليكا (Respublica)، لما كانت تتمتع به من استقلالية في شؤون حكمها والاكتفاء بذاتها في حل كل المشاكل الخاصة بها، دون تدخل من السلطة العليا إلا إذا كانت في أمس الحاجة لذلك[4]، وبهذا فإن المدينة عبارة عن

---

[1]- Benabou Marcel, Anomalies municipales en afrique romaine, in : ktema : civilisation de l'orient, de la grèce et de rome antiques, N°6, 1981, pp. 253- 260, p- 253.

[2]- Prévot Françoise, Jean-Louis Voisin, Philippe Blaudeau, Leila Najar, L'Afrique romaine 69- 439, edition : philippe lemarchand et michèle mirroir, Atlande, 2006, p- 141.

[3]- Le Bohec Yann, De Sila a Gadiaufala : Urbanisation et municipalisation dans la numidie cirtéenne méridionale, publications de M. F.R, 1990, pp. 291- 313, p- 313.

[4]- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 86.

مجتمع بشري مستقل مستقر وبهذا فهي قادرة على الاستفادة من قوانينها الخاصة، كما يسمح هذا الامتياز حسب الإمبراطور بـ: "حق الاجتماع في مجلس، واتخاذ المراسيم والقيام بكل ما يسمح به القانون وكذلك ما يمكن القيام به بإذن منا"،[1] نظرا لأن روما كانت تترك الحرية للجمهوريات التابعة لها بما يتناسب ومصالح مواطنيها، دون المساس بسيادتها وسلطة الإمبراطور العليا[2]، إذ من مبادئ روما عند احتلالها لأي شعب فإنه يدخل تحت السيادة الرومانية (In Imperio Romanum) وليس في الدولة (In Civitate)[3]، فقد اعتبرت تلك الجمهوريات بمثابة الفرع القاعدي للدولة الرومانية، إذ أشار (Charles picard) "شارل بيكار" إلى أن الإمبراطورية وكأنها كانت عبارة عن فيدرالية جمهوريات، أو تجمع (Agrégat) لجمهوريات صغيرة تربطها ببعضها البعض روابط القانون الدولي.[4]

بدأت العديد من المدن منذ نهاية العهد الجمهوري تتمتع بالحق الروماني، خاصة مع التراجع الذي بدا واضحا على دور العنصر الروماني، فكانت البداية الأولى بسبع مدن تمتعت بالوضع الخاص للمدن الحرة في قرطاج، ثلاثة في الشمال وتتمثل في أوتيكا (Utica)، ثيوداليس (Theudalis)، و أوزاليس (Ozalis) العاليا، وأربعة على الساحل وهي حضرميتوم (Hadrumetum) سوسة حاليا، لبدة الصغرى (Leptis Minor) لمطة، ثابسوس (Thapsus) في رأس ديماس و أشولا (Acholla) هنشير بطرية.[5]

تأتي بعدها سياسة يوليوس قيصر المبنية على تأسيس مستعمرات للكولون القادمين من جميع أنحاء روما، ليخلفه أوكتافيوس أغسطس (Octavius Augustus) ويسير على نهجه، إذ منح الاستقلال الذاتي لحوالي ثلاثين مدينة إفريقية بصيغة المدينة الحرة (Civitas Libera)، يسيرها القضاة ويتمكن شيوخها من الحصول على المواطنة الرومانية آليا، وهنا يزعم (Bicard) بيكارد أنه حدث توافق بين السكان المحليين والإيطاليين الوافدين بناء على اشتراكهم في المواطنة الرومانية، ودليل ذلك التمثال الذي شيده سكان مدينة جيغتي (Gighti) في جربة خلال القرن الثاني ميلادي في الساحة العمومية لمدينتهم، لكن صحة هذا الكلام إذا كان حقيقة، يمكن تطبيقه فقط على قدماء الجند والأرستقراطية البلدية وليس على كل الطبقات الاجتماعية.[6]

يبقى للروماني الاعتبار الأول رغم تساويه مع سكان المنطقة في كل شروط المواطنة، وهذا هو جوهر القوانين الرومانية التي تخص الوضعية الاجتماعية، إذ تقوم على مبدأ الطبقية والعنصرية مع مبدأ إدماجي يسمح للمجتمعات الأجنبية المختلفة، بالارتقاء إلى المجتمع الروماني بصفة تدريجية، وتظهر أبعاد هذا المبدأ في احتواء النصوص القانونية الخاصة بمجتمعات المدن، على بنود تمكن مواطني الدرجة الدنيا من الارتقاء لأعلى

---

[1] - Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 141.

[2] - شنيتي (م. ب.)، المرجع السابق، ص 86.

[3] - شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في احداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 170.

[4] - بيكار جيلبار شارل، حضارة شمال إفريقيا (تريبوليتانيا- البروقنصلية- نوميديا- موريطانيا) خلال الفترة الرومانية، تر. محمد العربي عقون، ط1، المثقف للنشر والتوزيع، 2020، ص 19.

[5]- Mahjoubi Ammar, Ville et structures urbaines de la province romaine d'afrique, 2 édition, centre de publication universitaire, Tunis, 2011, p-38.

[6]- بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص XVII -XVIII.

الدرجات إذا توفرت فيهم الشروط، فكانت المواطنة كسلم يرتقي من خلاله السكان الخاضعين، عبر درجات صعبة متباعدة ليصبح في الأخير من المترومنين.[1]

تهدف الرومنة في المقام الأول إلى تحقيق طموحات سياسية من أجل خلق ظروف مستقرة للحكومة المحلية، مع جعل اللاتينية كلغة رسمية موجهة للنخب القبلية في الخارج وفي المناطق الحدودية للتوفيق بينها وبين السلطة الرومانية، وخلق روابط ثقافية بين الرومان ومواطني شمال إفريقيا[2]، إضافة إلى محاولة التأثير على الجانب الاجتماعي، فقبل كل شيء كانت الطبقات العليا المتعلمة من المجتمع الإقليمي هي التي خضعت لها، وكانت الطبقات الدنيا متأثرة بشكل غير مباشر وسطحي فقط بالحضارة الرومانية خاصة في المناطق الريفية، وفي المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها في موريطانيا، إذ كان بإمكان الفرد أن يلاحظ إشراقة معينة من الرومنة قادمة من المدن المكونة على الطراز الروماني[3]، في حين كان السكان المحليين الحضريين ممن تتوفر فيه شروط كالثروة والثقافة، ويعملون على الانفاق على الشؤون الخاصة بمدينتهم من أموالهم، يحصلون على المواطنة الرومانية بقرار من الامبراطور، أين كان أساس النظام البلدي الروماني يقوم على الطبقة البرجوازية الثرية، التي تمثل النخبة الاجتماعية في الحواضر، فكانت ثروتها ووجاهتها أساسا للقيام بأعباء بلدتها، على غرار ترسيخ السيادة الرومانية بالإقليم التابع لها، فكان إذن الغنى من شروط الانتقال من إطار قانوني أدنى إلى إطار أعلى.[4]

كان تشرب المقاطعات للثقافة الرومانية سارٍ جنبا إلى جنب مع عملية التحضر، التي كانت مكثفة بشكل خاص في المقاطعات الإفريقية وخاصة في البروقنصلية، فبلغت الرومنة أقصى تطور لها خلال فترة الإمبراطورية العليا وهي من الحقائق المعروفة عموما.[5]

كانت المواطنة الرومانية قبل مرسوم كركلا 212م، أمرا ليس بالهين خاصة بالنسبة للريفيين، الذين ظلوا خارج إطارها ما عدا بعض الأعيان والأمراء؛ الذين ارتبطت مصالحهم السياسية بأهداف روما الاستراتيجية في أوطانهم[6]، نظرا لأن الامتيازات التي كان يمنحها الأباطرة للحواضر لم يكن يستفيد منها أهاليها إلا نسبيا، إذ كان الترفيع يمس فقط العناصر الإيطالية والرومانية، التي كان هدفها التمتع بامتيازات القانون الروماني بهذه البلاد الأجنبية عنهم حتى تمارس حقوقها السياسية التي يضمنها القانون، كممارسة حق التصويت والترشح للمناصب السياسية والإدارية، وغيرها من الامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية[7]، وقد قامت السياسة التمدينية لروما على:

المطلب الأول: تأسيس البلديات.

---

[1] - شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق. م- /40م)، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 85.

[2]- Mattingly David, Libyans and the 'limes' : culture and society in roman tripolitania. in: A.A, 23,1987. pp. 71- 94, p- 81.

[3]- Kotula Tadeusz, Michalak M, Les africains et la domination de rom, in : D. H. A, Vol. 2, 1976, pp- 337-358, p- 342.

[4] - شنيتي (م. ب.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 175- 176.

[5]- Kotula (T.), Michalak (M.), cp. cit., p- 342.

[6] - شنيتي (م. ب.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 180- 181.

[7] - شنيتي (م. ب.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 175.

في بداية الإمبراطورية لم تكن المؤسسات البلدية هي نفسها في كل مكان لأن جميع المدن لم تكن تتمتع بالمكانة نفسها[1]، فطوال القرنين الأولين تميزت الأوضاع البلدية في شمال إفريقيا خلال الاحتلال الروماني بتنوع كبير والذي يمكن أن نفسره باستخدام المصطلحات البلدية الغنية والمتباينة بشكل خاص، مما يفسر التصادم الكثير مع التسميات المتعددة لهذه التنظيمات الاجتماعية، فنجد مثلا: اتحاد المستعمرات (كما هو سائد في كيرتا)، المستعمرة (Colonia)، البلدية (Municipal)، المدينة (Civitas)، التكتل المدني (Pagus)، مركز ريفي (Vicus)، قلعة (Castella)، تكتل ريفي (Oppidum)، مجتمع مستقل (Respublica)، ومع ذلك ليست كل هذه المصطلحات لها تعريف قانوني بنفس الدقة، الأمر الذي يستعصي على المؤرخين وهذا الإشكال ناتج عن وجود غموض في المفردات أو تناقض المصادر في نقلها[2]، حتى بعدما أصبح جميع الرجال الأحرار في الإمبراطورية مواطنين رومان وفق ما نص عليه قانون كركلا وأن جميع المدن قد اعتمدت مؤسسات رومانية، وأصبحت كل المدن رومانية بالطبع لكن بقيت هناك اختلافات بينها، وهو ما يتضح من ألقابها مدينة بسيطة (Simple Cité) أو بلدية (Municipe)، مستعمرة (Colonie) ولقب حرة (Libre) أو حصينة (Immunis)، واعتبرت هذه الاختلافات كافية لإرسال سفارات مكلفة إلى الإمبراطور للحصول على تحسين في رُتبها أو الحفاظ على حريتها وحصانتها.[3]

كان إنشاء البلديات التي تم تشكيلها على الطراز الروماني، نتيجة لجهود حثيثة من قبل الأفارقة للحصول على وضع متميز[4]، وقد جعلت روما الأساس الحضاري والسياسي، كقاعدة أساسية لمنح المواطنة الرومانية، فكلما كان للفرد حظ معتبر من التمدن كان له الفرصة للحصول على هذه الأخيرة، و ما يدل على ذلك هو أن سياسة الأباطرة الخاصة بتوسيع نظام البلديات، قد بلغ الذروة خلال القرن الثالث ميلادي، وهي الفترة ذاتها التي بلغ فيها الاحتلال الروماني أقصى توسعه، فكان لا بد كلما توسعت خريطة البلدة الرومانية، قابلها توسع في فرص الحصول على الحقوق المدنية.[5]

كان تطور الوضعية القانونية للبلدات، في المقاطعات الافريقية التابعة للإمبراطورية الرومانية، يقوم على سياسة الادماج التدريجي للمجتمعات الحضرية الخاضعة لسلطة روما، عبر مراحل متتالية من بلدة أجنبية (Peregrini)، إلى بلدة لاتينية (Latini) ثم بلدة رومانية (Romani)، تتحقق فيها كافة الشروط المساوية لمثيلاتها في كل المقاطعات سواء في الحقوق أو الواجبات، التي ينص عليها قانون المدينة أو ما يسمى الأوربس (Orbs)، حيث يقتضي الوصول لهذه الدرجة ضرورة تخلي البلدة عن دستورها الخاص، والاندماج الكلي في القانون الروماني.[6]

تعتبر حالة موريطانيا السطايفية (La Sitifienne) كونها من مدن بلاد المغرب أكثر إقناعا فقد كانت الكاستيلا (Casttella) في سهل سطيف، وهي مدن صغيرة من المجالات الإمبراطورية أصبح بعضها بلديات، أما في نوميديا فقد كانت حركة الحكم الذاتي التي

[1]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 142.
[2]- Benabou (M.), op. cit., P- 254.
[3]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 147.
[4]- Kotula (T.), Michalak (M.), cp. cit., p- 343.
[5] - شنيتي (م. ب.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص 173- 174.
[6] - شنيتي (م. ب.)، الجزائر في ظل الاحتلال...، المرجع السابق، ص 87.

عرفت القرى الصغيرة المعتمدة على المدن الكبيرة قد أثرت على الاتحاد الكيرتي القديم بين 253- 268م، حيث حصلت المستعمرات الثلاث الملحقة بكيرتا على استقلالها، أما في البروقنصلية فبلغت الحركة ذروتها إذ تم إنشاء حوالي عشرين مستعمرة وبلدية.[1]

تجدر الإشارة إلى أن الحياة البلدية لعبت دورا لا يمكن إنكاره في ظل الإمبراطورية العليا في رومنة إفريقيا، وسهلت تمسك الأفارقة بالجنسية الرومانية، فقد كانت هذه العملية طويلة ومعقدة وظل الارتباط بالتقاليد الأصلية قويا في أجزاء كثيرة من إفريقيا فبعض المدن حافظت على مؤسساتها البونيقية أو الليبية إلى غاية القرن الرابع بكل فخر.[2]

حصل مواطنو البلديات والمستعمرات الجديدة على مزايا ملموسة بفضل القانون الروماني، هكذا فتح أمامهم تقدم اجتماعي وسياسي سمح لهم بفتح أبواب قبولهم في نظام الفروسية ومجلس الشيوخ، وبالتالي الطريق إلى مهنة مهمة في إدارة الدولة.[3]

المطلب الثاني: تطوير المدن.

اتبعت تنمية المدن ونظام الحكم المحلي القائم على المناطق الحضرية بالتأكيد نموذجا معتمدا، حيث اكتسبت بعض المقاطعات أسماء لاتينية من خلال منح حق الانتخاب، كما حلت بعض الاختلافات الدينية بشكل عام، عن طريق التوفيق بين الآلهة المحلية والآلهة الرومانية، وتم تشجيع الأذواق الرومانية في الكماليات وإشباعها، من خلال نمو التجارة والاقتصاد النقدي المتمركز في المدن.[4]

عرفت شمال إفريقيا انتشارا كبيرا لهذه المدن حسب ما أكدته عديد المصادر سواء أدبية أو مادية، إذ قدرت بحوالي خمسمائة مدينة في كامل إفريقيا مائتين منها في البروقنصلية، فكانت المدينة مركزا أساسيا للحياة السياسية في العالم الروماني، وهو ما يجعلنا نستنتج أن إفريقيا كانت بؤرة نشاط سياسي كبير عكس ما شهدته بقية المقاطعات، إذ عرف سكانها بمشاركاتهم الفاعلة في تسيير شؤونها، وصعودهم في المناصب المختلفة ووصولهم حتى لإدارة مقاطعات بأكملها، أو حتى إلى العرش الإمبراطوري كما سنوضحه لاحقا، حيث حكم الأفارقة العالم المتوسطي مع نهاية القرن الثاني وهو نتاج تطور امتد على أجيال.[5]

كان نجاح سياسة روما في أي مقاطعة مرهونا بمدى كثافة المدن بها، كما كان للمدن الفضل في حصول السكان على امتيازات عدة، لكن يشير "بيكار" أنه رغم ذلك بقيت بعض القطاعات مهمشة وبعيدة عن الحياة المدنية.[6]

شهد النشاط البلدي تراجعا بين 244- 275م باستثناء فترة حكم غاليانوس (Gallienus) (253- 268م)، نظرا للصعوبات التي واجهتها الإمبراطورية الرومانية وثورات القبائل المحلية ضدها، ثم بدأت تشهد تطورا ملحوظا وازدهارا مع بداية حكم ديوقليتيانوس (Diocletianus) (284- 305م)، وعلى عكس ما يروج في كثير من الأحيان فإن المدن لم

---

[1]- Hugoniot Christophe, Rome en afrique de la chute de carthage aux débuts de la conquête arabe, édition flamarion, paris, 2000, pp- 127- 128.
[2]- Hugoniot (Ch.), op, cit., p- 147.
[3]- Kotula (T.), Michalak (M.), cp. cit., p - 343.
[4]- Mattingly (D.), op. cit., p- 73.
[5] - بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 21- 22.
[6]- بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 43.

تتلاشى في القرن الرابع ولم يضعف الأعيان أيضا، بل بدأ الازدهار الحضري في الانخفاض مع بداية القرن الخامس.[1]

عمل الأباطرة على تنمية المدن في مختلف المجالات لمعرفتهم التامة بأهميتها لكونها تمثل السند الحقيقي لسياستهم[2]، وكويكول (Cuicul) (جميلة في سطيف حاليا) هي مثال لمدينة كان تطورها الحضري بفضل الازدهار العام لشمال إفريقيا خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، فقد تضاعفت المباني خلال القرن الثالث وبعد تراجع ملحوظ إن لم يكن توقف بين سنة 250- 280م، شهدت المدينة طفرة جديدة في القرن الرابع.[3]

يعتبر الإمبراطور الذي منح مجتمعا ما تحسينا في مكانته هو مؤسسها، ويتم دمج اسمه في اسم المدينة، ولعل أبرز مثال يمكن أن نستدل به هو النقش الذي عثر عليه في أوتشي مايوس (Uchi Maius) الباغوس القرطاجي القديم الواقع في هنشير الدواميس (Henchir Douamis) ولاية باجة، الذي ورد فيه كرم الإمبراطور السيفيري ألكسندر سيفيروس في ترقيتها وتم دمج اسمه باسمها وهو ما نلاحظه من خلال هذه العبارة: (Colonia Alexandriana Augusta Uchi Maius).[4]

تعتبر كيفية الانتقال من تكتل ثانوي إلى مكانة مدينة حقيقية وعاصمة للمدينة من مسؤوليات الإمبراطور، ويتبع بشكل عام طلبا يكون عبارة عن خطاب تغطية حقيقي، يحتوي على الحجج التي تبرر الترقية التي يقرها الإمبراطور، وقد تم الكشف عن مثال جيد لهذا النهج الدبلوماسي من خلال نقشين لتيماندوس (Tymandus) وأوركيستوس (Orcistus)، (يُنظر: الملحق رقم 1 و 2 من الصفحة الموالية) التي تشرح الآليات وكذلك الآثار التي يتطلبها التغيير، واستجاب الإمبراطور لمطالب كلا الجانبين ولكن ليس من دون فرض شروط، كما يُظهر الرد الإمبراطوري على التيماندنين (Tymandénins)[5] بوضوح أمور تتعلق حصريًا بالمؤسسات الجديدة التي سيتعين عليهم تبنيها وفقًا لرتبهم الجديدة في المدن (ciuitas)، لكنهم لم يمتلكوها عندما تم تنظيمهم على أنهم فيكوس:

1- الحق في الحصول على محكمة حيث يجتمعون لإصدار المراسيم.

2- أن يكون هناك قضاة حقيقيون (قضاة وليس قاضي) وكواستور (Questeurs) والأيدليس (édiles).

3- لهذا ، يجب أن يتكون المجلس البلدي (Ordo décurions) الجديد من خمسين عضوا على الأقل، ولكن هذا رقم من المقرر أن يزداد مع تطور المدينة الجديدة[6].

وقد عرف تطور المدن حسب النظام الروماني العديد من المراحل، التي يمر بها كل مركز أو مجتمع أو مدينة ليرتقي إلى مرتبة أعلى ومكانة متميزة مما كان عليه، ففي بداية الإمبراطورية لم تكن المؤسسات البلدية هي نفسها في كل مكان لأن جميع المدن لم تكن

---

[1]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 171- 172.

[2] - بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 44.

[3]-Bertrandy François, Demarolles Jeanne-Marie, L'Empire romain de 192 à 337 après J.-C., ellipses, Paris, 1998, p- 23.

[4]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 145.

[5]- التيماندنين: هذه الأمم وفقا للترتيب الذي اعتمده بليني هي الناتابوديون، الكابسيتاني، الموزولام، السابرباري، الماسيل، النيكيويس، الفاماكوريس، السينيثي، الموسوني، المارتشوبي، وكل الجيتول. ينظر: Aounallah Samir, Pagus, castellum, et civitas études d'épigraphie et d'histoire sur le village et la cité en afrique romaine, Ausonius Editions, Paris, 2010, p- 180.

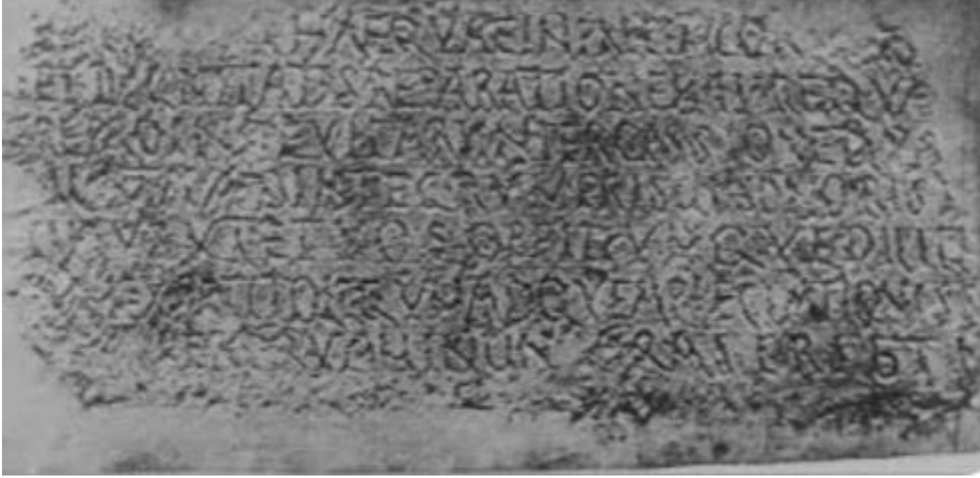
[6]- Aounallah (S.), op. cit., p - 14- 15.

تتمتع بنفس المكانة[1]، وانتشرت العديد من الهيئات المدنية نأتي على ذكرها في العنصر الموالي:

الملحق رقم 1:

الملحق رقم 2:

[1]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 142.



الملحق رقم 1- 2: نقيشة أوركيستوس تحتوي على عريضتين واستجابات الإمبراطور قسطنطين.

المصدر: .https://www.brepolsonline.net/doi/pdf/10.1484/J.AT.2.300815

1- هيئة المدن:

1-1 القلعة (Castellum):

هي مراكز دفاعية كان الغرض منها حماية المدينة من العدو، تأخذ من المدينة قسما من هيئتها الإدارية، إذ كانت مثل هذه المراكز الصغيرة لا تختلف كثيرا عن المدن المجاورة حسب ما أثبتته المعالم والكتابات المكتشفة، في بداية القرن الثالث تلاشت واضمحلت الكاستيلا في فترة حكم الاسرة السيفيرية وبعد منح كركلا المواطنة الرومانية لجميع المواطنين ترومنت تلك المدن، ولم تعد تذكرها النقيشات بهذا المصطلح (Castelli).[1]

2-1 قطاعات إقليمية (Pagi):

يعد تعريف الباغوس صعب نوعا ما ففي بعض الأحيان يكون عبارة عن مجموعة من المدن، وفي معظم الأحيان هو التقسيم الفرعي لمستعمرة رومانية، ومن خلال العديد من الدراسات التي قام بها "سمير عون الله" توصل إلى افتراضات مقنعة حول أصل وتطور وتحرير الباغوس.[2]

كانت بعض المراكز أصغر من أن يشكل كل منها مدينة، فلم ترغب روما في ترك الكثير من مجموعات المواطنين الرومان دون وضع محدد، فكان الحل بجعلهم امتدادا

[1] - بوذراع سفيان، المراكز الدفاعية لسيرتا (قسنطينة) للعهد الكونفدرالي في الفترة الرومانية –قراءة في النشأة والتطور-، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، م 9، ع 1، 2023، ص ص 745- 763، ص 750. بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 44.

[2]- Aounallah (S.) , op., cit, p- 8.

للمستعمرات تحت اسم (Pagi) ولنا في ذلك أمثلة من مدينة قرطاج ففي ثوقا (Thugga) مثلا بجوار المدينة الأصلية باغوس (Pagus) للمواطنين الرومان الذين ينتمون لمدينة قرطاج وبالتالي فهم مسجلون في قبيلة أرونسيس (Arnensis) والوضع نفسه نجده أيضا في كل من أوتشي مايوس (Uchi Maius)، ثيبورسيكوم (Thibursicum)، ثقنيكا (Thignica) عين طنقة حاليا بولاية باجة، أقبيا(Agbia) هنشير حاجة حاليا وغيرها[1]، وعندما يتم ربط باغوس (Pagi) واحدة أو أكثر بإقليم مدينة وكانت المسافات كبيرة، يتم إرسال حاكم مسؤول عن القانون (Praefectus iure dicundo) لتحقيق العدالة فيها وبالتالي استكمال (Duumvirs)، ويمكن الاستدلال بنقش عثر عليه في مكثر يعود لحوالي القرن الثاني ميلادي، يكشف عن حاكم امتدت سلطته إلى أكثر من 62 كاستيلا (Castella).[2] فالباغوس ليس بلدية وإنما مجرد منطقة في مستعمرة حسب ما يراه بن عبو (Benabou)، ومعظم الباغوس هي مقاطعات مستعمرة قرطاج، كما يشير إلى أن صيغة باغوس (Pagus) تهدف إلى الحفاظ على حالة معينة قائمة، لأن لها وجهان حيث تعمل في المستوى الأول كمقاطعة لمستعمرة كبيرة (قرطاج ومدن أخرى مثل موريطانيا القيصرية)، وعلى هذا النحو فمن الواضح أنه جزء من مفهوم سياسي، يهدف إلى تجنب انتشار الوحدات الحضرية المستقلة بالكامل، أما على المستوى الثاني فهي تعمل كشريك يتمتع بامتيازات قانونية واقتصادية في منظمة المدينة، وعلى هذا النحو فإنه يعيق إمكانيات تحسين المدينة (Civitas).[3]

يتم التعرف على الباغوس في القرن الثالث على أنها مجتمع مستقل (Res Publica) مما يثبت أن لديهم أموالهم الخاصة، وأطلق على البعض اسم كاستيلوم (Castellum)؛ التكتل المركزي للباغوس الذي يتمتع بامتياز على المنطقة.[4]

3-1 مركز ريفي (Vicus):

يوجد نوع آخر من المراكز والتي تتكون من الفئة التي تعارض المدن تماما، مثلما هو الحال بالنسبة للفيكوس (Vicus)، إذ لا تهمنا الكلمة هنا لأنه يغطي العديد من الحقائق التي ليس من السهل دائما فصلها عن الوثائق الموجودة، فيمكن للكلمة أن تشير فعلا إلى تكتل ما قبل البلديات أو منطقة في مدينة (Oppidum) أو مبنى بسيط.[5]

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الفيكوس لا يتمتع بشرف المدينة، حيث يسكنها مجموعة بسيطة من الناس، ونظرا لصغر حجمها فإنها تلحق بالمدن الكبرى، ولهذا يجدر بنا مقارنتها بالمدن والقرى التي تعيش في أعقاب المدينة، أما بالنسبة للسكان الذين يعيشون فيها لا يحصلون على مواطنة مناسبة أو محلية (أجانب)، لكن يمكن أن يكونوا مواطنين في المدينة التي ينتمي إليها مجتمعهم، لأسباب قانونية ترتبط بوضع المدينة الأم، خاصة بعد حصولها على شرف المدينة الرومانية (Ciuitas Romana)، يستثنى البعض من هذه المواطنة ويعتبرون من حيث المبدأ على أنهم غير مؤهلين، يتمتع كل من الفيكوس والباغوس بصلاحيات عامة ولهم الحق في إقامة العدل، كما يتم فيهما عقد الأسواق للتجارة، ويجدد كل عام انتخاب قاضي فيكوس (Magistri Vici) و قاضي باغوس (Magistri Pagi)، لذلك لا يوجد نوع واحد من

[1]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 144.
[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 161.
[3]- Benabou (M.), op. cit., p- 256.
[4]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 162.
[5]- Aounallah (S.), op- cit., p- 14.

الفيكوس ولا نوع واحد من الباغوس، فهناك فيكوس مثلا تأهل في أعلى التسلسل الهرمي كـ Respublica ولهم الحق في إقامة العدل، تليها الفيكوس والباغوس التي لم تصل إلى مرتبة هذه الأخيرة لكن لها قاضي (Magistri) سنوي، وبناء على هذا فإن كلمة Respublica هي التي تؤهل العديد من الباغوس وبهذا فهي القدرة على تطبيق القانون؛ أي الحق في إقامة العدل على الفور وليس في المدينة التي ينتمون إليها، فيعين الفيكوس كمدينة رئيسية والباغوس كإقليم.[1]

4-1 المدينة (Civitas):

تتمتع المدن بالحكم الذاتي حيث تعتبر المدينة مصطلح عام، ولكن النقائش تجعل من الممكن تصنيفها إلى فئات قانونية مختلفة نذكر منها:

1-4-1 المستعمرات الرومانية (Coloniae):

لديهم بالضرورة مؤسسات رومانية تصنف المستعمرات في الترتيب الأول، ويؤسسها المواطنون الرومان والمحاربين القدامى بشكل أساسي، أو تنال هذه التسمية بقرار من الإمبراطور، وإن لم يسكن فيها المعمرون، ما يميزها هو تمتع أهلها بنفس الحقوق وكأنهم في روما، منذ بدايات القرن الثاني ميلادي، أخذت المستعمرة مفهوما جديدا إذ أصبحت تعني "جماعة أهلية مندمجة نهائيا"، بعدما كان مفهومها "جماعة أجنبية متمركزة".[2]

2-4-1 البلديات الرومانية (Municipes):

كانت تشبه روما في أنظمتها ولها مجلس بلدي (Ordo Decurionum) وهو بمثابة مجلس الشيوخ وله حاكمان بلديان يعملان وظيفة القناصل (Duumvirs ou Duumviri ou Duoviri) ينتخبان لمدة عام، في حين يعمل الوكيلان الماليان من أجل السهر على الخزينة البلدية، ويعمل العضوان البلديان على الاهتمام بالأسواق والطرقات والألعاب وتوزيع الحنطة، ويمكن إلحاقهما بالحاكمين البلديين صاحبي السلطة الرسمية فينقص نفوذهما وهنا يعتبر جميع السكان مواطنين رومان، إلا أن أملاكهم تخضع لضرائب لا تفرض على أهل المستعمرات.[3]

عرف القانون البلدي السائد في الإمبراطورية الرومانية بأنه كان في غاية التعقيد، إذ كان من المفترض حسب "بيكار" إطلاق مصطلح (Municipe) أو (Municipium)، على المدن ذات الحق اللاتيني المقسمة إلى فئتين، اللاتيوم مايوس (Latium Maus) التي يتحصل أعضاء مجالسها الديكوريونية بتلك الصفة على المواطنة الرومانية، واللاتيوم مينوس (Latium Minus) أين تقتصر فيها المواطنة الرومانية على القضاة البلديين (Magistrats)، كما يوجد نوع آخر يتمتع كل القاطنين فيها بالمواطنة الرومانية وهي ما يسمى بـ (Municipia Civium romanorum)؛ وهي التي تكون قد ارتقت بصفة مباشرة دون المرور بمرتبة المستعمرة.[4]

3-4-1 البلديات اللاتينية (Municipes Latin):

1- Aounallah (S.), op- cit., pp- 13- 14.

2- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 142. بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 26.

3 - شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر. محمد مزالي وآخر، ط 4، الدار التونسية للنشر، 1983، ص 202.

4 - بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 26.

وهي التي تصل إلى درجة ترشحها للتحول إلى مدينة رومانية، ويتطلب الأمر أن تتوفر على شروط الترفيع[1]، تضمن القانون اللاتيني تبني المدن لقضاة من النمط الروماني، وكان على المدينة أن يكون لديها عدد من الملاك الأثرياء والمثقفين بما يكفي لممارسة القضاء، قبل أن تمنح السلطة المركزية الترقية المؤسسية[2]، وعلى هذا الأساس فإن الطبيعة الدقيقة للقانون اللاتيني مثيرة للجدل، إلا أنه يعد قانون جماعي يتعلق بالمدن ويضمن تلقائيا الحصول على الجنسية الرومانية لجميع القضاة وأسرهم، أما في المدن التي يكون بها قانون (Latium Minus) فيمكن لأعضاء المجلس البلدي (Decurions) أيضا الوصول إلى هذه الترقية التلقائية حتى وإن لم يديروا أي سلطة قضائية، من ناحية أخرى من غير المعروف على وجه اليقين تأثير القانون اللاتيني على الأعضاء الآخرين في المجتمع المدني[3]، تسير كل من المستعمرات والمدينة اللاتينية والرومانية من طرف الكوايستور (Questeurs)، الأيدليس (édiles) والديومفير (Duumvir).[4]

يوجد فرق بين المستعمرات والبلديات حيث أشار المؤرخون إلى أن المستعمرات تم إنشاؤها بطريقة ما من العدم، في حين أن البلديات الرومانية كانت في ذروة التطور، بعضها مجاور للباغوس أو الفيكوس حيث استقر المحاربون القدامى، والبعض الآخر جذب التجار (Negotiatores) الذين استقروا هناك وشكلوا أرضية للرومنة، حصلت المدن الإفريقية القديمة على وضع البلديات والتي كان العديد منها من أصل بونيقي، وظلت أراضيها إقليمية ورافدة ما لم يتم إعفاؤها، هذا الانضمام إلى رتبة البلدية الذي سعت إليه نخب السكان الأصليين، الذين وجدوا فيه فرصة لممارسة مهنة ما لم يسمح دائما لجميع سكان البلدية بالحصول على الوضع القانوني نفسه، وعلى الرغم من أن الموضوع مثير للجدل إلا أنه يبدو في الواقع أنه يمكن التمييز بين فئتين من البلديات تمثلان مرحلتين في التطور نحو الرومنة الإدارية، إذ في البلديات الرومانية التي ظلت مع ذلك حرة في اختيار القانون الروماني أو الاحتفاظ بقانونها المحلي والعرفي القديم، أصبح جميع السكان مواطنين رومان، أما من ناحية أخرى وفي مراكز أخرى تسمى البلديات اللاتينية؛ حيث السكان دون شك أقل استيعابا ككل لم يمنح إلا الميثاق اللاتيني القديم، وممثلو البرجوازية البلدية فقط الذين يمكنهم دخول مجلس الشيوخ في مدينتهم حصلوا على حق الجنسية الرومانية، وهو الوضع الذي أصبح بعد ذلك وراثيا، هذه الترقيات المنتظمة عن طريق التسجيل في ألبوم البلدية، والتي أضيفت إليها الأشخاص المتميزون الذين استحقوها فعلا في نظر الإدارة، وبالتالي أتاح تجنيس عدد متزايد من الأجانب الذين وصلت مدنهم بعد ذلك إلى خطة البلديات الحقيقية.[5]

4-4-1 البلديات الأجنبية (Municipes Piregrinus):

تمتلك مؤسسات موروثة من ماضيها أي قبل الاحتلال الروماني أو حتى قبل الفينيقيين[6]، وهم السكان الأصليين لشمال إفريقيا سواء كانوا بدوا أو حضرا، ولم يخضعوا

---

[1] - شنيتي محمد البشير، دراسات في التاريخ والآثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2017، ص 218.

[2]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 136.

[3]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 143.

[4]- Aounallah (S.), op., cit, p- 13.

[5]- Decret François, Fantar Mhamed, L’Afrique du nord dans l’antiquité histoire et civilisation (des origines au v siècle), Payot, Paris, 1981, pp- 196- 197.

[6]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 242.

لنظام واحد، حيث كانت روما تعين قادة تلك القبائل كأمراء أو ولاة (Praefecti, Principer) كما أنهم تسمو حتى بالملك (Reguli) أحيانا[1]، وبهذا فإن الأشفاط (Sufètes) (كانوا في قرطاجة هم الشخصان الأعلى رتبة في المجلسويتحليان بقدرة على تسيير الجيش) أو (undecimprimi) (مجلس مؤلف من 11 عضوا يسير البلديات أو المدن الصغيرة) هو من يتولى شؤونها[2]، الأمر الذي يدل على أنها كانت محتفظة ببعض النظم القرطاجية كلقب الشافط (القاضي)، أو تكون مجلس أهلي يكون كنواة للمجلس البلدي اللاتيني أو الروماني[3]، بدأت بعض هذه المدن بداية من القرن الثاني ميلادي، ترتقي إلى رتبة بلدة (Municipe) فتتحصل نخبها على المواطنة.[4]

أوضح سمير عون الله نقلا عن إيزيدور الإشبيلي (Isidore de Séville) نقطة أخرى يمكن أن تمس بطبيعة هذه المجتمعات، وهي تتعلق بالأسباب التي تجعل بعض البلديات أو المراكز مدنا والبعض الآخر ليس كذلك، فلا يمكن تصنيف البعض كمدن لأنها قليلة السكان (Sed vulgari bominum conventu incoluntur)، بمعنى (لكن التجمع العادي كان مأهولا بالسكان) مما يبرر ارتباطهم القانوني والإداري بمدينة أكبر وعاصمتها (Propter parvitatem sui maioribus ciuitatibus adribuuntur) وتعني (بسبب صغر حجمه ينسب إلى مدينة كبيرة).[5]

كان انتشار البلديات باختلاف درجاتها القانونية، لا يعني تمتع سكان دوائرها الإقليمية بوضعية متساوية، بل كان الأمر شبه مستحيل نظرا لأن الخريطة البشرية ببلاد المغرب، كانت تحتوي على عناصر من مختلف الأجناس والحالة القانونية أيضا، لعب فيها العنصر الروماني دور المتميز، يليه المتمتع بالحقوق اللاتينية ثم الإيطالية، وأخيرا فئة الأجانب التي كانت أغلبيتها الساحقة من السكان المحليين، الذين أطلق على من قطن منهم المدن ذات القانون الروماني بالغرباء (Incolae)، وهم من لا يمسهم القانون الروماني، وذلك تمييزا لهم عن المواطنين (Civis)، ولم يقتصر الأمر عليهم وإنما شمل أيضا المحليين القاطنين بمناطق المدن على اختلاف درجاتها القانونية، وقد عرفت حياتهم بالبساطة في مختلف الجوانب، ظلوا يعيشون على نمط ليبي أو بوني قديم، لم تستطع الحضارة اللاتينية أن تحدث فيهم تأثيرا جوهريا.[6]

شهدت العديد من المدن في بلاد المغرب ترقية رفعت من مكانتها، إذ أصبحت مدن الوادي الأوسط لمجردة (Madjerda) _والتي كانت لا تزال بشكل قانوني جزء من أراضي مستعمرة قرطاج_ تتمتع بالحكم الذاتي، وفي العهد السيفيري حصلت على وضع البلدية الرومانية، كما تحصلت كل من لبتيس ماغنا (Lepcis Magna) موطن الأسرة السيفيرية، وعاصمة المقاطعة قرطاج ومدينة أوتيكا القديمة على الحق الإيطالي؛ وبهذا حصلت معظم المدن الأجنبية (Pérégrines)، واحدة تلو الأخرى على وضع البلديات أو المستعمرات الرومانية، التي كانت تحكمها سابقا لجنة مكونة من إحدى عشر عضوا غير رئيسيين، قاموا بتغيير المؤسسات البونيقية أو النوميدية أو المختلطة إلى مؤسسات تخضع لقوانين من النوع

---

[1] - شارل (أ. ج.)، المرجع السابق، ص 202.

[2]- Aounallah (S.), op- cit., p- 13.

[3] - شارل (أ. ج.)، المرجع السابق، ص 202.

[4] - بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 26.

[5]- Aounallah (S.), op- cit., p- 14.

[6] - شنيتي(ب. م.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 174.

الروماني، إلا أن هذه الأخيرة سادتها اختلافات بين البلديات والمستعمرات، وتتضاعف هذه الاختلافات وتبرز من خلال مجتمعات القانون اللاتيني، التي لا يتمتع فيها بالمواطنة الرومانية إلا الأعيان الذين يديرون المدن، في حين أن المدن الرومانية يتمتع جميع مواطنيها بالجنسية الرومانية.[1]

منذ نهاية القرن الثالث، تظهر جميع المصادر توحيد القوانين البلدية، وبالتالي فإن قوانين القرن الرابع المدرجة في قانون ثيودوسيوس (Theodosius) لا تتحدث إطلاقا عن المدن الحرة والبلديات وحتى المستعمرات، واستخدم مصطلح (ciuitas) للإشارة إلى أي مدينة، وبالمثل فإن المدن الجديدة التي تم إنشاؤها تتلقى هذا التصنيف في إفريقيا، وتظل الألقاب القديمة عناصر هيبة ولكنها لم تعد تنطوي على امتيازات ملموسة وحقيقة، ولم تعد بعض المدن تشعر حتى بالحاجة إلى التزين بها، ومثل هذا التغيير يمكن أن ينتج فقط من مرسوم يعدل بعمق العلاقة بين الإمبراطورية والمدن.[2]

المبحث الثاني: سياسة منح الوظائف والمناصب

المطلب الأول: الوظائف العسكرية:

ما يجدر الإشارة إليه من خلال ما ذكره يان لوبوهيك (Yann Le Behec) عند حديثه عن الهيكل التنظيمي للجيش الروماني، هو التداخل الكبير بين الوظيفة العسكرية والسياسية أو المدنية والإدارية، فقد مارس المهام العسكرية العديد من رجالات السياسة باختلاف رتبهم سواء كانوا من مجلس الشيوخ أو فرسانا وحتى الإمبراطور صنفه ضمن الهيكل التنظيمي العسكري يترأس هرم السلطة العسكرية ويليه كل من:

1- حاكم برتبة قاضي (Praefectus praetorio):

كان في البداية ببساطة قائد الحرس الإمبراطوري، وقد لعب دورا مهما جدا منذ أغسطس، فقد تم اختياره نظرا لمهاراته الاستثنائية، كما أصبح رئيس الوزراء (Premier Ministre) ووزير الحرب (Ministre de la Guerre)، وكان تحت إمرته العديد من الضباط (Gardé)[3]، فهو إذن يجمع بين السلطتين السياسية والعسكرية.

2- قائد سَرية (Legatus):

يمثل أعلى رتبة قيادية في الفيالق الرومانية، وهو القائد الأعلى للجيش يعينه الامبراطور مباشرة وذلك لأهميته الكبيرة، يساعده ضابط برتبة تريبونوس (Tribunus) أو برفكتوس (Praefctus) وضباط صف برتبة كونتوريو (Centurio) ويوجد أنواع[4]:

2-1 قائد الجيش القنصلي (Legatus militaris consularis):

ويكون تحت قيادته العديد من الجحافل (Légions) والمساعدين (Auxiliaires).

---

[1]- Mahjoubi (A.), Ville et structures urbaines…, op. cit., P- 42.

[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 149.

[3]- le bohec Yanne, La vie quotidienne des soldats romains à l'apogée de l'empire 31 avant J.-C.-235 après J.-C. l'art de la guerre, Éditions Tallandier, 2020, p- 25.

[4] - بخوش زهير، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني دراسة تحليلية ومقاراناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية ب "أوراس"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه "علوم" في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2017، ص 10.

2-2 قائد الجيش البرايتوري (Legatus militaris praetoree):

يتولى قيادة فيلق (Une Légion) ومساعدين (Auxiliaires).[1]

3-2 قائد الفيلق (Legatus Legionis):

وهو برتبة سيناتور يقود الفيالق والوحدات المساعدة[2]، كما يكون برتبة برايتور وتسند له مسؤولية قيادة فيلق روماني عالي الشأن.[3]

3- الوكيل (Procurator):

ومن مسؤولياته قيادة الوحدات المساعدة (Des Auxiliaires).

يقوم بقيادة الفيلق عدد من الموظفين تختلف رتبهم والأمر نفسه بالنسبة للوحدات المساعدة ونجد ضمن الفيلق كل من:

1- القائد العسكري (Tribunus Militum):

أو ما يطلق عليه (Tribun Laticlave) ويكون برتبة سيناتور[4]، يجب على عضو مجلس الشيوخ الشاب نظريا القيام بها سنة واحدة Tribunat Militaire Laticlave في فيلق، حيث يكون قائد الجناح (Tribunal) الوحيد في مجلس الشيوخ، ولكن غالبا ما يتم استبدال وقت القيادة هذا _خاصة بالنسبة للشباب الأرستقراطيين_ بسنة واحدة من الخدمة في الإدارة، ومع ذلك فإن قادة الأجنحة (Tribunat) لها أهمية كبيرة بالنسبة للمستقبل الوظيفي لعضو مجلس الشيوخ الشاب بقدر ما تتيح له أن يحظى بتقدير ممثل الفيلق (Légat de Légion) أي عضو مجلس الشيوخ المؤثر بالفعل.[5]

2- محافظ المخيم (Prefet du Camp):

3- قائد جناح أوغسطي وتريبون لستة أشهر (Tribuns Angusticlaves et Tribun de six Mois):

4- قادة المائة (Centurions):

وهو ضابط في الفيلق مسؤوليته هي التنظيم العسكري للمئة جندي (الكنتوريا)[6]، أما الوحدات المساعدة للفيلق (Unités auxiliaires de la légion) فيتولى قيادتها موظفين أغلبهم برتبة فرسان (équestres) ونذكر منهم (Tribun d'aile)، (Tribuns de cohorte)، (Préfets d'aile)، (Préfet de cohorte) وكلهم برتبة فارس.[7]

المطلب الثاني: الوظائف الإدارية والقضائية:

1- الوظائف:

1- Le bohec (Y.), La vie quotidienne des soldats romains…, op. cit., p- 25.

2- Ibid.

3 - بخوش (ز.)، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي...، المرجع السابق، ص 10.

4- Le bohec (Y.), La vie quotidienne des soldats romains…, op. cit., p- 25.

5- Lassèr Jean Marie, Manuel d'épigraphie romaine, T 2, Picard, Paris, 2007, P- 650.

6 - بحوش (ز.)، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي...، المرجع السابق، ص 9.

7- Le bohec (Y.), La vie quotidienne des soldats romains…, op. cit., p- 25.

كان الوصول إلى المراتب المختلفة في المدينة الرومانية مرتبطا بمدى غنى الشخص، واختلف المبلغ الذي يقدم من منصب لآخر ومن مدينة إلى أخرى، ففي كيرتا مثلا كان المبلغ 20000 سسترز مهما كان الشرف أو المنصب، إذ عرف الاتحاد الكيرتي ما لا يقل عن خمسة عشر 15 قاضيا، وبهذا كانت المدينة تستقبل ما يقارب 350.000 إلى 400000 سسترز كل عام وهي المبالغ التي يدفعها الديكوريون (décurions) الجديد، أما في تيمغاد فقد كان يدفع الشخص 2000 سسترز ليصبح ديومفير (duumvirate)، و10000 سسترز ليكون كاهنا (Flaminate)، أما في ثوبورسيكا نوميداروم (Thuburscu Numidarum) خميسة (Khamissa) فتدفع 6000 سسترز مقابل الحصول على منصب الكاهن الدائم (Flaminat Perpétuel)، و4000 سسترز مقابل الديكوريون (Décurionat)، بينما في مازيك (Muzuc) كانت 1600 سسترز كافية للوصول إلى الديكوريون، و800 سسترز فقط في ثوميطرا (Themetra) بحضرموت (سوسة حاليا) لمنصب الشوفيط (Suffétat) في الفترة بين 138- 161م.[1]

1-1 الماجيسترا (Magistrats):

يشترط الدخول إلى الماجيسترا تقديم أمفورتين من النبيذ والقليل من الخبز والملح[2]، كانت وظيفة الماجيسترا سنوية والانتخابات تجدد كل عام، وينتخبون على رأس المدينة من قبل أعضاء المجلس البلدي[3]، وكان عليهم جباية الضرائب نيابة عن السلطة المركزية، ثم توزيعها على المواطنين بعد مراجعة ممتلكاتهم، حتى مجموع مبلغ الراتب الشخصي المستحقة على الأجانب، وكمية المحاصيل المطلوبة من جميع المواطنين،[4] وتتكون الهيئتان (Collèges) الرئيسيتان لهذه الوظيفة من عضوين من الآيديل وعضوين من الديومفير وقد قسم جان ماري لاسير Jeane Marie Lassèr الماجيسترا إلى ماجيسترا سفلى وماجيسترا عليا.

1-1-1 الماجيسترا السفلى (Magistrats inferior):

أ- مسؤول الشؤون المالية (Quaestor):

تسند إلى الكواستور (quaestor) مهمة إدارة الخزانة البلدية تحت إشراف المجلس البلدي (Ordo Decurionum)[5]، وتجدر الإشارة إلى أن النصوص القانونية وصفت وظائفهم بأنها عبئ (munus) وليست شرفا (honor)، إذ يستحضر هيجونيو إشارة ترتليان إلى دورهم في مزادات الإيرادات البلدية والمعابد العامة لمقدمي الهبات، كان تعيينهم أكثر استبداديا وكان أشبه بعمل شاق أكثر من كونه انتخابات حقيقية، وفي المدن الكبرى مثل قرطاج تظهر الكواستور (Questure) في الوظائف بعد الأيدليس (L'edilite) وهو دليل على أهميتها.[6] صنفهم جان ماري لاسير (Jane Marie Lassèr) كالآتي:

---

[1]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 164.
[2]- Ibid, p- 152.
[3]- Mahjoubi (A.), Le régime des notables dans la cité antique, https://www.leaders.com.tn/article/26936- mis en ligne le 20- 04- 2019, Consulté le 28- 08-2022, p- 3.
[4]- Mahjoubi (A.), Ville et structures Urbaines…, op. cit., p- 50.
[5]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 160.
[6]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 136.

1- اثنين كواستور أوغسطيين (Quaestores augusti):

وهما مرتبطان بالبيت الإمبراطوري والمسؤولان بشكل خاص عن قراءة علاقات الأمير بمجلس الشيوخ.

2- أربع كواستور قناصلة (Quaestores consulum):

إثنان منهما لكل قنصل.

3- اثنين كواستور حضريين (Quaestores urbani ou urbis):

تحتفظ رسميا بأرشيف الشعب الروماني.

4-اثنين كواستور أمناء الصندوق أو الخزينة (Quaestores aerarii):

يعهد إليهم إدارة خزينة ساتورن (Saturne) لمدة عامين.[1]

5- العشر أو الاثناعشر كواستور البروبرايتور (Quaestores Pro Praetore) (Q. PR. PR):

يشرفون على الإدارة المالية في المقاطعات التابعة لمجلس الشيوخ، بالنسبة للكواستور الذين يديرون قضاءهم في روما يتولون مهامهم في 5 سبتمبر، والذين يذهبون إلى إحدى المقاطعات يتولون مهامهم في 1 يوليو جنبا إلى جنب مع البروقنصل، بالنسبة لأولئك الذين يقيمون في المدينة، هناك إلتزام بإعطاء كبار المحاربين (Gladiateurs) خلال شهر ديسمبر، وعند ترك منصبه يمكن إرسال ulir(Quaestorius) في مهمة خاصة ذات طبيعة مالية في مقاطعة مثل (Quaestorius Legatus Pro Praetore) (QL PPR) أو تكليفه من قبل الإمبراطور بمهام مختلفة، مثل (Quaestor Imperatoris) (Q IMP).[2]

خلص مونتان جيوفري (Montagne Geoffroy) نقلا عن فرنسوا جاك (F. Jacques) _استنادا إلى ألبوم تاموغادي؛ الذي يعود إلى نهاية عهد جوليان المرتد(Julien L'Apostat) حوالي 364 ميلادي، والذي يجمع كل أعضاء مجلس الديكوريون (Ordo Decurionum) مع وظائفهم السابقة والحالية كما نقش عليه وظيفة الكواستور_ إلى أن هذا المنصب في نهاية القرن الرابع كان من بين مراتب الشرف، وكانت ممارسته قد ساهمت في تحديد الأعيان في الكوريا وفي المدينة.[3]

ب- أعضاء مجلس المدينة (Aedilis):

عددهم إثنين مسؤولين مثل نظرائهم الرومان عن مشاكل المدينة[4]، ويشكلون في مجموعات تتمثل في؛ (curules) و (blebe) و (ceriales de decérès) يتولون مناصبهم في 01 يناير، مكلفون بمراقبة التجارة العامة لكن هذه المهمة أخذت من قبل (la préfectura) الأنونا،

---

[1]- Lassèr (J. M.), Manuel d'épigraphie…, op. cit., p- 651.

[2]- Lassèr (J. M.), Manuel d'épigraphie…, op. cit., p- 651.

[3]- Montagne Geoffroy, «Amator Civitatis » Les notable municipaux en Numidie (II Siècle ap. J.-C.- IV Siècle), Lettre de master, département Histoire, université de pau et des pays de l'adour, France, 2013, P- 281.

[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 135.

إضافة إلى مراقبة الشوارع والأماكن العامة وهي مسؤولية تقع على عاتق محافظ المدينة (Préfet de la ville)، والذي يجمع هو الآخر اختصاص des édiles Curules في مسائل القضايا المدنية المتعلقة بالأسواق، أما Les Tribuns de la blebe الذين يتولون المنصب في 10 سبتمبر فهم يتمتعون بسلطات محدودة للغاية، ويتم تحديدهم من قبل سلطة تريبونية (Tribunicienne)، وغالبا ما يتم حذف Le Tribunat من الوظائف، كما هو الحال أيضا مع الأيديليس التي يستمر إعفاء العديد من أعضاء مجلس الشيوخ الأرستقراطيين منها[1]، كان من الضروري على الأيديليس أن يبقى في منصبه لمدة تتراوح بين ثمانية إلى تسع سنوات، قبل أن يتمكن من الانتقال إلى منصب الديومفير.[2]

لم يتم ذكر الكواستور والأيديليس في الوثائق القانونية خلال العهد الإمبراطوري المتأخر، ومع ذلك تظهر الوثائق الإفريقية بقاءها، حيث ذكر اثنان من أعضاء مجلس المدينة (édiles) والكواستور في الألبوم البلدي لتيمغاد، كما دلت النقوش على وجود 10 أيدليس واحد معين وأربع (aedilicii)، يذكر أيضا كتاب (Les Acta Purgationis) للأسقف فليكس الأبوثجني (d'Abthugni) رجلا يدعى أوجينتيوس (Augentius) الذي كان في كلية أعضاء الديومفير عام 303م وألفيوس كايكيليانوستاس (Alfius Caecilianustas)، وذكر أميانوس مارسيلينوس (Ammianus Marcellinus) آيديل يدعى نيكاسيوس (Nicasius) قتل على يد البرابرة الأوستيريان _وهم قبائل نوميدية عرفت بشراستها وغاراتها المكثفة على مقاطعة طرابلس_ خلال غارتهم الثانية على طرابلس سنة 361م، حيث كان هذا الأخير من لبتيس ماغنا (Lepcis) أو من أويا (Oea).[3]

2-1-1الماجيسترا العليا (Magistrats superior):

أ- القاضي (Praetor):

يتولى هذا المنصب في سن الثلاثين عاما ويتولى البرايتور العمل في 1 يناير، تظل الوظيفة قضائية في الأساس، لكن وظائف البرايتور ليست متساوية إذ يوجد كل من:

1- قاضي حضري (Praetor Urbianus):

مختص في الدعاوي القضائية بين المواطنين، والذي بإمكانه وضع قواعد الإجراءات المدنية للعامة من خلال نشر مرسوم، كما أنه يمتلك أيضا من خلال التفويض الإمبراطوري

---

[1]- Lassèr (J. M.), Manuel d'épigraphie…, op. cit., p- 651.
[2]- Montagne (G.), op. cit., p- 278.
[3]- Lepelley Claude, Les cites de l'afrique romaine au bas-empire la permanence d'une civilisation municipale, Tome 1, Etudes Augustiniennes, Paris, 1979, p- 164.

محكمة استئناف القضايا المدنية الحضرية التي تصبح في بداية القرن الثالث من اختصاص حاكم المدينة Le Préfet de la ville.[1]

2- قاضي أجنبي (Praetor peregrinus):

يعرف أيضا باسم (Praetor Inter Ciues et Peregrinos .IRT.) أو (Praetor Inter Peregrinos)، الذي احتفظ بصفته القضائية إلى غاية 212م وكان البرايتور الآخرين متخصصين وأقل مكانة لهذا يترأس Preteur Hastarius بمساعدة Decemvirs Xtlitibus Iudicandis محكمة الـ100 رجل (Le Tribunnal de la Centumuiri) المختصة بنظر الدعاوي المتعلقة بالوراثة.[2]

3- قاضي المالية (Praetor Fiscalis):

تم إنشاؤه لفض وتسوية النزاعات بين السلطات الضريبية والأفراد، وبعد إدارة قضائهم يجب أن يمارس البرايتوريين وظائف عسكرية ومدنية متقاطعة مثل قائد مقاطعة Legatus Legionis (LEG. LEG) خلال ثلاث سنوات غالبا ما يتم إعفاء الأرستقراطيين في الإدارة الحضرية أو خارج روما مثل أمين المدينة Curator Ciuitatis من أجل مهمة أوسع يعهد بها إلى القاضي Prétorien مختص بشكل خاص[3]، والقائد أيضا درجات نذكر:

1-3 قائد قاضي المقاطعة Légatus Pro Praetor Prouinciae, LEG.PR.PR.PROV.:

يصبح البرايتور السابق بعد ذلك مندوبا لحاكم مقاطعة مجلس الشيوخ Légat de Proconsul وتعتبر وظيفة متواضعة باستثناء المندوبين les légats المعينين لدى حكام إفريقيا وآسيا والوظيفة قضائية قبل كل شيء.[4]

2-3 حاكم برتبة قاضي Procnsul uir Praetorius:

حاكم (Setfaxalis) أو (Sixfaisceaus) في مقاطعة مجلس الشيوخ البرايتوري، وهو على العموم مثل البروقنصلية Proconsulat تجعل من الضروري أداء وظيفة أخرى قبل الوصول إلى القنصلية Consulat، ولكن حدث العكس من ذلك أن أعضاء مجلس الشيوخ Sénateurs يتم تعيينهم في حكومة برايتورية كانت قد أدارت بالفعل القنصلية Consulat suffect المناسبة، وهو شرف يمنح في وقت مبكر بما يكفي، للسماح للإمبراطور بالحصول على القناصلة الضروريين في الوقت المناسب.[5]

3-3 قائد أغسطي برتبة قاضي Legatus Augusti Pro Praetor (uir Praetorius) :LEG.AVG.PR.PR

هو حاكم مقاطعة إمبراطورية، يفسر لقبه من خلال حقيقة أن الإمبراطور صاحب سلطة بروقنصلية (Proconsulaire)، يعمل كنائب بروقنصل في جميع مقاطعاته ومنه يمكنه

1- Lassèr (J. M.), Manuel d'épigraphie…, op. cit., p- 652.
2- Ibid.
3- Ibid, p- 653.
4- Lassèr (J. M.), Manuel d'épigraphie…, op. cit., p- 654.
5 - Ibid, p- 653

اختيار المندوبين (Les Legates)، ويتم تعيين هؤلاء الذين ينتمون إلى رتبة برايتورية في مقاطعات هادئة أو متوسطة الحجم والأهمية، لكن بعض هذه الحكومات يعهد بها على الأقل إلى مندوب إمبراطوري (Légat Imperial) برتبة قنصلية.[1]

ب- القنصل (Le Consul Suffect):

ويوجد أنواع مختلفة من القناصل (Consules Suffecti) أو القناصل الإضافيين (Supplementaires) وفقا للاحتياجات الإدارية والمحددة في 09 يناير، ويضل هؤلاء القناصل الشوفيط (Consuls Suffects) في مناصبهم لفترة زمنية متغيرة، من شهرين إلى أربعة أشهر، وقد زاد عددهم بشكل ملحوظ في عهد كومودوس (Commodus) و سيبتيموس سيفيروس (Septimius Severus).[2]

ج- مسؤول بلدي ثنائي (Duumvirs):

يعتبر منصب الديومفير أيضا من السلطات العليا وهم القادة الحقيقيين للمدينة، كانت وظيفتهم جماعية وسنوية وكان لدى الأعيان إمكانية الوصول إلى المنصب في سن الثلاثين تقريبا[3]، يكون عددهم إثنين وهم مسؤولون عن قول اليمين (Duumvir iure Dicundo) وهم القضاة الرئيسيون في المدينة، تم تعليمهم نفس طريقة المحاكمات الصغرى للبرايتور (Préteurs) الرومان التي لا تدخل في اختصاص محاكم التريبون (Tribunaux).[4]

كان الدومفير duumvirs ينتخبون من قبل الشعب، كما كانوا يعملون على تنفيذ القوانين والتوصيات الصادرة عن السلطة المركزية والحاكم، كما كفلوا مع أعضاء مجلس المدينة بفضل موظفيهم الذين يتقاضون رواتب والعبيد العموميين والشرطة، الحفاظ على النظام في المدينة.[5]

حكم الديومفير في دعاوي مدنية وفي القضايا والجرائم البسيطة والقضايا المدنية التي تنطوي على مبالغ كبيرة، فضلا عن محاكمة كبار الجناة والمجرمين التي تقع على عاتق حاكم المقاطعة، ويهتمون بالنفقات التي يديرها أيضا نواب ينتخبون سنويا.[6]

يشير لوبلاي (C. Lepelley) إلى أنه من بين القوانين الإمبراطورية التي تذكر الديومفيرات، هناك ثلاثة تتعلق بإفريقيا وتمت دراسة قانون قسنطينة المؤرخ في 325م، وتبين من خلاله العرف الخاص بهذه المنطقة المتمثل في إشراك أصوات الشعب في انتخاب الديومفير وتنص على تسمية المرشحين القادرين ماليا فقط، قانون آخر لقسنطينة مؤرخ في

1- Ibid, p- 654.
2- Lassèr (J. M.), Manuel d'épigraphie…, op. cit.,, p- 655.
3- Montagne (G.), op. cit., p- 282.
4 - Mahjoubi (A.), Ville et structures urbaines…, op. cit., p- 48
5- Ibid.
6- Mahjoubi (A.), Le régime des notables…, op. cit., p- 4.

337م وموجه إلى مجلس إقليم إفريقيا يعفي الكهنوت والكهنة الدائمين و الديومويراليس (Duumuirales) من الهبات الدنيا، أخيرا قانون هونوريوس (Honorius) المؤرخ في 412م الموجه إلى بروقنصل إفريقيا يوخاريوس (Eucharius) يحظر على الديومفير ممارسة سلطة أسيادهم خارج حدود مدينتهم، وتخبرنا الوثائق الإفريقية عن 51 ديومفيرا من الإمبراطورية المتأخرة، بالإضافة إلى 15 (Duumuiralicii) المذكورة في الألبوم البلدي لتيمغاد، ولا شك أنهم أقل عددا بكثير من الأمناء (Curateurs) والكهنة الدائمين، ومع ذلك فإن دراسة وظيفتها ليست مستحيلة.[1]

وكل خمس سنوات يتم تعيين:

1- مسؤول بلدي ثنائي مكلف بالإحصاء (Duumvirs Quinquennaux):

مراقب محلي احتفظ بالسجلات المدنية (Matrices Publicae)[2]، يتم الحصول على هذه الوظيفة في سن متقدمة جدا، ويتم انتخابهم كل خمس سنوات حيث كانت واحدة من أكثر الوظائف المرموقة، ويشير المؤرخون إلى أنها اختفت في منذ القرن الرابع وبالفعل هي غائبة من ألبوم تيمقاد، إلا أن جيوفري يذكر أن لوبلاي (C. Lepelley) أشار إلى ذكره في دستور موجه إلى غريغوريوس (Grégorius) حاكم برايتوري (Préfet du Prétoire) عام 363م، وبهذا يتضح أنه لم يكن هناك انتظام حقيقي فيما يتعلق باختفاء وظيفة الديومفير الخماسي، إذ بدا الوضع مختلفا على حسب كل مدينة.[3]

ظلت ألقاب الديومفير و الآيدليس والكواستور في إفريقيا حتى الاحتلال الوندالي، ففي تيمغاد في زمن جوليان يذكر الألبوم البلدي الديومفير في مناصبهم بعد الأمين (Curateur) مباشرة، ويأخذ اثنان من الآيدليس والكواستور أماكنهم بعد قائمة كهنة البلدية وقبل قائمة (Duumuiralicii) والأخير يتبعه (aedilicii) و (quaestoricii)، لذلك تمت كتابة ألبوم تيمقاد وفقا للمبادئ التي حكمت إنشاء ألبوم كانوزيوم (Canusium) في الفترة السيفيرية والذي تم نقشه عام 223م، إذا استثنينا ذكر الكهنة الدائمين والرهبان والعرافين الذين تلو الديومفير.[4]

أشار هيجونيو (Hugoniot) على أن ترتليان يؤكد في مؤلفاته بدقة على مسؤوليات كل من (aediles) و (Duumvirs)، فإلى جانب ترؤسهم لتضحيات الأعياد البلدية وتنظيم العروض المنصوص عليها في التقويم المحلي للمدينة، كان عليهم توفير نفقات صيانة المعابد والإشراف على إدارة عائداتها، وتحصيل غرامات كبيرة بموجب سلطات الشرطة الخاصة بهم وقبل كل شيء إقامة العدل.[5]

كانت مهمة الآيديليس هي الأخرى تنص على دفع مبلغ فخري، وقد دل على ذلك نقش من ثالة (Thala) بيزاكين (Byzacène) يستحضر بناء ساحة عامة عام 287م على حساب

---

[1]- Lepelley (C.), op. cit., p- 150- 151.
[2]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 135.
[3]- Montagne Geoffroy, op. cit., p- 287.
[4]- Lepelley (C.), op. cit., p- 150.
[5]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 136.

الهبات (évergète) قدمها أيدليس تتضح من هذه العبارة : من أجل شرف الأيدليس (ob honorem aedililalis) وهي الوثيقة الوحيدة التي تستحضر وظيفة إدارية ملموسة وهي نقش من عقار في بيزاكين يظهر أيدليس مكلفا بمسؤولية ترميم المباني، ويفترض (J. Declareuil) أن الكواستور و الأيدليس لم يعودا في الإمبراطورية المتأخرة مجرد ألقاب فخرية تنطوي على دفع مبالغ مالية دون أي امتياز خاص، وهذا أمر مؤكد بالنسبة للوظيفة لأن وظائف السكرتارية و المحاسبة كانت تتم من قبل مسؤولي البلدية، أما بالنسبة لأعضاء مجلس المدينة (édiles) فمن الممكن أنهم احتفظوا بمسؤولية معينة في مراقبة الشوارع والأسواق.[1]

2- الهيئات والهياكل الإدارية:

تجدر الإشارة إلى الهياكل الإدارية عند الحديث عن الوظائف والمناصب المختلفة نظرا لارتباطها ببعضها البعض حيث تهيمن على الحياة المدنية نخبة مكونة من المجلس البلدي (Decurions) والكوريا (Curia)، ولا بد من تجنب الخلط بينه وبين الكوريات.

1-2 المجلس البلدي (Decurion):

يقتصر الوصول إليه على الشرفاء الذين يتمتعون بسمعة طيبة تقوم على عدة معايير؛ الأول هو الثروة التي يمكن أن تكون أرضا، أما الحد الأدنى لرأس المال المطلوب للدخول في المجلس البلدي فيختلف باختلاف حجم ومكانة المدن، بمعنى يجب امتلاك ما يقارب 30 إلى 40.000 ألف سيسترز، في البلدات الصغيرة ويتوافق مع امتلاك حوالي 10 إلى 15 هكتارا من الأراضي الجيدة، ومثلما هو الحال في روما لا يكفي أن تكون ثريا، فالوصول إلى الديكوريون (Decurions) مستحيل بالنسبة لأولئك الذين لا يعتبرون "شرفاء"، كما يجب أن يكون الشخص قد تلقى تعليما جيدا ويعيش نوعا من الحياة يليق بالديكوريون[2]، أما عددهم فيختلف باختلاف المدن، حيث يكون في الغالب بين 50 و 100 عضو، وأربعة قضاة وإثنين من الدومفير (duumvirs) واثنين من الأيدليس (Ediles)[3]، حيث شكل هؤلاء بأعداد متفاوتة اعتمادا على حجم المدن اتحادات الأحياء، مع تنظيمها الداخلي وتسلسلها الهرمي ونوعا من الوحدة الإدارية التي تجمع الديكوريون في أقسام التصويت، فكان المجلس البلدي يتألف من ديكوريون مسجلين بحق الميلاد (أبناء ديكوريون) أو عن طريق التصويت اعتمادا على التعداد السكاني.[4]

تكون الوظيفة مدى الحياة ويتم اختيار الأعضاء الجدد من طرف المجلس (Ordo) بناء على اقتراح الدومفير (duumvirs)، تمنح الأولوية في التوظيف للقضاة السابقين وأبناء الديكوريون الذين لا تقل أعمارهم عن 24 سنة، ويتم مراجعة لائحة الديكوريون كل خمس

---

[1]- Lepelley (C.), op. cit., pp- 164- 165.
[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 153. Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 135.
[3]- Mahjoubi (A.), Le régime des notables…, op. cit., p- 4.
[4]- Decret (F.), Fantar (M.), op. cit., p- 197.

سنوات بواسطة الديومفير الخماسي (Les duumvirs quinquennaux)، وقد عثر في الإمبراطورية بأكملها على ألبومان فقط للديكوريون، كانوسيوم (Canusium) في أبوليا (Apulie) يعود إلى بداية عهد ألكسندر سيفيروس (Alexander Serveurs) وألبوم تيمغاد الذي يعود إلى القرن الرابع ميلادي عهد جوليان.[1]

اختفى مصطلح الديكوريون (Decurions) في القرن الرابع وأصبح يسمى كوريا (Curia)، ومن وجهة نظر اشتقاقية كان يطلق على المجلس البلدي أيضا اسم (Ordre des decurions)[2]، فمن خلال دراسة ألبوم تموغادي تأكد أنه لم يتم تعديل المناهج البلدية ولا تزال درجات الشرف مرموقة ومطلوبة، إلا أنه تم تسجيل بعض التغييرات، فلم يعد يذكر (les duumvirs quinquennaux) والسبب في الغالب هو أن وظيفتها أصبحت تمارس من قبل (Le curateur)، من ناحية أخرى من بين الديكوريون التي تولت جميع التكريمات ونفذت جميع الأحكام، يتم انتخاب عشرة (Principales) أو (Decemprimi)؛ الذين يشكلون نوعا من المجلس المقيد داخل الـ (Ordo Decurionum) يضمنون استمرارية الإدارة البلدية إلى ما بعد انتهاء السلطة القضائية، ويشرفون على توزيع المسؤوليات بين الحكام، ويمكن التعرف عليهم في ألبوم تيمغاد Timgad مع أول عشرة فلامين (Flamines) مسماة دائمة (Perpetuels)، كما تولى مسؤولو البلدية (Officiales) خلال القرن الرابع إدارة الخزانة البلدية إلى حد كبير، وهو ما أدى إلى تراجع دور (Des questeurs diminue)، وبالمثل فقد أعضاء مجلس المدينة (Les édiles) السيطرة على تخطيط المدن والشرطة البلدية لصالح الأمناء (des Curatur).[3]

يمكن إضافة قائمة مشوهة من باغوس سيرتا في سيقوس (Sigus) بنوميديا، والذي يمكن أن يكون محليا حيث تم وضع القائمة بترتيب دقيق حسب ما أشار إليه أولبيان (Ulpian): أولهم هؤلاء الذين حصلوا على الكرامة بأمر من الإمبراطور، يليهم هؤلاء الذين حصلوا على مرتبة الشرف البلدية في الترتيب الهرمي للقضاة وترتيب الأقدمية، وأخيرا أولئك الذين لم يديروا أي سلطة قضائية، يلتقي Ordo decurions في الكوريا Curie أو في معبد عند استدعائه من قبل Duumvirs الذين عادة ما يضعون جدول الأعمال، تكتب القرارات في شكل مراسيم، وقد وصلنا بعض منها لأنها نحتت على الحجر، ويتم كتابتها بأسلوب جيد وهو دليل على رومنة النخب البلدية، مثل التي وجدت في سلا (Sala) تكريما للمحافظ سولبيكيوس فيليكس (Sulpicius Felix).[4]

كانت قرارات المجلس فتتعلق بالشؤون الداخلية والعلاقات مع السلطات الإمبراطورية؛ فيما يخص الشؤون الداخلية يكون التدخل في المجال الديني، لتحديد تقويم الأعياد وميزانية العبادة وتعيين الكهنة، أما في المجال السياسي فينتخب القضاة بالاتفاق مع

[1]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 153.
[2]- Montagne (G.), op. cit., p- 270.
[3]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 162.
[4]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 154.

الشعب ويتخذ جميع القرارات المتعلقة بحياة المدينة: اللوائح المختلفة، المنشئات، تعيين الأساتذة وأطباء البلديات، ومنح الدرجات الفخرية تقديرا للخدمات المقدمة للمدينة إلخ.[1]

يتمثل دور المجلس البلدي (Ordo décurions) في اختيار رؤساء المدينة، الذين يتمثل دورهم في الدفاع عن هؤلاء في جميع الظروف، مع السلطات الإمبراطورية أو أثناء المحاكمات، ويكون الرؤساء إما مواطنون بارزون وقد انضموا أحيانا إلى الرتب العليا في الدولة أو شخصيات خارجية، من ناحية أخرى يلعب الـOrdo دور الوسيط بين الإدارة الإمبراطورية وإداراتها، وهو الذي ينظم على وجه الخصوص التطبيق المحلي للقرارات الإمبراطورية وفرض الضرائب المستحقة على المدينة، ثم نقلها إلى كواستور (questeur) مقاطعة مجلس الشيوخ في إفريقيا أو إلى الوكيل (Procurateur) في المقاطعات الإمبراطورية بموريطانيا.[2]

2-2 الجمعية الشعبية (La curie):

لعب مجلس الكوريا (Curie) دورا أساسيا في مدن إفريقيا والوثائق في هذه المرحلة قليلة لسوء الحظ، ويبقى ألبوم تيمقاد المصدر الرئيسي لكن إذا سمح بمعرفة تركيبة المجموعة بدقة إلا أنه لا يقدم سوى القليل من المعلومات حول عملها، وقد نص قانون قسنطنطين (Constantin) الصادر سنة 320م ، على أن أبناء الكورياليين يجب أن يكونوا ملزمين في إفريقيا البروقنصلية بالواجبات البلدية منذ الثامنة عشر عاما.[3]

تستخدم الكوريات للإشراف والمساعدة المتبادلة للمواطنين وبهذا فإن تسجيل المواطنين في الكوريات لا يقتصر على الدور السياسي فقط، وهو السبب في كونها منظمة على نموذج الهيئات، على رأسها قاضي يساعده الكواستور (questeur) وفلامن (Flamine) يشرف على الاحتفالات الدينية، حيث تمثل الكوريات التقسيمات الفرعية للشعب (Populus)، وقد كان للاتحاد السيرتي هو الآخر كوريا واحدة لجميع المدن الأربع التي تتكون منها ومقرها في سيرتا.[4]

أحصى المؤرخون عشر كوريات في لمباز تجمع كل الكورياليين، ويسرد ألبوم كوريا كوموديانا (Curia Commodiana) 52 كورياليا، وهذا ما يدل على أن الكوريات لا تقتصر على جزء صغير من الشعب، وقد قللت الكوريا من الدور السياسي للشعب فمثلا عند انتخاب القضاة كان الناس يكتفون بالترحيب بالمرشحين الذين اقترحوا عليهم لإظهار موافقتهم أم لا.[5]

فكما هو الحال في روما لم يشكل الناس كتلة غير واضحة، وإنما تم تقسيم المواطنين إلى كوريات عادة عشرة أو إحدى عشر، والتي كانت معادلة للقبائل الرومانية، إلا أن هذا التوزيع بقي محل جدل بين المؤرخين، بسبب هو هل كل المواطنين مسجلين في كوريا؟

[1]- Mahjoubi (A.), Ville et structures urbaines…, op. cit., p- 47.
[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 153- 155.
[3]- Lepelley (C.), op. cit., p- 197.
[4]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 152- 153.
[5]- Montagne (G.), op. cit., p- 270.

ونظرا لتناقض الوثائق المتوفرة فالإجابة عن ذلك صعبة، فمثلا يمكننا الاستدلال بنقش عثر عليه في ثوبورسيكو نوميداروم (Thubursicu Numidarum) خميسة حاليا حول الشعب (Populus) بأنه يتم توزيعه في كوريا، وعليه فإن كل مواطن هو عضو في كوريا، والتسلسل الهرمي يفترض أن الكوري لا يفترض الخلط بينه وبين الشعب كله، ففي حوالي 212م كان لدى كوريا كومودينا (La Curia Commodiana) في ثاموغادي 52 عضوا فقط، وهو ما سيعطي حوالي 500 إلى 600 مواطن فقط، على افتراض أن المدينة بها حوالي 10 كوريات، لكن حتى لو كان هذا الرقم يخص الرجال البالغين فقط، وإن لم تكن ثاموغادي مدينة كبيرة جدا، يبدو هذا منخفظا جدا ويشير إلى أن هذا الرقم يخص النخبة فقط، على العكس من ذلك تشير كوريا جوبتير في سيميثو (Simitthu) أو شمتو إلى مجتمع من الطبقة العاملة، وبهذا يفترض (Gasscou) لحل هذا التناقض، أنه كان يتبع تطورا في نهاية العهد الإمبراطوري الأعلى، إذ تم حجز الكوريات تدريجيا للنخبة، على عكس ما كان سائدا في القرنين الأول والثاني حيث كانت مكانة الشعب كله وجميع المواطنين والكوريالبين متساوية، في حين يمكن أن يكون هناك اختلافات داخل كل كوريا.[1]

ترسل الكوريات بالفعل السفارات إلى أعضاء مجلس الشيوخ (Senateurs) أو وكلاء الفروسية (Procurateur équestres) المؤثرين حتى يوافقوا على أن يصبحوا رعاة المدينة، وعند الموافقة يتم إبرام عقد يحفر على لوح نحاسي، ويحتفظ به الطرفين يعرضه الرئيس في المنزل وفي المدينة بمكان عام، كما يمكنهم أيضا إظهار سيادتهم بشكل رمزي عن طريق هذه السفارات، بمطالبتهم بالترقية أو الحماية من البروكيراتور (Procurateur) الذي كان يفرض الضرائب.[2]

كانت الكوريا إضافة إلى ذلك هي التي تتحكم في الدخل والنفقات بمساعدة الكواستور (Quaestors) وهو ما يلزم الديكوريون على أن تمتلك ثروة معينة.[3]

فقدت الكوريات دورها بعد النظام الرباعي حيث اختفت من التوثيق الكتابي من ناحية ومن ناحية أخرى ذكر القديس أوغسطين أنه إذا كانت لا تزال موجودة فهي عبارة عن بقايا فقط، إلا أنه في الأساس لا يتغير دور الكوريات إذ تبقى الجهاز المؤسسي الأساسي للمدن، ويتم التأكيد على دورها المالي بشكل متزايد، والتي غالبا ما تصر على ثقل الضرائب الذي لا يطاق، وكان الكوريالبين هم من يختارون من بينهم محصلو الضرائب، وكانت المهمة ثقيلة وخطيرة، وقد صورت العديد من النصوص جشع هؤلاء الجامعين، لأنهم كانوا يركزون في تحصيلهم للضرائب على الضعفاء والفقراء، في حين كانوا لا يستطيعون بسهولة جعل الأعضاء الأقوياء في مجلس الشيوخ يدفعون ضرائبهم، وهنا تشير العديد من المصادر تهرب الأعيان من التزاماتهم، على عكس ما كانت تشهده فترة الإمبراطورية

1- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 150- 151.
2- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 140.
3- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 153- 155.

المبكرة نظرا لإثقال كاهله، وهي المشكلة التي حاول ثيودوسيوس (Theodosius) 347-395م، حلها عبر إصدار سلسلة كاملة من الدساتير والقوانين لمحاربة هجر الكوريالبين من مناصبهم، فشهد القرن الرابع أزمة في التوظيف البلدي وهو ما ترتب عنه اضمحلال المدن، في حين تظهر دراسة لوبلاي (C. Lepelley) أن الكوري لم يهجر و أن النظام البلدي استمر في العمل، وذلك لأنه كان الطريق الذي من خلاله يتم الدخول في مجلس الشيوخ، والذي أصبح سهلا منذ تمديد النظام في عهد قسطنطين، وإذا غادر البعض الكوريا فقد دخلها آخرون نظرا لارتفاع ثروتهم.[1]

محاولات الهروب هذه لم تتضمن مهنة سيناتورية حقيقية إذ لم يجلس الشرفاء الذين تمت ترقيتهم على أساس فخري في مجلس الشيوخ في روما، لكن هذه الترقيات جعلت من الممكن الهروب من الأعباء البلدية، عددهم الكبير في إفريقيا يثبت قبل كل شيء ثروة الوجهاء الأفارقة، الذين اضطروا إلى إنفاق مبالغ طائلة على المظاهرات الباذخة لتلبية طموحاتهم.[2]

ظلت الكوريات الإفريقية تتمتع بموهبة كافية لضمان دورها دون صعوبات كبيرة، وهو ما يعكسه الألبوم البلدي لتموغادي، الذي أحصى في قائمة 363 من أعضاء الكوريا مصنفة حسب التسلسل الهرمي[3]، فقد كانت الكوريات بمثابة الأرض الخصبة التي جند منها الأباطرة الفرسان وأعضاء مجلس الشيوخ.[4]

المطلب الثالث: الوظائف السياسية

1- الإمبراطور (Imperatoris):

يساعده حاكم برتبة برايتور (Les Préfets du Prétoire)، كان الإمبراطور يقرر كل شيء حيث يعين على سبيل المثال كذا وكذا في منصب معين، أما في وقت الحرب فيمكنه قيادة القوات بنفسه أو يفوض سلطته.[5]

وهنا يتضح أن الإمبراطور يجمع بين الوظيفة السياسية والعسكرية أيضا إذا اقتضى الأمر ذلك.

2- مجلس الشيوخ (Senatus):

سجلت المصادر مع نهاية القرن الأول أول سيناتور إفريقي، بعدها تزايد عدد الأفارقة في مجلس الشيوخ الروماني، إلى سبعين عضوا في الفترة بين القرنين الثاني والرابع، في موريطانيا مثلا شغل حوالي عشرون عضوا المنصب في القرن الثالث، وبعدها مثل الأفارقة

[1]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 152- 157.
[2]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 143.
[3]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 152- 157.
[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 142.
[5]- Le bohec (Y.), La vie quotidienne des soldats romains…, op. cit., p- 24.

حوالي 15 إلى 20 بالمائة من القوة العاملة في مجلس الشيوخ، فقد مرت العديد من العائلات أولا بنظام الفروسية.[1]

لوحظ في وظائف مجلس الشيوخ تداخل أيضا في المهام بين السياسي والعسكري، واختلفت هذه المهام من فترة إلى أخرى إذ نجد أباطرة كلفوا هؤلاء بكلا المهام، في حين فضل آخرون إعفاءهم من المهمة العسكرية فكان غاليان (Gallien) من الأباطرة الذين أصدروا مرسوما حرم به مجلس الشيوخ من ممارسة حق الخدمة في الجيش، وبهذا نجد أعضاء مجلس الشيوخ أحيانا يجمعون بين ممارسة السلطة المدنية والعسكرية وأحيانا يكتفون بالسلطة المدنية ويتركون المبادرة العسكرية لمحافظ الفروسية في الجحافل (Préfets équestres des légions)[2]، وفي هذا الصدد ذكر (Le Bohec) بعض الوظائف العسكرية التي مارسها أعضاء مجلس الشيوخ مثل :

الحاكم (Préfet) قائد الفيلق (Légat de Légion)، قائد جيش قنصلي (Légat d'armée Consulaire)، قائد الجيش البرايتوري (Légat d'armée Prétorien)، (Tribun Laticlave).[3]

3- الفرسان (équestre):

دخلت العائلات الإفريقية نظام الفروسية في وقت متأخر إلى حد ما، فحصل مئتان وثمانية وثمانون فارسا، على تكريم عام في المدن في الفترة بين القرنين الثاني والرابع، لم يكن لقب الفروسية وراثيا مثل لقب الكلاريسيمو الذي تم نقله إلى أبناء أعضاء مجلس الشيوخ، وكان من بين شروط دخول نظام الفروسية امتلاك ثروة كبيرة من الأرض وأن يكون موظفا في مهنة مثالية في الحياة البلدية، وتم قبول الأفارقة خاصة في القرنين الأخيرين، كما كان الباب مفتوحا أمام أعيان البلديات للحصول على خاتم الفروسية الذهبي، كما أن تعقيد الحياة البلدية فضل هذا الصعود، لأنها تتطلب معرفة قانونية ومالية قوية فلم تتردد القوة الإمبراطورية في تجنيد أذكى الأعيان الأفارقة.[4] وتنوعت وظائف الفرسان واختلفت رتبهم من وظيفة إلى أخرى.

تطرق يان لوبوهيك (Yanne le bohec) إلى تصنيفها وسنلاحظ مدى تداخل هذه الوظائف بين الدور السياسي والعسكري إذ تنتمي كل الرتب التي ذكرها تقريبا إما إلى الفيلق (Legion)، أو إلى الوحدات المساعدة في الفيلق (Unites auxiliaires de la legion)، حيث ذكر كل من رتبة برايتور (Pretoire)، البروكيراتور (Procurateur)، قائد الأسطول الإيطالي (Préfet de Flotte Italienne)، وينتمي كل من محافظ المخيم (Préfet du camp)، و (Tribuns angusticlaves) إلى الفيلق. في حين ينتمي رقيب الجناح (Tribuns d'aile)، رقيب الفوج (Tribuns de Cohorte)، محافظ الجناح (Préfets d'aile)، محافظ الفوج (Prfets de cohorte)، إلى

[1]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 269.
[2]- Chastagnol André, Le sénat romain à l'époque impériale. Recherches sur la composition de l'assemblée et le statut de ses membres, paris, 1992, p- 209.
[3]- Le bohec (Y.), La vie quotidienne des soldats romains…, op. cit., p- 24.
[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., pp- 269- 270.

الوحدات المساعدة في الفيلق، ويكون 16 أو 24 ديكوريون (Décurions) للأجنحة و 6 أو 10 قادة (Centurions) للأفواج.[1]

3-1 وكيل (Procurator):

كنا قد أشرنا في الوظائف العسكرية إلى تداخل جد كبير بين الوظيفة السياسية والعسكرية ومن بينها وظيفة البروكيراتور التي تمثلت في قيادته للوحدات المساعدة، وبالتالي كان البروكيراتور يمارس القوة العسكرية أيضا إلى جانب الوظيفة السياسية[2]، حيث يعتبر مندوبا شخصيا للإمبراطور تعدل صلاحياته تقريبا صلاحيات البروقنصل، والبروكيراتور من سلك الفرسان، من مهامه إدارة الشؤون المالية وكل المصالح الخاصة بالإمبراطور في المقاطعة، وفي حال شغور البروقنصلية وإلى غاية تعيين بروقنصل جديد، يخلفه البروكيراتور الذي في الغالب يكون سليل برجوازية المقاطعات ولا يتجاوز راتبه المائتي ألف سيسترس، أي خمس راتب البروقنصل وهو ما يؤدي في معظم الأحيان إلى منافسة وظهور عداوة بينهما.[3]

3-2 وكيل الفروسية (Procurator équestre):

يشير فرونسوا جاك (Francois Jacques) في هذا الإطار إلى أن هذا النوع من الوظائف لم يكن موجودا في إفريقيا واقتصر على بايتيكا (Bétique) ولوسيتانيا (Lusitanie)، حتى أن الأباطرة لم يرغبوا في اختيار أمناء من مجموعة الموظفين المدنيين ذوي الخبرة المكونة من وكلاء الفروسية حتى في إفريقيا، وبهذا يوحي إلى أنه في فترة ما كان الوكيل كأمين (Curateur) ويستدل بعدم معرفة الرتبة الحقيقية لـ (P. Aelius Rusticus)، أمين (Curateur) سوفيتولا (Sufetula) عام 196م.[4]

المطلب الرابع: الوظائف الدينية

يشتمل المسار الوظيفي البلدي على غرار النظام القضائي أيضا على نظام ديني يتكون من عدة مسؤولين في مجال الدين يمكننا ذكرهم على التوالي:

1- الراهب الأكبر (Pontifex):

مسؤول عن الحياة الدينية المحلية وغير معروف بالضبط إذا كان يجري تجديدهم كل عام أم ينتخبون مدى الحياة في مدن معينة[5]، في حين نجد حموم يشير إلى أنه يتم انتخابهم أو اختيارهم من قبل الكهنة بعد تسديدهم للمبالغ الرسمية والشرفية، وحسب النقائش التي تم العثور عليها فإن هؤلاء الأفراد تولوا من قبل مهاما مدنية وعسكرية وقضائية، قناصل، ممثلين، مبعوثين للإمبراطور في مهام مختلفة، حتى قدماء الجند فقد تولت نسبة معتبرة منهم

---

[1]- Le bohec (Y.), La vie quotidienne des soldats romains…, op. cit., p- 24.
[2]- Ibid, p- 25.
[3] - بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص ص 17- 18.
[4]- Francois Jacques, Le privilège de liberté politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'occident romain (161- 244), l'école M. F. R, Roma, 1984, p- 235.
[5]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 136.

مهاما كهنوتية أخرى، وأعضاء في المجامع الصودالية والأخويات، وتعتبر هذه الهيئة من بين الهيئات الدينية المهمة على الإطلاق، كونهم أول المسؤولين في المدينة عن تسيير الشؤون الدينية وأداء الفعل المقدس ويشكلون مجامع تحت قيادة مسؤول منتخب (Magister).[1]

2- عراف (Augur):

يجهل المؤرخون أيضا طريقة تعيينهم مثل الرهبان[2]، والعراف عضو في هيئة تحت قيادة رئيس المجمع Magister Augurum، ويعمل المجمع كله تحت مراقبة مجمع الرهبان الذي يتولى تسييره في جميع أعماله، ويساعد العراف الرهبان في مختلف مهامهم بمثابة أحد الأعوان المباشرين، وقد كان لهم دون شك أدورا أساسية في مجالات متعددة داخل المدينة وفي المجتمع وشؤون الحرب والسياسة، حيث كانوا كمستشارين في اتخاذ جل القرارات.[3]

3- الكاهن (Flamen):

يتم انتخاب الفلامين الدائم كل عام إلا أنه يحتفظ بلقبه مدى الحياة، وهناك كهنة يحملون لقب القاضي ومثاله كهنة سيريس (Cérès) في قرطاج، وبهذا فإن الكهنة الذين يحملون هذا اللقب لهم مسؤوليات متعددة منها ترأس تضحيات الأعياد البلدية، تنظيم العروض المنصوص عليها في التقويم المحلي على حساب المدينة، والسهر على صيانة المعابد و إدارة دخلها وتحصيل الغرامات وتحقيق العدالة[4]، وكانت شخصية الفلامين أعلى شخصية في المدينة.[5]

كان الكهنة حسب ماريا سيلفا (Maria Silva) جزء من رتبة الديكوريون، الذين كانوا مسؤولين بأنفسهم على مهمة انتخاب الكهنة، وكان يستحيل تحديد عدد الكهنة المنتخبين سنويا في كل مركز[6]، وأشار بعض المؤرخين إلى أن وظيفة الكاهن كانت محتكرة من قبل بعض العائلات كما أصبح الكهنة طبقة مميزة تسعى لخدمة مصالح روما، كما أن ممارستهم للوظيفة السياسية دفعتهم إلى التخلي عن المبادئ الدينية[7]، فقد جاء الفلامين من عائلات كبيرة من الأعيان نظرا لأن الوظيفة كان لها أهمية كبيرة، إلا أن النقائش أشارت إلى أن بعض قدامى الجند تولوا المهمة.[8]

---

[1]- حموم توفيق، المنظومة الدينية لمجتمع مدينة سيرتا أثناء الاحتلال الروماني، مجلة العلوم الاجتماعية، ع22، 2016، ص 100.

[2]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 136.

[3] - حموم (ت.)، المرجع السابق، ص 100.

[4]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 161.

[5]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 136.

[6]- Bassignano Maria Silva, Il flaminato nelle province romane dell' Africa, Copyright, Roma, 1974, p- 13.

[7]- Desanges Jahan, Bassignano (M. S.), Flaminato nelle province romane del l'Africa. In: Revue belge de philologie et d'histoire. tome 53. fasc. 4, 1975. Histoire (depuis antiquité) Geschiedenis (sedert de Oudheid), pp- 1314-1316, p- 1315.

[8]- Montagne (G.), op., cit, p- 284.

تشير ماريا سيلفا نقلا عن مومسن (Mommsen) وتوتان (Toutain) أن وظيفة الكاهن محددة بسنة واحدة، فيكون لقب الكاهن الدائم (Flamen Perpetuus) عبارة عن لقب فخري لا غير، يمنح لهم بعد سنة من توليهم المنصب ، ويختلف جوليان (C. Jullian) معهما حسب ماريا سيلفا حيث اعتبر أنه لم يثبت بعد أن الكاهن البلدي شغل منصبه لمدة عام واحد فقط، و رأى في منصب الكاهن الدائم كهنة يعينون مدى الحياة.[1]

4- الكهنوت (Sacerdos):

يبرز منها الكهنوت الدائم والمسؤول عن العبادة الإمبراطورية، وتعد قمة المهنة البلدية ومخصصة لنخبة الأعيان.[2] يعتبر الكهنوت (Sacerdos) في درجة أسفل بالنسبة للكاهن (Flamen).[3]

تختلف أهمية هذه الوظائف من مدينة إلى أخرى، فبقدر ما كانت شهرة ومفخرة المدينة كبيرة بقدر ما كانت شهرة ومفخرة الوظيفة كذلك، إذ يرتبط الأمر أيضا بقيمة المبالغ المدفوعة لنيل الشرف، والتي حددتها أيضا مدى ازدهار المدينة وتطورها، إذ يرتفع في المدن الكبيرة ويكون بسيطا في المدن الثانوية وذلك حسب مكانتها ووضعيتها القانونية، فعلى سبيل المثال لنيل وظيفة الكاهن كانت القيمة مرتفعة جدا في كيرتا، مقارنة بالمدن الأخرى إذ قدر المبلغ المدفوع ب 82000 سسترز، في حين كان في تيمقاد 40000 سسترز أما لمباز فحدد ب 12000 سسترز والأمر نفسه بالنسبة لبقية الوظائف ، كما يتضح أن مبلغ الحصول على الوظائف الدينية مرتفع جدا مقارنة ببقية الوظائف سواء الإدارية أو القضائية.[4]

المبحث الثالث: سياسة ترقية الأفراد والمدن

المطلب الأول: الترقيات الفردية.

كانت البدايات الأولى لمنح الجنسية الرومانية لعدد من الشعوب، قد انطلقت منذ عهد يوليوس قيصر (Julius Caesar) مع أواخر العصر الجمهوري، فكان بمثابة تشجيع للمستوطنات الرومانية خارج إيطاليا للتمسك بالنظم والفكر والروح الرومانية، واستمر ذلك إلى العصر الإمبراطوري، إذ بدأ الاتجاه نحو الزيادة من منح الجنسية الرومانية خاصة في عصر الأباطرة الصالحين.[5] فوفقا لمعايير الاستيعاب للشروط القانونية الجديدة التي نقلتها الإدارة القائمة، والقيم الثقافية المنتشرة على نطاق واسع في هذا السياق لغرب البحر الأبيض المتوسط حيث حلت روما محل قرطاج، تم تقسيم المنظمات المجتمعية إلى عدة فئات ذات

---

[1]- Bassignano (M. S.), op. cit., p- 15- 16.
[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 161.
[3]- حموم (ت.)، المرجع السابق، ص 98.
[4]- نفسه، ص 102- 104.
[5] - الناصري أحمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية (السياسي والحضاري)، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص 326- 328.

مستوى متفاوت، ويترتب على ذلك كقاعدة عامة أن الوضع يختلف باختلاف أنواع البلديات التي يقيمون فيها إلا أن هذا التفاوت سينتهي مع إصدار قانون كركلا عام 212م.[1]

اعتمدت روما سياسة منح الأوسمة كوسيلة للتشجيع، ونشر روح المنافسة بين السكان المحليين للحصول على أنصار لها في العديد من المناطق والمدن والأرياف، فكان تعميمها للترقيات الفردية و إغداقها بها على العائلات الإفريقية وكل أفرادها التي تعود عليها بالمنفعة، تزيد من الأفارقة جيلا بعد جيل في مجال الوظائف المختلفة، لأجل الاستفادة منهم في خدمة وتسيير أمور المقاطعة الإفريقية، فتكونت في المدن طبقة برجوازية توارثت شؤون الحكم وتضامنت مصالحها مع مصالح الرومان وهو ما جعلها تضمن ولاءها لروما، وأبرز دليل على ذلك قانون سنه زعماء سلا (Sala)، في صالح سولبيكيوس فيليكس (M. Sulpicius Felix) في عهد أنطونيوس بيوس سنة 144م، الذي يدل على حنكة الموظفين الرومان في كسب حلفاء، لهم دون أن تعتمد نجاحاتهم تلك على اعتراف من السلطة الرسمية، وقد كان ينتخب من بين برجوازية البلديات رجالها المرموقين، وفي ذلك عديد الأمثلة نذكر منها؛ عنونة (Thibilis) موطن عائلة أنتيستي (Antisti) التي اشتهرت منها شخصيتين، لعب أحدهما دورا في عهد ماركوس أوريليوس والثاني على الأغلب أنه كان صهره، في الفترة نفسها تمكن أحد سكان سيكا فنيريا (Sicca Veneria) الكاف حاليا من تقلد مهام وزارة المالية (Pocuratur Arationibus)، في حين عين شخصين من عائلة آتيي (Attie) كواليين يجمعان بين إمارة جيوش إيطاليا ورئاسة مجلس التعقيب، أحدهما من هنشير قصبات (Thuburbo Maius) والآخر من هنشير الداموس (Uchi Maius)، وفتحت الإمبراطورية الرومانية المجال أمام روح المبادرة المحلية في المجال المالي والقانوني، على غرار تركها للأنظمة البلدية التي كانت كل إطاراتها من السكان المحليين كما كانت من قبل، فقد كان لكل مدينة كيانها الذاتي يتولى شؤونها حكام منتخبون، فكان الهدف هو منح الحرية في كل مظاهر الحياة العامة بهذه الولايات.[2]

تجلت هذه الحرية في نقطة مهمة هي وجود (aediles) و (Duumvirs)، في المدن التي لم تكن بلديات أو مستعمرات وتمتلك القانون اللاتيني فقط، حيث ظل السكان هناك مرتبطين بالماضي وفضلت السلطة المركزية أولا خلق النخب المرومنة من خلال ممارسة السلطة القضائية، بدلا من تسريع عملية الرومنة.[3]

المطلب الثاني: الترقيات الجماعية.

اتسع مجال منح المواطنة الرومانية بعدما كان يقتصر على الأفراد وعائلاتهم، ليشمل مدنا بأكملها وهو ما يمكن أن نستدل عليه بحالة إحدى المستعمرات الفلافية وهي مستعمرة هيبو ريجيوس (عنابة) التي تحصلت على القانون الروماني وكانت أول مستعمرة شرفية في

---

[1]- Decret (F.), Fantar (M.), op. cit., p- 195.

[2] - شارل (أ. ج.)، المرجع السابق، ص 203.

[3]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 136.

مقاطعة إفريقيا، وبهذا لم تعد المسألة هذه المرة عبارة عن تسوية وضع المستعمرين وقدامى المحاربين في الجيش الروماني، وإنما مسألة استيعاب جميع السكان الأحرار في المدينة، الذين أصبحوا من خلال وضع مدينتهم مواطنين رومان، وبهذا صار الاندماج القانوني لا يقتصر على الأفراد فقط وإنما للمدن الإفريقية أيضا[1]، فمنذ القرن الثاني نشهد منحا كبيرا للجنسية الرومانية الجماعية للمدن الإفريقية، هذه الرومنة القانونية تمثلت في ترقية المدن الأجنبية إلى وضع البلديات بموجب القانون اللاتيني أو الروماني، وحتى إلى مستعمرات شرفية والتي سبقت كثيرا وبفارق كبير العملية الثقافية، فتمت رومنة سكان المدن بطريقة طبيعية وتدريجية[2].

عندما خلفت الأسرة اليوليوكلاودية (14م- 68م) الأسرة الفلافية (68- 96م)، وتضاعفت عدد المدن الأجنبية التي كانت رومنتها متقدمة جدا، والتي تمت ترقيتها إلى وضع البلدية (Municipe) أو المستعمرة الشرفية (Colonie Honoraire)،[3] بعد ذلك قام هدريانوس (Hadrianus) 117- 138م على وجه الخصوص بزيادة هذه الترقيات الجماعية، فقام بإنشاء أربعة عشر بلدية في مقاطعة إفريقيا وحدها، ومنح مكانة المستعمرة الشرفية لأوتيكا (Utica)، وبولا ريجيا (Bulla Regia) حمام دراجي حاليا وزاما ريجيا (Zama Regia) جامة، ثايناي (Thaenae) طينة حاليا، جميع سكان المستعمرات هم مواطنون رومان سواء بالأصل أو بالقانون، وقد منحت هذه المدن دستورا على غرار دستور روما (مع مجلس الشعب ومجلس الشيوخ والديكوريون والقضاة)، ولم يكن من الممكن تطبيق سوى القانون الروماني هناك، كما كانت إدارتهم مستقلة ومع ذلك ما لم يتم منح الإعفاء (الحصانة) تظل المستعمرة مسؤولة عن ضريبة أراضي المقاطعة التي تقع عليها، بغض النظر عن الأحوال الشخصية لشاغلي هذه الأراضي.[4]

حصلت كل من حضروميتوم (Hadrumetum) (سوسة) ولبتيس ماغنا (Lepcis Magna) (لبدة في طرابلس) على هذه المكانة في عهد تراجان (Traianus) 98- 117م، في حين حصلت عليها مكتاريس (Mactaris) (مكثر) من ماركوس أوريليوس.[5]

استدركت بعض المدن الأجنبية والتي لم يتم ترقيتها نفسها منذ عهد ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) 161- 180م، كومودوس (Commodus) 176- 192م، وسبتيموس سيفيروس لتتحرر من صفة المدن الأجنبية[6]، وقد فسر بعض المؤرخين الأوربيين هذه السياسة؛ بالربط بين سياسة البلدة ومنح المواطنة للأهالي؛ بمعنى انتشار الرومنة مرهون بانتشار البلديات (Municipalisation c'est la romanisation)، وهو الأمر الذي

1- Mahjoubi (A.), Ville et structures urbaines…, op. cit., p- 41.
2- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 343.
3- Mahjoubi (A.), Ville et structures urbaines…, op. cit., p- 41.
4- Decret (F.), Fantar (M.), op. cit., p-196.
5- Mahjoubi (A.), Ville et structures urbaines…, op. cit., p- 41.

6 - بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 26.

زادها تعقيدا، حيث يوحي ذلك بأن إنشاء بلدة ما أو إصدار قرار بمنح حق المواطنة الرومانية لمدينة ما؛ يعني أن سكان هذه المدينة أو تلك أصبحوا يتمتعون كلهم بالمواطنة الرومانية بصرف النظر عن أصولهم وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية المتباينة.[1]

ختم كركلا (Caraclla) 211- 217م هذه السياسة بمرسومه الذي أصدره عام 212م، والذي يمنح (حق المدينة) لكامل رعايا الإمبراطورية الأحرار، وكأنه ينهي بذلك سلسلة الترقية الجماعية، التي كادت تشمل الجميع في إفريقيا نظرا لأن هذا النوع من الترقية سبق قانون كركلا[2]، إلا أن قانون كركلا لم يولي الاهتمام بالأفراد، ولم يقض على الفوارق القانونية بين المدن الأجنبية ومجتمعات القانون اللاتيني والبلديات والمستعمرات، لذلك استمرت عمليات الترويج للمدن في جميع مقاطعات بلاد المغرب، التي كان أبرزها في عهد كومودوس آخر إمبراطور في الأسرة الأنطونينية، وتوالت في عهد كركلا وألكسندر سفيروس خلال حكم الأسرة السفيرية، ثم غالينوس بعد منتصف القرن الثالث ميلادي.[3]

منح كركلا لجميع سكان الإمبراطورية الرومانية تقريبا الجنسية، إذ لم يعد هناك تمييز بين المدينة (Civitas) و البلدية (Municipium) والمستعمرة (Colonia) كما أصبح كل فرد مواطنا رومانيا، كان من المفترض أن يضع هذا القانون حدا للترويج للمدن الإفريقية، لكن الترقيات استمرت إلى غاية عهد جاليانوس (Gallianus) 253- 268م، ويؤكد جاك غاسكو (Jacques Gascou) على العدد الكبير لهذه الترقيات.[4]

المبحث الرابع: النخبة الإفريقية المحلية خلال القرنين الأول والثاني "دراسة نماذج"

سنحاول في هذا العنصر الحديث عن بعض الشخصيات المحلية، وذلك للإشارة إلى أن البدايات الأولى لارتقاء الأفارقة في عديد المناصب باختلاف مجالاتها، كانت تعود لفترة مبكرة جدا وتبدأ غالبا من القرن الأول ميلادي، حيث كانت بمثابة الانطلاقة لذلك التزايد الذي سيشهده القرنين الثالث والرابع للميلاد، وهو ما يشير أيضا في الغالب إلى انتقال المناصب جيلا بعد جيل، إذ كان هؤلاء الأوائل يصنفون ضمن الجيل الأول ويليهم الجيل الثاني الذي سيلحظ تطورا كبيرا وطفرة نوعية منذ القرن الثالث، خاصة في ظل ما سمي بالإصلاحات السيفيرية، التي صبت اهتمامها الكامل على العنصر المحلي، من خلال التسهيلات التي قدمتها للحصول على المواطنة الرومانية، وهو ما سيتضح أكثر بذكر نماذج عن عائلات وشخصيات ارتقت في سلم الوظائف كما ورّثت أبناءها وأحفادها من بعدها مناصب ومهام إدارية مهمة في ظل حكم الإمبراطورية الرومانية.

تجدر الإشارة أولا إلى أن عملية الاستدلال بنماذج لشخصيات محلية ليست بالأمر الهين وهو ما سيتماشى معنا إلى نهاية البحث، إذ لا بد من التأكد بشكل جيد من أصل

---

[1] - شنيتي (م. ب.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 175.
[2] - بيكار (ج. ش.)، المرجع السابق، ص 26.
[3]- Mahjoubi (A.), Ville et structures urbaines…, op. cit., p- 42.
[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 127.

الشخصية اعتمادا على دراسة الألقاب والكنى، التي تعتبر موضوع معقد وشائك نظرا للتغيير الذي يمكن أن يحدثه الأفارقة على أسمائهم بعد حصولهم على المواطنة الرومانية، فهناك من يتخلى على الاسم الأصلي مباشرة، في حين يوجد من يحافظ على اللقب أو الكنية أو يترجم الاسم إلى اللاتينية، وعليه يمكننا الإشارة إلى بعض العائلات والشخصيات التي كان لها وزن كبير في إفريقيا خلال القرنين الأول والثاني للميلاد، كما لا بد من الإشارة إلى أن عدد هذه الفئة التي اعتلت مراتب عدة كانت نسبتها معتبرة حسب إحصائيات المؤرخين، ونحن لا يسعنا المقام لإجراء جرد كامل لها إذ سنكتفي بذكر بعض الأمثلة من مختلف المقاطعات الإفريقية:

المطلب الأول: نماذج من القرن الأول

1- كوينتوس أورليوس باكتيميوس فرونتو (Quintus Aurelius Pactumeius Fronto):

تعود أصول كوينتوس إلى كيرتا وكان ذا شأن كبير لدى الأسرة الفلافية، كما كان تقدمه سريعا جدا، إذ لم تفصل بين وظيفته ك (adelectio inter praetorios) والقنصلية إلا 06 سنوات، لم يعرف له أبناء غير باكتوميا (Pactumeia) وسيعرف أيضا فيما بعد حفيده كقنصل خلال القرن الثاني والذي سنتطرق إليه هو الآخر.[1]

كان باكتيميوس قنصلا عام 80م وهو أول قنصل من إفريقيا، يشير ذكر كونه القنصل الأول من إفريقيا بأنه يعطي أهمية كبيرة في بداية تنصيب المقاطعات في المكانة العالية، وكانت إفريقيا قد تفوقت في إنتاج قناصل، عثر على نقيشته على رخام في كيرتا بشمال إفريقيا.[2]

النقيشة:

[Q(uinto) Aur(elio) Pactumeio P(ubli) f(ilio) Quir(ina) Frontoni in senatu inter praetorios allecto] / [ab I]mp(eratore) [Cae]s(are) V[espasi]/[a]no Aug(usto) et Tito / Imp(eratoris) Aug(usti) f(ilio) sacerdoti fe/tiali praef(ecto) aerarii / militaris co(n)s(uli) ex Afric[a] / [p]rimo Pactumeia VEV/[3]/[3] patr[i o]pt[i]mo.[3]

الترجمة:

النقيشة مكرسة لكوينتوس أوريليوس باكتيموس فرونتو، ابن بوبليوس من قبيلة كويرينا، المسجل بين البرايتوريين في مجلس الشيوخ، من قبل الإمبراطور القيصر فسباسيانوس أوغسطس والإمبراطور تيتوس ابن أوغسطس عضو في الكهنوت، حاكم الأيراريوم العسكري، أول قنصل من إفريقيا "باكتوميا"... كرس النصب كإهداء لأفضل الآباء.

---

[1]- Corbier Mireille, L’aeraium satumi et l’aerarium militare. administration et prosopographie sénatoriale, Rome : M. F. R, 1974, PP. 3- 972 (Publications de M. F. R, p- 372.

[2]- Warmington (B. H) et autre, Inscriptions of the roman empire AD 14- 117, édition 2, Cambridge university Press, 2023, p- 46.

[3]- CIL 08, 07058 = CIL 08, 19427 = D 01001 = ILAlg-02-01, 00644 = AE 1914, 00247.

تعليق:

أقر "ورمنقتن" حسب دراسته المعتمد عليها في دراسة الشخصية بأن الأصول الحقيقية لها ليست من إفريقيا، وإنما يعود سلفه إلى المستوطنين الإيطاليين الذين وطنهم يوليوس قيصر في شمال إفريقيا عام 46 ق.م، لكن بالرجوع إلى دراسة الألقاب والكنى نجد (Pflaum) قد أدرج في دراسته الاسم العائلي (Pactumeius) ضمن قائمة الألقاب الكيرتية.[1]

بقي هذا الاسم العائلي يشهد روادا في القرن الثالث، إذ ورد في نقيشة الكوريا كموديانا (Curia Commodiana) بتيمقاد والتي أرخت بحوالي 211- 212م، وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الدراسات، أشارت إلى أن بعض الألقاب والأسماء العائلية الرومانية قد تبناها العديد من الأفارقة وانتشرت في مختلف المناطق.

2- كوينتوس أوريليوس باكتيميوس كليمنس (Q. Aurelius Pactumeius Clemens):

تعود أصوله إلى كيرتا وهو أخ كوينتوس أوريليوس باكتيميوس فرونتو، وكلاهما مسجل ضمن أعضاء مجلس الشيوخ برتبة برايتور من قبل فيسباسيان (Vespasien) و تيتوس (Titus) سنوات 72- 74م، وهما شقيقين مرتين من والدهما الطبيعي ومن والدهما بالتبني.[2]

المطلب الثاني: نماذج من القرن الثاني

1- أنطونيا ساتورنينا (Antonia Saturnina):

وهي من عائلة ثرية جدا من كيرتا، والتي عرفت بممتلكاتها الكبيرة في إفريقيا، كما كانت تملك فيلا تقع على قمة تل صغير يسيطر على منابع عين مشيرة (Ain Mechira)، حيث كانت أنطونيا ساتورنينا من طبقة النبلاء في مجلس الشيوخ، وقد أشار نقش (Mechira) إلى أن أنطونيا ساتورنينا كانت مؤسسة لمدينة ذات سوق نصف شهري (Uicum) و (Nundina) وكانت زوجة ك. أريوس بكاتوس (C.Arrius Pacatus) وخالة أري أنتونينوس (Arrii Antoninus) و ماكسيموس (Maximus) و كاتوس (Pacatus)، وقد كان زوجها عضو في مجلس الشيوخ وامتاز بثرائه الذي يظهر من خلال بنائه لـ (Balineum Pacatianum) في المدينة على نفقته الخاصة، وسعى إلى مناصب مهمة للغاية داخل الإدارة الرومانية، كما برز كرمه عند المجاعة التي أصابت إيطاليا سنة 166- 167م بإرساله لسفن من القمح إلى روما، أما أحد أبناء أنطونيا ساتورنينا وهو (C. Arrius Antoninus) فقد كان يملك عقارا في كاف تايزروت (Kaf Tazerut) شرقي كيرتا.[3]

2- كايوس أريوس أنطونينوس (C. Arrius Antoninus):

---

[1]- Pflaum Hans-Georg, Remarques sur l’onomastique de Cirta, lims studien, Basel, 1957, p- 96- 133, p- 131.

[2]- Carcopino Jérôme, Note sur un fragment épigraphique récemment découvert à Constantine. In : comptes rendus des séances de l’académie des inscriptions et Belles- Lettres, 58 année, N. 1, 1914, pp- 32-36. p- 35.

[3]- Chaouali Moheddine, Les nundinae dans les grands domaines en Afrique du nord à l'époque romaine, In: A. A, 38-39,2002. pp- 375-386, p- 380.

كان صديقا لفرونتون الكيرتي وهو من موطنه أيضا، كلاريسيم (Clarssime) ومسجل في قبيلة كويرينا، عين كراعي (Patron) للمستعمرات الأربع للكنفدرالية الكيرتية، نصب له تمثال في كيرتا وبلا أدنى شك هو من نوميديا، إذ تشير الكثير من الوثائق إلى هذا السيناتور المعاصر لماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) و كومودوس (Comodus)، كما عثر على ثلاثة عشر نقشا لاتينيا وإغريقيا يحمل اسمه، ثلاث رسائل موجهة إليه من فرونطون، وقد نقلت ذكرى حكم كومودوس (Comodus) عليه بالإعدام في مقطعين من تاريخ أوغسطس (Histoire Auguste)، كما عرف موقفه تجاه المسيحيين أثناء ولايته كبروقنصل في آسيا عن طريق ترتيليان (Tertulianus)، إلا أن هذه الوثائق لا تسمح لنا بوضع تسلسل زمني دقيق لمسيرته المهنية، وحتى تاريخ قنصليته غير معروف من النقشين اللذين يقدمان سيرته فأحدهما مكتوب بشكل سيء لأنه يفتقد عددا معينا من المواضع التي يجب أن تظهر هناك، والنقش الآخر مشوه، ومن خلال قاعدة التمثال التي عثر عليها في كيرتا، على الرغم من أن الحروف الأولى من النقش مفقودة (النص 2)، اتضح منصبه كبرايتور وصي (Praetor Tutelaris)[1]، هذا النص متأخر عن نص كونكورديا (Concordia)[2]؛ عضوية السيناتور في هيئة (des sodales Marciani Antoninani) تضعه بعد وفاة ماركوس أوريليوس وبالتالي يكون في 180م، كما تم من خلال ثلاث نقوش من سرميزجتوس (Sarmizegetusa) النص 3، 4، 5، معرفة أن أريوس أنطونينوس تقلد منصب (Lgatus Augusti Pro Praetore Conularis Trium Daciarum)، نظرا لتلف المادة العلمية التي قدمت لنا معلومات عن الشخصية، فإن الحديث عن حياة أريوس يشوبها بعض الخلط لذا سنحاول إعادة فحص مهنته بالتسلسل.[3]

بدأ (C. Arrius Antoninus) في عهد الإمبراطور أنطونيوس (Antoninus) بداية متواضعة في روما بصفته (Quattuorvir Viarum Curandarum)، وهو شاب إفريقي ذو أصل كيرتي (Cirta)، أخذته الخدمة العسكرية إلى سوريا حيث كان يتمركز فيلقه؛ الفيلق الثالث السيثيكي (La III Scythica) سمح له منصبه ككواستور (questure) البقاء في روما مع مكانة الشرف التي يحظى بها ككواستور حضري (questure Urbain)، وإذا اتبعنا الكيرتيين الذين يعرفون حياته المهنية جيدا فيمكن أن نضع بعد منصبه ككواستور، عضو في فصيلة الفرسان الرومان (Sevir Equitum Romanorum) وهي وظيفة الشباب، وقد ذكرت ديكوريونات كونكورديا أيضا هذه المرحلة مع الاسم المحتمل الآخر (Sevir Equestrium Turmarum)، إلا أنهم لم يشيروا إلى وظيفته كـ (questure)، بعدها حصل أريوس (Arrius) على منصب ثقة بصفته (ab actis senatus) أشرف على صياغة تقارير مجلس الشيوخ، يحصل معظم أصحاب هذه الوظيفة

---

[1]- Corbier (M.), op. cit., p- 258.

[2]- نص كونكورديا (Concordi): قام مجلس بلدية كونكورديا في فينيتي (Vénétie) برفع الشكر لأول مرة إلى أريوس أنطونيوس، الذي ضمن إمداد المدينة بالقمح في أوقات الندرة، وفي الفترة التي قدموا فيها النقش كان هذا الأخير يمارس مهام محافظ الخزانة في روما، ولهذا السبب يقدم النص مسارا غير مباشر يصل إلى المناصب البرايتورية. للمزيد ينظر: Corbier (M.), op.cit., p- 258.

[3]- Corbier (M.), op. cit., p- 259.

الفخرية على (L'édilité Curule)، وبمناسبة كونه برايتور (Preture) تلقى من الإمبراطورين ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) ولوكيوس فيروس (Lucius Verus) (a sanctissimis Imperatoribus) اختصاص الجناح، وهذه الصفات الجديدة جعلته أول (Praetor Tutelaris)، كما عيناه أيضا كتكريم له في منصب (iuridicus)، إضافة إلى حصوله على حكومة داسيا (Dacie) بعد سنوات قليلة من قنصليته، كانت مسيرة السيناتور الإفريقي حافلة جدا وقد كانت المهام التي تعهد إليه هي وظائف متخصص في المسائل القضائية والمالية، بعد منصب القنصلية كان يحكم مقاطعتين إمبراطوريتين مهمتين، ويشهد تعيينه في كابادوكيا (Cappadoce) بعد ثورة أفيديوس كاسيوس[1] (Avidius Cassius) على أن الإمبراطور عهد إليه بأهم المهمات، كما كان يحظى بمكانة عالية وتقدير كبير من قبل الإمبراطور ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius)، الذي يستدعيه في الظروف الحرجة نظرا لمهاراته العالية.[2]

3- كوينتوس لوليوس أوربيكوس (Quintus Lollius Urbicus):

أول نوميدي يدخل مجلس الشيوخ الروماني، ولد في تيديس في أوائل القرن الثاني ميلادي حوالي 110م، هذا الشاب المحلي الذي أصبح أحد الشخصيات الرائدة في الإمبراطورية الرومانية عرف بحدة ذكائه وكان مثالا رائعا للنجاح الشخصي والترقية الرسمية.[3]

كان في البداية مسؤولا عن صيانة الطرق (Quattuorvir Viarum Curandarum)، في كامل إقليم كيرتا التي تضمنت تيديس (Tiddis)، ميلاف (Milev) ميلة حاليا، روسيكاد (Russicade) سكيكيدة، و شولو (Chullu) القل، أمضى خدمته العسكرية في الفيلق الروماني الثاني والعشرين 22 في جرمانيا العليا (Haute Germaine)، أصبح مواطنا رومانيا في وقت لاحق وتم ترقيته إلى منصب الكويستور (Questeur) _ القاضي الروماني المسؤول عن إدارة الأموال العامة_ في تدمر (بالشرق الأوسط حاليا)، ثم بروقنصل (Proconsul) حاكم الولاية، سرعان ما ارتقى في الرتب نظرا لتمتعه بالاستراتيجية العسكرية، حصل على قيادة الفيلق العاشر في الحملات الرومانية[4].

جعل تميزه الاستثنائي الإمبراطور هادريان (Hadrien) يختاره كمرشح لمنصب الكهنوت، أصبح لوليوس قنصلا قبل انتهاء المدة التنظيمية المطلوبة التي تقدر بخمس سنوات، وذلك نظرا لتميزه في الحرب ضد اليهود، حيث تم تزيينه بحربة الشرف وتاج ذهبي، بعدما كلفه هادريان بإخماد ثورة بار كوخبا (Bar Kokhba) بين 132- 135م ليهود

[1] - ثورة أفيديوس كاسيوس (Avidius Cassius): تمرد أفيديوس عام 175م على الغمبراطور ماركوس أوريليوس واستولى على الحكم، ثم عين على الفور أحد أنصاره البارزين حاكما برايتوريا، بعد انتصار ماركوس عليه نفاه إلى جزيرة وقُتل الحاكم البرايتوري لأفيديوس. للمزيد ينظر: de Laet Sigfried J. Note sur deux passages de l'Histoire Auguste. In: L'antiquité classique, Tome 13, fasc. 1, 1944, pp. 127-134, p- 128- 129.

[2]- Corbier (M.), op. cit., p- 260- 267.

[3]- Filah M. el Mostefa et Amrous Farida, Castellum tidditanorum tiddis, Quintus Lollius Urbicus et sont mausolée, Revue d'études archéologiques, Volume 19, N°1, 2021, pp- 434- 456, p- 438.

[4] - Corbier (M.), op. cit., p- 443.

تدمر، في عام 136م تم تعيينه حاكما لمقاطعة جرمانيا السفلى (Bass Germanie)، ثم بريطانيا عام 139م كمكافأة على مآثره العظيمة[1]، بعدها أصبح حاكما لمدينة روما (Praefectus urbi) بين 150 و160م، ليس من المؤكد أنه هو الحاكم الذي توفي سنة 160م[2].

النقيشة:

M(arco) Lollio Senecioni patri / Graniae Honoratae matri / L(ucio) Lollio Seni [f]r[at]ri / M(arco) Lollio Honorato fratri / P(ublio) Granio Paulo avonculo / Q(uintus) Lollius Urbicus praef(ectus) urbis].[3]

الترجمة:

النقيشة للأب ماركوس لوليوس سانكيوني والأم قرانيا أونوراتا، والأخ لوكيوس لوليوس سانيكيوني والأخ ماركوس لوليوس أونوراتوس والعم بوبليوس غرانيوس باولوس، شغل كوينتوس لوليوس أوربيكوس منصب محافظ المدينة.

4- ل. أوكتافيوس كورنليوس سالفيوس يوليانوس أميليانوس (L. Octavius Cornelius Salvius Iulianus Aemilianus):

(Post eum, Salvius Iulianus rempublicam invasit, vir nobilis et iuris peritissimus, nepos Salvii Iuliani, qui sub divo Hadriano perpetuum composuit Edictum.)

(ومن بعده تولى السلطة سالفيوس يوليانوس وكان رجلا نبيلا وفقيها ويستشار لمهاراته العالية، حفيد سالفيوس يوليانوس الذي قام بتأليف المرسوم الدائم في عهد هادريان المؤله.)

تم تكريم ل. أوكتافيوس كورنليوس سالفيوس يوليانوس أميليانوس ابن بوبليوس (Publius)، بمناسبة تعيينه قنصلا في إفريقيا حيث وضع له تمثال من قبل سكان بوبوت (Pupput)_ وهي مستعمرة رومانية تقع على بعد حوالي ثلاثة كليومترات شمال غرب مدينة الحمامات التونسية_ الذين اتخذوه راعيا (Patron) لهم، وتحمل قاعدة التمثال منهج الفقيه الشهير رئيس المدرسة السابينية (Sabinienne)، الذي عهد إليه هادريان بصياغة المرسوم الدائم، وقد أثارت مهنة سالفيوس الاهتمام لوقت طويل، وتشير الدراسات التاريخية إلى أنه ليس هناك شك في كونه القنصل الذي يحمل الاسم نفسه لعام 148م بوبليوس سالفيوس يوليانوس، المعروف من ورق البردي وهو راعي بوبوت في الديبلوم العسكري لبايستوم (Paestum) بتاريخ 29 فيفري 148م وقيل بالفعل أنه لوكيوس، أما (A. Merlin) فقد أظهر أن الأسماء المتعددة للسيناتور الذي حمل الاسم الأول لوالده بوبليوس عند الولادة تأتي من التبني، ومن المحتمل أن معاصريه استمروا في تسميته سالفيوس يوليانوس، وعرفه المؤرخون القدامى بهذا الاسم، وابنه الذي يحمل الاسم نفسه، ب. سالفيوس يوليانوس (Publius Salvius Iulianus) كان قنصلا عاديا في 175م[4].

[1]- Berthier André, Tiddis cité Antique de numidie, Diffution de boccard, paris, 2000, p- 261- 263.
[2] - Filah (M. M.) et Amrous (F.), op. cit., p- 441.
[3]- - CIL 08, 06705 (p 1846) = ILAlg-02-01, 03563 = AE 2014, +01552.
[4] - Corbier (M.), op.cit., P- 223- 226.

سالفيوس يوليانوس إفريقي أصله من حضرموت (Hadrumète) كانت بداياته الأولى بالمحكمة القضائية (Décemvirat Judiciaire) ثم السلطة القضائية (questure)، تم إعفاؤه مثل كثير من المحامين من الخدمة العسكرية، شغل منصب كواستور (questure) للإمبراطور هادريان وقد تم تكريمه براتب ضعف ما يتوافق عادة مع وظيفته، تولى منصب (Tribunat de la plèbe et la préture) ومنصبين برايتوريين، تولى محافظتين ماليتين قبل تعيينه قنصلا عام 148م، ويعتبر هذا تقدما سريعا في ارتقائه وحسب كاتب سيرة هادريان في (Histoire Auguste)، فقد كان الفقيه عضوا في المجلس الإمبراطوري والغالب ظل كذلك في عهد أنطونيوس، والمهارات القانونية هي من أهلت سالفيوس لشغل هذه المناصب، وخاصة إدارته لخزينة ساتورن (aerarium Saturni) وقد تقلد سالفيوس مختلف الوظائف وفق الترتيب الآتي: برايتور (Preteur) ثم مدير خزانة جنود ساتورن (Praefectus aerarii saturni militairis) وأخيرا قنصل (Consul)، كما يظهر نقش روماني بتاريخ 19 سبتمبر 150م أن سالفيوس يوليانوس وبوبليوس كان زميلين في ذلك العام وكانا يرأسان قسم الآثار العامة بالمدينة، وتولى سالفيوس بالضبط مهمة (Curator aedium sacrarum) وهو ما يتضح من تمثال (Pupput)، كان سالفيوس مسؤولا سابقا عن الخزانة العسكرية من 141- 143م، وقد تم تأريخ ولايته المشتركة مع بوبليوس بيدو (Popilius Pedo) من 144- 146م، وقنصلا عاديا لسنة 148م وأمينا (Curateur) لـ (aedes sacrae) 150م حيث شغلته هذه المسؤولية لعامين أو ثلاث سنوات من 149- 151م، ثم يتم إرسال السيناتور الإفريقي إلى اسبانيا (Espagne) وهو مندوب (Légat) ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) وفيروس (Vérus) في تارغوانا (Tarragone) وبالتالي يحكم مقاطعة اسبانيا بعد 161م، كما حصل على قنصلية آسيا (Asie)، أنهى سالفيوس مسيرته مع قنصلية إفريقيا ويؤرخه نقش ثبوربو مايوس (Thuburbo Maius) بدقة من السنة 168- 169م، وهو التاريخ نفسه الذي أنشئ فيه تمثال (Pupput)، وقد أشار نصه إلى أنه تم اختياره أيضا من الباباوات (Pontifes) من 148- 150م.[1]

5- كوينتوس أنتيستيوس أدفنتيوس بوستيميوس أكويلينوس (Quintus Antistius Adventus Postumius Aquilinus):

كان قنصل عام 166 أو 167م كما شغل العديد من المناصب[2] منها حسب ما يتضح من النقيشة، قائد أوغسطي وبروبرايتور لمقاطعة جرمانيا السفلى، وليقاتوس أوغسطي في بريتينتورام (praetenturam) بإيطاليا وحملة جبال الألب الجرمانية، كوراتور للأشغال المحلية العامة.

النقيشة:

[Q(uinto) Antistio Advento] / Q(uinti) f(ilio) Quir(ina) Postumio A[q]u[i]/lino co(n)s(uli) sacerdoti fetia/li leg(ato) Aug(usti) pr(o) pr(aetore) provinc(iae) Ger/maniae inferioris leg(ato) Aug(usti) / at praetenturam Italiae et / Alpium expeditione Germa/nica cura(tori) operum

[1]- Corbier (M.), op.cit., P- 223- 226.
[2]- Pflaum (H. G), Remarques sur l'onomastique de Cirta…, op. cit., p- 101.

locorumq(ue) / publicorum leg(ato) Aug(usti) pr(o) pr(aetore) / provinc(iae) Arabiae leg(ato) Aug(usti) leg(ionis) / VI Ferratae et secundae Ad/iutricis translato in eam ex/peditione Parthica qua do/natus est donis militaribus / coronis murali vallari au/rea hastis puris tribus ve/xillis duobus praetori leg(ato) / pr(o) pr(aetore) provinc(iae) Africae tr(ibuno) pl(ebis) se/viro eq(uitum) R(omanorum) q(uaestori) pr(o) pr(aetore) provinc(iae) / Macedoniae tribuno mil(itum) / leg(ionis) I Minerviae P(iae) F(idelis) IIIIvir(o) / viarum curandarum / Sex(tus) Marcius Maximus ob in/signem eius in se ben<e=I>volen/tiam s(ua) p(ecunia) p(osuit) d(e)d(icavitP(iae) F(idelis) IIIIvir(o) / viarum curandarum / Sex(tus) Marcius Maximus ob in/signem eius in se ben<e=I>volen/tiam s(ua) p(ecunia) p(osuit) d(e)d(icavit).[1]

الترجمة:

كوينتوس أنتيستيوس أدفينتوس ابن كوينتوس من قبيلة كويرينا، شغل بوستيميوس أكويلينوس منصب قنصل، وكاهن، كما حاز منصب ليقاتوس أوغسطي بروبرايتوري لمقاطعة جرمانيا السفلى، ليقاتوس أوغسطي في بريتينتورام بإيطاليا، وحملة جبال الألب الجرمانية، كوراتور للاشغال المحلية العامة، ليقاتوس أوغسطي بروبرايتور للمقاطعة العربية، ليقاتوس أوغسطي للفرقة الفارثية الرابعة والفرقة الأدويتريكسية الثانية بعد أن نقل إليها من الحملة البارثية التي منح فيها هدايا عسكرية، منها تاج وجدار به عمود ذهبي به ثلاثة معايير نقية لاثنين من البرايتور، ليقاتوس بروبرايتور لمقاطعة إفريقيا تريبون للشعب والفرسان الرومان، كوايستور بروبرايتور لمقاطعة مقدونيا، تريبون عسكري لفرقة منيرفا الأولى، الرجل التقي المخلص، أهداها له سيكستوس ماركيوس ماكسيموس بماله الخاص نظرا لإحسانه.

تعليق:

تجدر بنا الإشارة إلى أن كوينتوس أنتيستيوس أدفنتيوس يعتبر من السكان المحليين لشمال إفريقيا استنادا إلى لقبه أدفينتوس (Adventus)، الذي صنف من بين الألقاب البونيقية المترجمة إلى اللاتينية حسب ما تمت الإشارة إليه من قبل (Pflaum).[2]

6- بوبليوس باكتيميوس كليمنس (Publius Pactumeius Clemens):

أشار (Corbier Mireille) إلى أنه حفيد أول قنصل إفريقي خلال القرن الأول ميلادي، والمدعو (Quintus Aurelius Pactumeius Fronto)، وهو بلا شك حفيد أخيه كليمنس (Clemens) الذي يحمل لقبه.[3]

مارس باكتيميوس كليمنس عضو مجلس الشيوخ عن سيرتا شغل وظيفة ليقاتوس وكان ذلك في عهد هادريانوس (Hadrianus) 117- 138م، إذ يتضح الأمر من خلال هذه العبارة (Legatus diui Hadriani ad rationes ciuitatium Syriae putandas) بعد أن كان قائد (Legatus) للإمبراطور نفسه في مدن أثينا بثيسبيس (Thespies) وبلاتيا (Platées)[4]، وعبارة Legatus ad

1- ILAlg-02-02, 04681 = D 08977 = AE 1893, 00088.

2- Pflaum (H. G), Remarques sur l'onomastique de Cirta…, op. cit., p- 126.

3- Corbier (M.), op. cit., p- 372.

4- François Bérard, Epigraphie Latine du monde Romain, Annuaire de (EPHE), Section des sciences historiques et philologiques, PP- 170- 179. P- 172. (En ligne), 150- 2019, Mis en line le 11 juin 2019,

rationes civitatum syriae putandas، حيث حصل على وظيفة ليقاتوس مباشرة بعد منصب برايتور (Préture) ثم تليها الحكومة البرايتورية لمقاطعة إمبراطورية، وأخيرا قنصلا عام 138م.[1]

النقيشة:

P(ublio) Pactumeio P(ubli) f(ilio) / Quir(ina) Clementi / Xvirum stlitibus iudicand(is) / quaest(ori) leg(ato) Rosiani Gemini / [s]oceri sui proco(n)s(ulis) in Achaia / [t]rib(uno) pleb(is) fetiali legato divi / Hadriani Athenis Thespiis / Plataeis item in Thessalia / praetori urbano legato / divi Hadriani ad rationes / civitatium Syriae putandas / legato eiusdem in Cilicia / consuli legato in Cilicia / Imp(eratoris) Antonini Aug(usti) leg(ato) Rosiani / Gemini proco(n)s(ulis) in Africa / iurisconsulto / patrono IIII coloniarum / d(ecurionum) d(ecreto) p(ecunia) p(ublica).[2]

الترجمة:

بوبليوس باكتيميوس كليمنس ابن بوبليوس من قبيلة كويرينا، شغل منصب في dumvir stlitibus iudicandis _أحد المجالس الأربعة التي تشكل Vignivirat وهو مجلس مكون من عشرة أفراد مسؤوليتهم صيانة طرق مدينة روما_ ثم شغل منصب كواستور وقائد لوالد زوجته روسيانوس جمينوس الذي كان حاكما في آسيا، ثم قائد جناح وقائد سَرية، عينه المؤله هدريان أمينا على المدن اليونانية أثينا، ثيسبيس و بلاتياو في وقت لاحق لمدن ثيساليا، ثم عينه المؤله هادريان قاضي حضري على مدن سوريا، شغل قائد وقائد قنصل في كليكيا، روسيانوس جمينوس قائد للإمبراطور أنطونينوس الأوغسطي كان بروقنصلا في إفريقيا، فقيه وراعي المستعمرات الأربع بمرسوم من المال العام.

أرخت نقيشة بوبليوس بعام 138م عثر عليها بقسنطينة وبالتحديد في كيرتا (Cirta)، وضعت تكريما له على موافقته على منصب حامي هذه المدينة، فيما يخص أصوله فقد سبق وأشرنا إلى جده القنصل عام 80 م.[3]

7- لوكيوس أنتيستيوس أدفنتيوس بوستيميوس أكويلينيوس بيروس: (Lucius Antistius Adventius Postimius Aquilinius Burrus):

تشير الدراسات التاريخية إلى أن لوكيوس أنتيستيوس عرف في عهد كومودوس (Comodus)[4]، تشير نقيشته إلى أنه شغل منصب قائد أوغسطي للفيلق الأدرياتيكي الثاني.

النقيشة:

Genio / domus / sacr(um) // Pro salute / Q(uinti) Antisti Adventi Postumi Aqui/lini leg(ati) Aug(usti) leg(ionis) II Adiutri/cis et Noviae Crispinae eius / et L(uci) Antisti Mundici Burri et An/toniae Priscae matris eius et / liberorum et famil(iae) eorum / Q(uintus) Antistius

---

Consulté le 16 Novembre 2023. URL:http://journals.Openedition.Org/ashp/2988; DOI http ://doi.org /10.4000/ash, p-2988.

[1]- Corbier (M.), op. cit., p- 187.

[2]- CIL 08, 07059 (p 965, 1848) = ILAlg-02-01, 00645 = D 01067 = AE 2007, +00106.

[3]-Corbier (M.), op. cit., p- 257.

[4]- Ibid, P- 257.

Agathopus lib(ertus) ex / viso d(onum) d(edit) idemque / dedicavit K(alendis) Mart(iis) / Macrino et Celso co(n)s(ulibus).[1]

الترجمة:

النقيشة مكرسة لحامي المنزل (برو ساليت) ولكوينتوس أنتيستيوس أدفينتوس بوستيميوس أكويلينيوس قائد أغسطي للفيلق الأدرياتيكي الثاني و(نوفايوس كريسبينايوس) ولوكيوس أنتيستيوس مونديكيوس بوريوس بعدما تحرر كوينتوس أنتيستيوس أغاثوبوس قدم هدية لأمه أنطونيا بريسكا وإلى أطفاله وعائلته، وأهداها إلى القناصل كالنديس مارتي، ماكرينوس وكيلسو.

8- لوريوس روقاتوس (Lurius Rogatus):

عثر على نقيشة له في موريطانيا القيصرية وبالتحديد في مدينة بورتوس ماغنوس (Portus Magnus)، واستنادا للمعلومات التي احتوتها نقيشته المؤرخة بالقرن الثاني أو الثالث ميلادي، اتضح أنه حضي بمنصب فارس (Equestre) وخدم في فرقة ألا ملياريا (Ala Miliaria) في وقت ما في القرن الثاني أو الثالث.[2]

النقيشة:

D(is) M(anibus) s(acrum) / Lurius Roga/tus e(ques) a(lae) m(iliariae) cui / non licuit mili/tare nisi m(enses) XIII / missus est in / [3]M ANV p(rovinciae) M(auretaniae) / [Caes(ariensis)] et occiditur / [3] VIII Idus Ian/[uarias] v(ixit) a(nnos) XXXIIII / Luria Valeria f(ilio) f(ecit) / cuius morte(m) colli/gere non potui.[3]

الترجمة:

النقيشة مكرسة لآلهة أرواح الأجداد وللوريوس روقاتوس فارس في فرقة ألا ميلياريا، خدم الجيش لمدة ثلاثة عشر 13 شهرا فقط وتم إرساله إلى موريطانيا القيصرية، قتل في الثامن 8 من شهر يناير عاش 34 سنة، قدم النقيشة أمه لوريا فاليريا التي لم تعرف وفاته.

تعليق:

يمكننا أن نصنف لوريوس في قائمة ذوي الأصول الإفريقية وذلك بناء على دراستنا للكنى، إذ يتضح أنه يحمل كنية ليبية بونيقية مترجمة إلى اللاتينية (Rogatus).

كما أشارت "بن صديق" إلى أن هذه الكنية ظهرت 650 مرة في إفريقيا، أما في بقية أنحاء الإمبراطورية فظهرت 65 مرة فقط.[4]

9- ماركوس سولبيكيوس فليكس (Marco Sulpicius Felix):

1- CIL 08, 18893 = ILAlg-02-02, 04634 = D 01091 = AE 1888, 00139.

2- Speidel Michael P, Mauri equites, The Tactics on light cavalry in Mauretania, In: A.A, 29, 1993, PP. 121- 126, P- 124.

3- CIL 08, 21617.

4- Nacera Bensddik, Les troupe auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie césarienne sous le haut-empire, Société nationale d'édition et de diffusion 3, Bd zirout youcef, Alger 1978, p- 202.

عثر عام 1929- 1930م على قاعدة من الرخام الرمادي المعرق بالأسود منقوشة على ثلاثة وجوه، وبالضبط في قبو مبنى يقع جنوب قوس النصر، والمحتمل أن يكون هو الكوريا فلبيا (Curia Vlpia)، المذكورة في النص الموجود في متحف الآثار بالرباط.[1]

مكان النقيشة هو سلا (Sala) أو ما تسمى حاليا شلاح (Chellah) بموريطانيا الطنجية، أرخت بسنة 144م، وبهذا يمكن استنتاج أن هذه الشخصية برزت في فترة حكم الإمبراطور أنطونيوس بيوس (Antonius Pius) 138- 161م، حصل على عدة وظائف وارتقى من منصب إلى آخر وهو ما يتضح لنا من خلال النقيشة التي خلد فيها اسمه.

النقيشة:

M(arco) Sulpicio M(arci) f(ilio) / Felici domo Roma trib(u) / Quir(ina) lib(eratori) et patr(ono) praef(ecto) coh(ortis) I / Germanor(um) trib(uno) mil(itum) leg(ionis) XVI / F(laviae) F(irmae) F(idelis) trib(uno) mil(itum) coh(ortis) III Ulp(iae) |(miliariae) / Petraeor(um) electo et retento / ad cens(us) excipiend(os) in partem / provinc(iae) Arm(eniae) item Capp(adociae) / praef(ecto) eq(uitum) al(ae) II Syrorum c(ivium) R(omanorum) / amici ob adfect(ionem) munic(ipii) Sal(ensis) / et innocentiam d(e)d(icaverunt) / decretumq(ue) ordinis subiecerunt.[2]

الترجمة:

إلى ماركوس سولبكيوس فليكس ابن ماركوس المقيم في روما من قبيلة كويرينا محررهم وراعيهم، شغل منصب حاكم الفوج الجرماني الأول، قائد عسكري للفيلق السادس عشر الفلافي الثابت والمخلص، قائد عسكري للجناح الثالث الأولبياني الذي يبلغ عدده ألف رجل من البتريين، تم انتخابه والاحتفاظ به لتلقي التعداد في جزء من مقاطعة أرمينيا وكابادوكيا، حاكم فرسان للجناح السوري الثاني للمواطنين الرومان، كرس أصدقاؤه بسبب حبهم لمدينة سالنسيس وأهدوا هذا التمثال ووضعوه أسفل مرسوم الديكوريونات.

تم تخصيص الأسطر من 12 إلى 20 لسرد ممتع بشكل خاص لأنشطة فليكس والتي ذكرت مرة أخرى في نهاية النص، يعتبر الجانب العسكري البحت له مكان محدود إذا أخذنا بعين الاعتبار أن فليكس هو أولا وقبل كل شيء قائد القوات المتمركزة في المنطقة والغالب في سالا نفسها، حيث ضمن سلامة الناس والقطعان وسمح لهم بالوصول إلى الحقول والغابات، بعدها تخلى على منصبه كمحافظ جناح (Préfet d'aile)، ليمارس وظيفة الأمين (Curateur) على الأنونا حيث جمع المخزون العسكري وزود المدينة، ظهر أيضا كوكيل لـ (Prouidentia Imperatoris)، وزاول وظيفة (Curator Operum) فقام ببناء جدار يحمي جزء من المدينة، لكن كان قرار تنفيذ الأمر بيد الوالي في حين يتولى فليكس تنفيذ المهمة بمساعدة من الجنود، كما سيتولى فليكس الحكم في المالية البلدية، رئيس ميزانية سالا، وهو في الواقع

[1]- Maurice Euzennat, et autre, Inscriptions antiques du Maroc, 2. Inscriptions latines. Paris : Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1982. pp. 5-469. (Études A.A), p- 188.

[2]- IAM-02-01, 00307 = IAM-S, 00307 = Freis 00114 = MEFR-1931-1.

يتحكم في كل الأنشطة المالية للمسؤولين المحليين أو القضاة، فقد حل النزاعات واتخذ القرارات دون أن يكون محكما، كما لعب أيضا دور القاضي في القضايا القانونية الحقيقية، فقد أشار جيروم كاركوبينو إلى أن سكان سلا كانوا يعاملونه كما لو كان حاكمهم، لكن لا بد من فهم طبيعة وظيفته إذ أن التمثال الذي يكرس مسيرته، ذكر فقط أنه محرر (Liberator) وراعي (Patronus)، المرسوم لم يمنحه لقبه الكامل ويذكر فقط أنه كان محافظ (Praefectus)، كما يلاحظ أنه دائما يتم تقديمه كوكيل لحاكم موريطانيا الطنجية الاستثنائي أوتيديوس أونوراتوس (Uttedius Honoratus)، فلم يكن فليكس مجرد مرؤوس وإنما مندوب حقيقي للحاكم، وكانت علاقته معه الفرصة الوحيدة لتأهيل مهمته، لذلك لم يقتصر على الخدمة العسكرية بل تعداها إلى المسؤوليات المدنية.[1]

أرسل سولبيكيوس فليكس من كابادوكيا إلى موريطانيا الطنجية وبالتحديد إلى مدينة سلا (Sala)، حيث اكتسب هناك مهارات عالية ومزدوجة بين المهارة العسكرية والمدنية، وهو بلا شك سبب إرساله إلى موريطانيا الطنجية[2]، وهناك حصل على إهداء وهو التمثال الذي أقامه على شرفه أصدقاؤه الذين بلغ عددهم 38 شخصا، امتنانا له في تفانيه بالعمل ونزاهته وحبه لمدينة سلا، كما صوتت ديكورات (Décorions) سلا أثناء رحيله على مرسوم فخري لصالحه مؤرخ بـ 28 أكتوبر 144م، إضافة إلى طلب إقامة تمثال آخر له بشرط موافقة الحاكم أوتيديوس هونوراتوس (Uttedius Honoratus) وإرساله إلى الإمبراطور أنطونيوس بيوس (Antoninus Pius)، حتى أنه لقب بالمحرر لأنه كان يتصدى لتوغلات القبائل المحلية على أهل سلا وحماية ممتلكاتهم، لكونه حامي المدينة وفي تفسير آخر لستيفن غزال (S. Gsell) وجيروم كاركوبينو (J. Carcopino) كان حامي أصدقائه 38 ولأنه راعي المدينة.[3]

يعد ماركوس سولبيكيوس ذو أصل إفريقي محلي استنادا إلى كنيته فليكس (Flex) التي تعتبر من بين الكنى الليبية البونية المترجمة إلى اللاتينية حسب الدراسات التاريخية للكنى.[4]

1- Francois Jacques, Le privilège de Liberté…, op.cit., p- 671-673.
2- Gsell (S). Carcopino (J), La Base de M. Sulpicius Felix et le décrets des décurions de sala. In :M. A. H, tome 48, 1931. pp. 1-39, p- 5.
3- Maurice Euzennat, et autre, Op. Cit., P- 195. Gsell (S). Carcopino (J), op.cit., p- 20.
4- Benzina Ben Abdallah Zeineb, Mourir a Ammaedara épitaphes latines païennes inédites d'Ammaedara (Haïdra) et de sa région, Sandhi Ortacesus, 2013, p- 350. Iiro Kajanto, The latin cognomina, Helsinki- Helsingfors, 1965, pp- 372- 273.

الفصل الثاني

منافذ الأفارقة للارتقاء في الإدارة الرومانية

الفصل الثاني: منافذ الأفارقة للارتقاء في الإدارة الرومانية.

المبحث الأول: المنفذ العسكري.

المطلب الأول: م. بترونيوس فورتوناتوس (M. Petronius Fortonatus):

المطلب الثاني: م. أوكلاتينيوس أدفونتيس (M. Oclatinius Adventus):

المطلب الثالث: ب. فاليريوس كومازون (P. Valerius Comazon):

المبحث الثاني: المنفذ الاقتصادي

المطلب الأول: الزراعة

1- عائلة أنيكي (Anici):

1- 1 ك. أنيكيوس فاوستوس (Q. Anicius Faustus):

1- 2 سكستوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس (Sex. Anicius Faustus Paulinus):

1- 3 م. كوكيوس أنيكيوس فاوستوس فلافيانوس (M. Cocceius Anicius Faustus Flavianus):

1- 4 سكستوس كوكيوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس (Sex. Cocceius Faustus Paulinus):

1- 5 سكستوس أنيكيوس فاوستوس باولينيانوس (Sex. Anicius Faustus Paulinianus):

1- 6 سكستوس أنيكيوس باولينوس (Sex. Anicius Paulinus):

1- 7 أمنيوس أنيكيوس يوليانوس (Aminius Anicius Iulianus):

1- 8 أمنيوس مانيوس كيسونيوس نيكوماخوس أنيكيوس باولينوس يونيور هونوريوس (Amnius Manius Caesonius Nicomachus Anicius Paulinus (Iunior) Honoratus):

1- 9 م. يونيوس كايسونيوس نيكوماووس أنيكيوس فاوستوس باولينوس (M. Iunius Caesonius Nicomaehus Anicius Faustus Paulinus):

2- أوريليوس (Aurelius) حصاد مكثر:

3- جيلدون (Gildon):

المطلب الثاني: التجارة

1- عائلة أرادي (Aradii):

1-1- كوينتوس أراديوس روفينوس (Quintus Aradius Rufinus):

1-2- كوينتوس أراديوس روفينوس فاليريوس بروكولوس بوبيلنيوس (Q. Aradius Rufinus Valerius Proculus Populonius):

1-3- لوكيوس أراديوس فاليريوس بروكيلوس بوبيلونيوس (L. Aradius Valerius Proculus Populonius):

1-4- لوكيوس أراديوس روسكيوس روفينوس ساتورنينوس تبيريانوس (L. Aradius Roscius Rufunus Saturninus Tiberianus):

1-5- فاليريوس بينيانوس (Valerius Pinianus):

المطلب الثالث: الصناعة والحرف.

1- ألفيوس كايكيليانوس (Alfius Caecilianus):

2- عائلة بولانيوس (Pulanius):

المبحث الثالث: المنفذ الثقافي

المطلب الأول: لوكيوس سيبتيموس سيفيروس (Lucius Septimius Severus):

المطلب الثاني: لوكيوس كايليوس فيرميانوس لكتانتيوس (L. Caelius Firmianus Lactantius):

المطلب الثالث: س. أوريليوس فيكتور (S. Aurelius Victor):

المطلب الرابع: أمبروسيوس ماكروبيوس ثيوديسيوس (Ambrosius Macrobius Theodosius):

المطلب الخامس: القديس أوغسطينوس (S. Augustin):

الفصل الثاني: منافذ الأفارقة للارتقاء في الإدارة الرومانية

تعددت السبل التي استغلها الأفارقة للارتقاء في المناصب والوصول إلى أعلى هرم في السلطة الرومانية، بدأ هذا التميز منذ القرن الأول ولاحظ تزايدا مع مرور الوقت، فغادر الشباب بحثا عن الثروة في العاصمة روما وحصل العديد منهم على مهن رائعة هناك منذ زمن الأنطونيين، إذ أصبح الأفارقة منتشرين في كل مكان؛ المدارس، مجلس الشيوخ والبلاط.[1] معتمدين في ذلك منافذ عدة لعل أبرزها:

المبحث الأول: المنفذ العسكري

كان الانضمام إلى صفوف الجيش الروماني من بين السبل التي انتهجها الأفارقة للارتقاء في مختلف المناصب، من خلال المرور بعدة مراحل.

سيطر الإيطاليون والغال بنسبة كبيرة على صفوف الجيش خلال القرن الأول، وتم تجنيد بعض الأفارقة الذين تنامى عددهم خلال القرن الثالث، ففي عهد هادريان كان لدى إفريقيا عدة آلاف من الفرسان يأتون من مناطق مختلفة، على عكس بلاد الغال التي لم تكن بها أرستقراطية محلية سابقة، وقد استطاع الأفارقة الوصول حتى إلى مجالس الشيوخ، ووصل البعض إلى حكم الإمبراطورية الرومانية ككل أما الإدارة والجيش فقد دخلوا حشودا[2]، وخاصة في ظل حكم الأسرة السيفيرية بل وأصبحوا يشكلون الأغلبية، فبعدما كان الفيلق الأوغسطي الثالث مكونا من المنحدرين من المستعمرات والبلديات، التي مثلت النخبة في التسلسل الهرمي الحضري، أصبح بعد ذلك أكثر محلية فنمت حصة المدن في الداخل، والتي غالبا ما تكون في المدن الريفية الصغيرة، بعدها شهد التجنيد توسيع اجتماعي فنقل إلى النخبة من عوام المدن والريف في المدن الأكثر رومنة، كما فسر التجنيد المبكر للأفارقة على أنه علامة على الرومنة، وحتى يصبح عضوا في الفيلق كان من الضروري له أولا امتلاك الجنسية الرومانية، التي كان الجنود يحصلون عليها بعد خمسة وعشرين عاما من الخدمة مع أفراد أسرهم، إذ عرف تجنيد الأفارقة من خلال الكثير من الشواهد العسكرية والنقوش الجنائزية، فقد تم إصدار شهادات لفرسان مغاربة مجندين نظرا لحنكتهم ومهاراتهم التي امتازوا بها.[3]

كان الحديث عن صعود الفرسان في القرن الثالث خاصة في فترة حكم الأسرة السيفيرية أمرا شائعا، حيث كانت كثرة المناصب المعروضة عليهم تبرر هذا الدعم.[4]

كان اهتمام الإمبراطور سبتيموس سيفيروس وخلفاءه بالجند من بين العوامل التي ساعدت على ازدياد الانضمام للجيش، فكان الجند يقدرون الفوائد المادية التي تعتبر مرتبة

---

[1]- Monceaux (P.), Les Africains étude sur la littérature latine d'Afrique les païens, Lecène, Oudin et cle, paris, 1894, pp- 344- 345.
[2]- Thouvenot (R.), op. cit, p- 137.
[3]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 79- 82.
[4]- Yann Le Bohec, L'armée Romaine dans la tourmente une nouvelle approche de la « crise du IIIe siècle » l'art de la guerre, Edition du Rocher, 2009, p- 92.

الشرف في الوقت نفسه، فالزيادة في الرواتب كان لها أثر على الجنود، الذين لم يعودوا يشعرون بخيبة الأمل لأن حياتهم تغيرت بعمق[1]، وبهذا كان للجندي الشاب مستقبل تم رسمه أمامه[2]، فاحتل الجيش مكانة استثنائية في الإمبراطورية، كما أن سبتيموس سيفيروس الذي لعب الدور القيادي في هذا التطور، لم يعد يريد إخفاء هذه الحقيقة، لأنه كان الرجل الذي قبلته الجيوش وحافظ على عرشه بفضلهم فقط.[3]

أنشأ سبتيموس سيفيروس نظرا لاهتمامه بالجند خمسين مركزا جديدا للفروسية عندما أصبح سيد الإمبراطورية الوحيد، وحتى لو لم تكن وظائف الخدمة المدنية كثيرة جدا في روما، أصبح من الواضح أن الإمبراطور يعتزم حكم الإمبراطورية، من خلال الاعتماد على أعضاء نظام الفروسية على الأقل على هؤلاء التقليديين من مجلس الشيوخ، وقد أكد العديد من المؤرخين أنه فضل إلى حد كبير ترتيب الفروسية، وحول حكومة بعض مقاطعات مجلس الشيوخ إلى حد كبير إلى أيدي الفرسان، كما قام بافتتاح مجموعات برايتورية لجنود الجحافل، إذ كان لدى الضباط الجيدين في الجحافل الذين يمرون عبر الأفواج البرايتورية، مرافق أكبر ليصبحوا فرسانا وحتى أعضاء في مجلس الشيوخ بالنسبة للبعض منهم، وأولى الفرسان أهمية كبيرة لدرجة أنه جعلهم الآمر الناهي للجيش واستبعد مجلس الشيوخ نهائيا.[4]

كان من الطبيعي أن يتم الاستفادة من الفرسان الذين تم تدريبهم بشكل أفضل، وفي عهد كركلا أيضا ظهر بالفعل جنود صعدوا من الرتب، وأصبحوا فرسانا ووصلوا إلى أعلى المناصب العسكرية والذين تم نقلهم بعد ذلك إلى مجلس الشيوخ وأصبحوا قناصل.[1]

يمكننا الاستدلال ببعض الجند الذين توالت ترقيتهم في الوظائف وتمكنوا من الوصول إلى أعلى المراتب ولعل أبرزهم:

المطلب الأول: م. بترونيوس فورتوناتوس (M. Petronius Fortunatus):

يعرف بقائد المائة والذي دارت حياته المهنية الطويلة في ثلاثة عشر 13 فيلقا، واستنادا إلى النقش الذي عثر على ضريحه المعروف بنقش كيليوم (Cillium) أو القصرين، أين وجدت نقيشته بالتحديد على رصيف مقابل مدخل الثكنات قبل جسر وادي دارب (Oued Derb) بقليل، وبناء على سيرته المتواصلة في الجحافل العسكرية رجح المؤرخون تاريخ ميلاده بحوالي 154م أو 155م في إفريقيا، تم تجنيده في الفيلق الميساني (Mésie) وسرعان ما أصبح قائد المائة هناك، بعدها انتقل إلى اثني عشر فيلقا (وبهذا يكون قد خدم ثلاثة عشر وحدة في المجموع)، رجح بعض المؤرخين أن مدة خدمته دامت خمسين عاما، ومنه فقد كانت فترة قيادته لكل فيلق تدوم ثلاث سنوات ونصف، وكثيرا ما كان يكافأ ليس بالحصول على تاج ذهبي فقط، وإنما تعداه إلى مكافآت أفضل وهذا ما يكشف عن مسؤولياته البارزة، أما الإطار

1- Ibid, p- 94.
2- Le bohec (Y.), La vie quotidienne des soldats Romains…, op. cit., p- 16.
3- Yves Roman, le Haut-Empire romain 27av. J.-C.-235 ap. J.-C. Ellipses édition marketing S.A., 1998, p- 112.
4- Yves Roman, le Haut-Empire romain…, op- cit., p- 110- 112.

الزمني للسيرة المهنية الخاصة به، فيرجح المؤرخون أن قيادته الأولى كانت في حوالي 175 أو 180م، ونظرا لأن حياته المهنية كانت طويلة جدا يمكن الاعتقاد أنه انضم في سن مبكرة جدا، وحسب النقيشة يرجح أنه عاش حوالي ثمانين 80 سنة، أي أنه توفي مع نهاية حكم السلالة السيفيرية، أما اسمه الكامل فلم يظهر في النقش وقد استنتج المؤرخون اسمه، من خلال اسم ابنه م. بترونيوس فورتوناتوس (M. Petronius Fortunatus)، الذي يبدو أنه يحمل الاسم نفسه حسب الدراسات الحديثة، واسم بترونيوس هو الذي يعتبر دليلا على أصله الإفريقي، نظرا لأن الاسم منتشر في الكثير من المقاطعات الإفريقية ما عدا إقليم تريبوليتانيا (Tripolitane)، إذ ظهر الاسم حوالي 158 مرة في قائمة ذكرت فيها أسماء رعاة المدينة (Petronii) الأفارقة، ولا شك أن هذا الجندي الإفريقي الشاب قد كرس نفسه لمهمته فعرف كيف يكسب ويستحق احترام وثقة الجميع، بين 218 و 220م حصل على إجازته للعودة إلى كيليوم (Cillium).[2]

النقيشة:

[M(arcus) Petronius Fortunatus 3] / militavit annis IV in leg(ione) I Ita[lica] / librar(ius) tesser(arius) optio signifer / [(centurio)] factus ex suffragio leg(ionis) eiu[sdem] / militavit (centurio) leg(ionis) I Ital(icae) leg(ionis) VII / (centurio) leg(ionis) I Min(erviae) leg(ionis) X Gem(inae) (centurio) leg(ionis) II A[3] / (centurio) leg(ionis) III Aug(ustae) (centurio) II[I] Gall(icae) (centurio) leg(ionis) XXX U[l]p(iae) / (centurio) leg(ionis) VI Vic(tricis) (centurio) leg(ionis) III Cyr(enaicae) (centurio) leg(ionis) XV Apol(linaris) / (centurio) leg(ionis) II Par(thicae) (centurio) leg(ionis) I Adiutricis / consecutus ob virtutem in / expeditionem Parthicam / coronam muralem vallarem / torques et phaleras agit in / diem operis perfecti annos LXXX / sibi et / Claudiae Marciae Capitolinae / <c=K>oniugi karissimae quae agit / in diem operis perfecti / annos LXV et / M(arco) Petronio Fortunato filio / militavit ann(os) VI (centurio) leg(ionis) X[X]II Primig(eniae) / (centurio) leg(ionis) II Aug(ustae) vixit ann(os) XXXV / cui Fortunatus et Marcia parentes / karissimo memoriam fecerunt.[3]

الترجمة:

ماركوس بترونيوس فورتوناتوس خدم كجندي لمدة أربع سنوات في الفيلق الأول (I) المسمى إيطاليكا حيث تقلد رتبة حامل أداة القذف ثم جندي مكلف بنقل الأوامر من القائد إلى الجنود، ثم مساعد قائد المائة بعد انتخابه من طرف جنود الفيلق، ثم قائد المائة في الفيلق الأول المسمى مينرفاي، ثم قائد المائة {؟}، ثم قائد المائة في الفيلق الثاني، ثم قائد المائة في الفيلق الثالث المسمى أوغسطاي، ثم قائد المائة في الفيلق الثالث المسمى غاليكاي، ثم قائد المائة في الفيلق الثلاثون المسمى فيبياي، ثم قائد المائة في الفيلق السادس فيكتريسيس، ثم قائد المائة في الفيلق الثالث سيرينياكاي، ثم قائد المائة في الفيلق الخامس عشر المسمى أبوليناريس، ثم قائد المائة في الفيلق الثاني المسمى بارثيكاي، ثم قائد المائة في الفيلق الأول

[1]- André (Ch.), op. cit., p- 203.
[2]- Lassère Jean-Marie, Biographie d'un centurion (C.I.L., VIII, 217-218). In: A. A, 27,1991. pp. 53-68, PP- 53- 65.
[3]- CIL 08, 00217 (p 925, 2353).

المسمى أديوكريسيس ليواصل بكل شجاعة الحملة على البارثيين، أين منح له التاج الشرفي والإكليل، لأنه كان يقوم بعمله على أكمل وجه لمدة 80 سنة، وكانت زوجته كلوديا ماركياي كابيتولينا تنتظره بكل صبر وترقب، أما ابنه ماركوس باترونيوس الذي خدم كجندي لمدة 06 سنوات ثم قائد المائة في الفيلق 22 وكان متميز، ثم قائد المائة في الفيلق الثاني الأوغسطي، عاش من السنوات 25سنة وكذلك ماركيا برونتس، وضعت هذه النقيشة للذكرى.

المطلب الثاني: م. أوكلاتينيوس أدفونتيوس (M. Oclatinius Adventius):

يعتبر لقب أدفونتيوس (Adventius) لقبا شائعا جدا في إفريقيا، وهو مشتق من الفعل (venio) بمعنى القادم أو الغريب وذكر منه 40 مثالا في (CIL)، بما في ذلك 20 في إفريقيا اللقب أكثر انتشارا بصيغة الاسم العائلي (Adventius)، (Auentius Protagoras) و (Adventius Aug) معروف في ثلاث نقائش[1]، في تصنيف فلوم Pflaum أيضا وضعه ضمن الألقاب اللاتينية المترجمة من البونيقية.[2]

يعود الفضل إلى ديون كاسيوس في تتبع المسار الشرفي لأدفونتيوس، إذ كانت بداياته الأولى كحارس شخصي للحاكم، ثم أصبح قائد المائة وهو بهذا جزء من الشرطة السرية، لم تكن هذه الوظيفة مشرفة جدا، حيث أن صغار الضباط الذين تولوا المسؤولية عن إعدام أعداء الأباطرة أوصلوه إلى قيادة معسكر أجنبي (castra peregrina)، فكما هو معلوم من الوظائف الأخرى لا بد أنه كان بدائيا قبل المرور بالمحكمة، أو أن يعهد إليه بمنصبه الإداري الذي يعود إلى قرن من الزمان، وبما أن جميع الشهادات الأدبية المعروفة تؤكد كبر سنه الذي بلغه عام 217م، فيجب أن نفترض أنه بعد أن أصبح قائد المائة بعد عشرين عاما من الخدمة، فإن تقدمه اللاحق كان لا يزال بطيئا نسبيا، حيث كان يبلغ من العمر ستين سنة عند توليه بين 205- 207م منصب وكيل مقاطعة بريطانيا، غير معروف المهام التي تقلدها قبل تعيينه لقيادة الأفواج البرايتورية عام 212م بعد وفاة بابينيانوس (Papinianus)، والأغلب أن كركلا اختاره لكبر سنه الذي لا يشكل أي خطر على مصالحه، ولهذا حصل على المرتبة الأولى في كلية المحافظين البرايتوريين وقاد القوات بشكل مرض، في حين تولى زميله م. أوبيليوس ماكرينوس (M. Opellius Macrinus) الذي يدين بمنصبه لمعرفته القانونية الدور القضائي لهذه الوظيفة.[3]

كان قنصلا للمرة الأولى سنة 218م في عهد ماكرينوس (Macrinus) إلا أنه في فترة حكم فاريوس أفيتوس باسيانوس (Varius Avitus Bassianus) المدعو الجبالوس (Héliogabale) اعتبر أدفينتوس قنصليته تلك قنصلية للمرة الثانية، ولم تغير هذه الوظيفة شيئا في الوضع الحقيقي الذي كان عليه الفارس حتى تعيينه في القنصلية العادية، التي شهدت _بعد ذلك بصفته قاضيا في مجلس الشيوخ بامتياز_ على دخوله الفعال إلى مجلس الشيوخ، وبهذا فإن تعيين أدفونتيوس عام 217م نفسه حاكما للمدينة يؤكد وجهة النظر هذه: إذا كان مجلس الشيوخ غير راض فهو كما أشار (Dion Casius) لأن أدفونتيوس كان يسمى (Praefectus Urbi) أي حاكم المدينة، عندما لم يكن يُعد عضوا في مجلس الشيوخ وهو ما اعتبر أمرا غير مقبول، لذلك لم يصبح أدفونتيوس عضوا في مجلس الشيوخ حتى نهاية عام 217م، إلا أن

---

[1]- Benzina Ben Abdallah (Z), op. cit., p- 343

[2]- Pflaum (H. G), Remarque sur l'onomastique…, op. cit., p- 126.

[3]- Pflaum Hans Georg, Les carrières procuratoriennes equestres sous le haut-empire romain, thèse complémentaire pour le doctorat ès lettres de l'université de Paris, T. 2, paris, 1960, p- 665- 667.

ولايته كانت قبل هذه الترقية[1]، عرف أدفنتيوس بثرائه ومن بين الشخصيات المحلية المهمة، فقد كان يملك عبيدا عثر على اسم أحدهم في تيفست المدعو فيكاريوس إيسبوس (Vicarius Isbus) الذي كان مساعدا له، وعلى الأغلب كان عبدا شخصيا له فصنع له أدفنتيوس مرثية وآخر وجدت مرثيته في لامباز كان أيضا من عبيده.[2]

المطلب الثالث: ب. فاليريوس كومازون (P. Valerius Comazon):

يشير فلوم (Pflaum) في دراسته للأسماء إلى أن لقب (Valerius) من بين الجانتليكا الخاصة بمجتمع كيرتا إذ ذكر في إفريقيا ككل 100 مرة و07 مرات في كستلوم كلتيانوم[3] (Castellum Celtianum) أو كيلتيانيس (Celtianis) المرابع أو (الخربة) بني ولبان على الضفة اليسرى لواد المرابع.[4]

كان فاليريوس فارسا في 218م وتولى على التوالي قيادة الفيلق الثاني البارثي، ثم أصبح محافظا برايتوريا وقد أعرب شاستانيول (Chastagnol) عن عدم معرفة المدة المحدد لوظيفته فيما بعد، لكنه ظهر كحاكم عند افتتاح القنصلية في 1 يناير 220م، ومن المقبول عموما أنه قام بدمج هذه القنصلية مع أولى ولاياته الحضرية الثلاث، والتي في هذه الحالة كان سيتم افتتاحها في وقت مبكر من عام 219م، ثم يعين في مجلس الشيوخ بين القناصل بعد توليه وظيفة المحافظ البرايتوري، وبهذا تكون قنصليته لعام 220م بمثابة قنصلية ثانية، فكان هذا الارتقاء السريع محل تساؤل، للأسف لا شيء يسمح باستنتاج أنه في عام 220م قد تم الجمع بين وظيفته كمحافظ برايتوري وقنصليته، وأيضا إلى حين الحصول على مزيد من المعلومات هل يجب أن نتوقف في عام 219م على أبعد تقدير عند ممارسته لمنصب المحافظ، والتي في هذه الحالة كانت ستمارس بالكامل في نظام الفروسية قبل الانضمام إلى مجلس الشيوخ.[5]

المبحث الثاني: المنفذ الاقتصادي

كان بعض الأشخاص بحكم وضعهم الاقتصادي قادرين على قيادة مجتمع دون تلقي رواتب أو مقابل راتب رمزي فقط، فقد عاش هؤلاء الأعيان من أجل السياسة وليس من خلال السياسة، لأنهم ينتمون إلى نظام اجتماعي وهو (Ordo Decurionum) أي طبقة اجتماعية كاملة من الناس الذين هم أكثر أو أقل حظا، الذين اعتبروا السياسة واجب وليس حرفة أو مهنة، عكس ما هو سائد في عصرنا في الدول الغربية التي تحكمها أنظمة ديمقراطية، تعتبر السياسة بالنسبة لعدد محدود من المواطنين مهنة حقيقية، والاعتبار العام الذي تمتعوا به سمح لهم بسهولة الحصول على قيادة المدينة، وللحصول على هذا الشرف احتاج النبلاء إلى ثروة كافية والتي لا يمكن أن يمتلكها إلا أقلية صغيرة لهذا كان الوصول إلى الحكم المحلي متاحا

1- Chastagnol (A.), op. cit., p- 222.
2- Rossignol Benoît, Le personnel administratif de la paye des soldats, Ausonius éditions, 2014, pp 25-51, p- 33.
3- Pflaum (H. G), Remarque sur l'onomastique…, op. cit., p- 133.
4- Gascou Jacques, Pagus et castellum dans la confédération Cirtéenne. In: A.A, 19,1983, pp. 175-207, p- 178.
5- Chastagnol (A.), Le sénat romain à L'époque..., op. cit., p- 223.

فقط لهذه الفئة من الأثرياء، كما أن الشهرة تفترض الثروة التي تجذب الاحترام وتضفي عليها الشرعية من خلال الكرامة التي يحظى بها كل واحد.[1]

كان هؤلاء الرجال الأحرار إضافة إلى الكرامة التي يسعون للحصول عليها عن طريق دفعهم للهبات والأموال في سبيل خدمة مدنهم، يهدفون أيضا لتسهيل عملية اندماج أبنائهم في النخبة البلدية.[2]

كانت المكانة السياسية تضفي شرعية على تفوقهم، على غرار العقارات التي مكنتهم من أن يصبحوا أغنياء، فممارستهم للعديد من المهن سواء قضاة أو غيرها من الوظائف، التي أكسبتهم ألقابا كانت تحفر على لوحة أضرحتهم أو قاعدة تماثيلهم، إذ لم يكن هناك حينها أي مقياس آخر للاحترام غير السياسة، باستثناء ممارسة الأنشطة الثقافية أو تلك التي يؤديها الخطباء والفلاسفة أو حتى الأطباء، ويتساءل الكثير من المؤرخين ما إذا كان هناك مصادر أخرى، غير ملكية الأراضي التي كانت مصدرهم الرئيسي، حيث أن صمت المصادر والازدراء المعروض باستمرار حول المكاسب التجارية كافيان لاستنتاج أن الأعيان لم يتدخلوا نهائيا في الأنشطة الأخرى، ولكن إذا مارسها أحدهم كانت عبارة عن نشاط مساعد للزراعة، ونذكر منها على سبيل المثال استخراج منتجات التعدين، استغلال المحاجر، وقد حققت مقاطعة إفريقيا نجاحات كبيرة في صناعة وتجارة السراميك؛ والتي يرجع فضلها إلى الديناميكية الاقتصادية لبعض الأعيان، الذين أضافوا على ثروة أراضيهم الدخل الناتج على هذا النشاط الثانوي، هذه الطريقة عرفت عند عائلة بولايني (Pullaeni) بالقرب من مدينة أوتشي مايوس (Uchi Maius) في هنشير دوميس (Henchir Douamis)، والتي ظهر توقيعها على الكثير من منتجات ورشها، حيث يتمثل الأثر في أرض وفيلا تم التعرف عليها من خلال النقش الذي يظهر على بابها الأمامي ويشير إلى اسم المالكين، فإلى جانب الملكية الزراعية وورشاتها وأفرانها الفخارية، يمتلكون الكثير من مصانع الفخار منتشرة في عدد من المناطق والمدن، والأمر نفسه بالنسبة للكثير من ملاك الأراضي الذين تم تجهيز أراضيهم بالمعاصر، فزاد دخلهم من خلال الانخراط في تجارة الزيت.[3]

تكشف الهياكل الريفية والأنظمة الزراعية إلى جانب العقارات الكبيرة عن ظهور طبقة وسطى ريفية حقيقية تملأ مجالس الشيوخ في المدن، وبهذا يتضح أن اندماج المزارعين الأصليين في الازدهار الذي عرفته إفريقيا معروف جيدا منذ القرن الأول الميلادي.[4]

كان للأسواق فضل في الترويج لهذه المنتوجات المختلفة، إذ كان لها دور مزدوج يظهر من خلال مساهمتها في إثراء جزء من البرجوازية الإفريقية، نظرا لأن الملاك الذين كانوا ينظمون الأسواق الريفية ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية الإفريقية وكانت لديهم ثروات كبيرة جدا، ولأن هذه الأسواق شكلت مصدرا للثروة وسبيلا للصعود السياسي

[1]- Ammar Mahjoubi, Le régime des notables…op. cit., p- 1-2.
[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., P- 166.
[3]- Ammar Mahjoubi, Le régime des notables dans..., op.cit, 6.
[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., op. cit., p- 95.

والاجتماعي والاقتصادي لإفريقيا في العالم الروماني، كما يرى بعض المؤرخين أن روما تركت إمكانية لهؤلاء الملاك لإثراء أنفسهم بطريقة قانونية، ومن ناحية أخرى كانت بمثابة وسيلة سيطرة لروما على إفريقيا.[1]

فرضت فضلا عن ذلك بنية النظام الروماني خلال القرن الرابع ميلادي دعوة دائمة لوجهاء جدد، وهو ما يفسر في المدن الصغيرة فتح المجال أمام الحرفيين والتجار الأثرياء[2]، وبهذا نستنتج أن دخل الثروة تعددت مصادره، فبرزت وارتقت شخصيات عدة تعددت سبل وصولها لمختلف الوظائف والمناصب، وسنأتي لعرضها من خلال ما يلي:

المطلب الأول: الزراعة

كانت الزراعة في ذلك الوقت المصدر الرئيسي للثروة، فقد اشتهرت مقاطعة إفريقيا بجميع أقاليمها خاصة بمزارع الكروم وأشجار الزيتون إذ يشير ستيفن غزال (Stéphane Gsell)، إلى بقاء واحات ساحل طرابلس والمرتفعات التي كانت تشكل ضاحية لبدة، غنية جدا في عهد الإمبراطورية السفلى بالكروم والزيتون.[3]

حققت شجرة الزيتون ثروة للأفارقة بما في ذلك الطبقة الوسطى لأنه في المنطقة الساحلية بين حضرموت (Hadrumète) وتاكابي (Tacape) قابس حاليا، كانت المزارع فيها متواضعة أو صغيرة، والزراعة الرأسمالية لشجرة الزيتون هي بلا شك أكثر تطورا في السهوب، لاسيما في نوميديا وفي منطقة تيفست (Theveste)، وتختلف حالة شجرة الزيتون قليلا إلى الحد الذي تظهر فيه العقارات الخاصة الكبيرة (مثل منطقة بولاني (Pullaeni) في أوتشي مايوس (Uchi Majus) أو تلك الموجودة في منطقة تيفست) وفي الممتلكات الصغيرة للمالكين وقد لوحظ بالفعل الحجم المحدود للاستغلال في جنوب بيزاكيوم (Byzacium) (المزاق حاليا) ويمكن إضافة طرابلس كمواقع هضبة ترهونة حيث يميز أوتس D. Oates سلسلتين من المواقع التي تشهد على الزراعة المكثفة في الفترة الرومانية بين القرن الأول والرابع.[4]

كان اندماج المزارعين الأصليين أيضا في الازدهار الذي عرفته إفريقيا معروف جيدا منذ القرن الأول الميلادي، أما النجاح العظيم للمنتجات الإفريقية في القرن الرابع، فقد أثبت الحفاظ على الازدهار الزراعي والاقتصادي في إفريقيا.[5]

يمكننا في هذا الصدد الاستشهاد بمزارعي لاماصبا (Lamasba) مروانة حاليا، الذين أكد لاسير Lessere بأنهم ليسو من المحاربين القدامى المستوطنين، وإنما هم ملاك إذ بدراسة

1- Chaouali (M.), op. cit., p- 377- 384.
2- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 142.
3- Gsell Stéphane, La Tripolitaine et le Sahara au IIIe siècle de notre ère. In: M. I. N. F, tome 43, 1e partie, 1933. pp. 149-166, p- 214.
4- Lassère Jean-Marie, Vbique populus, peuplement et mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap) préfqce de Marcel Le Glay. Paris: édition de centre national de la recherche scientifique, 1977, p- 303.
5- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 95.

ألقابهم يتضح إلى حد كبير أن أغلبهم أفارقة، ويشير إلى أن معظمهم لم يقوموا بزراعة أراضيهم بأيديهم، وغير معروف بالضبط ما هي القوة العاملة التي استخدموها، حيث أن كتابات لاماصبا المتناثرة هنا وهناك لا تذكر سوى ثلاث عبيد هم فورتوناتوس (Fortunatus)، هونوراتوس (Honoratus) و فيستوس (Festus) وكان الثلاثة جميعهم في خدمة كانيوس سوبراتوس (Caneus Superatus) وزوجته كيرتيسيا فيستا (Cirtesia Festa)، والذي يجب أن يمثل الأرستقراطية المحلية.[1]

تمكنت عدة عائلات من جمع ثروتها من أكثر المناطق زراعة للحبوب بتصدير القمح والزيت وقد أكدت عائلتين من بولا ريجيا (Bulla Regia) على قدرة النخب المحلية على الارتقاء إلى أعلى المناصب، كعائلة ماركي (Marcii) وأرادي (Aradii) في وسط مجردة (Majrada)[2]، وقد عرف منها في القرن الرابع ميلادي ميلاني (Melanie) وزوجها بينيان (Pinien)، وهي عائلة سيناتورية امتلكت عقارات كبيرة جدا في جميع أنحاء الإمبراطورية، والتي تركز جزء كبير منها في إفريقيا.[3]

عرفت نماذج أخرى من أفراد هذه العائلات التي امتدت نفوذها على عدة أجيال، تمكن العديد منهم من الوصول إلى وظائف عليا بفضل ثروتهم وسنحاول ذكر نماذج منها ونذكر بعض الشخصيات التي استطاعت الارتقاء في السلم الوظيفي بتعدد واختلاف مهامه:

1- عائلة أنيكي (Anicii):

اتحدت هذه العائلة في الجيلين الأولين مع عائلات الوجهاء والأعيان المحليين، حيث تزوج رب الأسرة بامرأة من عائلة إفريقية قديمة راسخة بالفعل، ثم بعد ثلاثة أجيال وبعد بروز أبنائها ووصولهم إلى رتبة مجلس الشيوخ حدث تحالف آخر مع العائلات الإيطالية والشرقية[4]، وهو ما أشار إليه لاسير Lassère حيث عرفت عائلات من أصل إفريقي لم يتم إضفاء الطابع الروماني عليها فحسب، بل سرعان ما أصبحت إيطالية غالبا من خلال الزواج، والتي احتفظت بممتلكاتها وروابطها في إفريقيا، وفي 238م لعبوا دورا حاسما في ثيسدروس (الجم حاليا)[5]، كان لهذه العائلة (أنيكي) اليد العليا في المجتمع الروماني خلال القرن الرابع للميلاد.[6]

1-1- ك. أنيكيوس فاوستوس (Q. Anicius Faustus):

---

[1]- Lassère (J- M.), Vbique populus…, op. cit., p- 346.
[2]- Chaouali (M.), op. cit., p- 378. Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 270.
[3]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 99.
[4]- Christian (S.), La continuité des familles sénatoriales Romaines (Ier- Ve s), In : Ktema : Civilisation de l'orient de la Grece et de Rome antiques, N° 30, 2005, pp 317- 334, p- 318.
[5]- Lassèr (J. M.), Vbique populus…, op. cit., p- 362.
[6]- Beschaouch Azedine, Uzappa et le Proconsul d'Afrique Sex. Cocceius Anicius Faustus Paulinus. In : M. A. H, tome 81, n° 1, 1969. pp 195- 218, p- 215.

كان قنصلا عام 198م ومفوض (Légat) في مويسيا العليا بين عامي 203- 209م ، شغل منصب حاكم نوميديا بشكل شبه مؤكد في 197- 201م[1]، خلال فترة حكم سبتيموس سفيروس وهو الذي سيخلف أبناؤه فيما بعد في مجلس الشيوخ، حيث كان النواة الأولى لبداية بروز الأسرة الأنيكية التي سيزداد نفوذها طيلة القرنين الثالث والرابع للميلاد، عثر على اسمه في قاعدتين توأمتين تم اكتشافهما في موقع روماني بعين زوزة، ويقع على بعد حوالي 8 كم شمال أوزابا (Uzappa)، مقاطعة سيدي منصور معتمدية سليانة ولاية الكاف، حيث قامت زوجته فيسيا روستيكا (Vesia Rustica) بإهداء القاعدة على نفقتها الخاصة[2]، حسب مايتضح من النقيشة:

النقيشة:

Vesia Rustica Quinti) Anici Fausti de suo posuit. Decreto) d(ecurionum).

الترجمة:

أهدت النقيشة فيسيا روستيكا زوجة كوينتوس أنيكيوس فاوستوس على نفقتها الخاصة بمرسوم من المجلس البلدي.

1-2- سكستوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس (Sex. Anicius Faustus Paulinus):

وكان قد ولد في حوالي سنة 180م أو نحو ذلك، يعرف أنه كان ليقاتوس أوغسطي بروبرايتوري في 229- 230م في مويسيا السفلى (Moes Inferieure)، في عهد ألكسندر سفيروس (Alexandre Severus)[3]، وفي الغالب حصل على منصب القنصل في بداية 220-230م، أي بعد والده بحوالي 20 سنة، بعدها يعتقد أنه مارس مهنة عادية في خدمة الأمير.[4]

يبدو أن عائلة أنيكي كانت لها في هذه الفترة علاقة خاصة، ليس فقط مع العشائر الفردية التي اختزلت إلى عملاء مثل عشيرة تيجونيا (Tegonia)، بل مع المدينة بأكملها وفي بعض الحالات يتم تعزيز الرابطة من خلال الاتحاد الزوجي، على سبيل المثال سكستوس أنيكيوس ساتورنينوس (Sex. Anicius saturninus) يتزوج من سيا ماكسيما (Seia Maxima) التي تنتمي إلى إحدى عائلات الكنفدرالية الكيرتية، أما كوينتوس أنيكيوس فاوستوس فقد تزوج من فيسيا روستيكا (Vesia Rustica).[5]

1-3- م. كوكيوس أنيكيوس فاوستوس فلافيانوس (M. Cocceius Anicius Faustus Flavianus):

كان أمينا (Curateur) وحامي مستعمرة الكنفدرالية الكيرتية في عهد تريبونيان الغالي (Trébonien Galle) و فاوليسيان (Volusien)، كان لا بد من انهاء مهمته في منتصف عام

[1]- Russo Adelaide, Ancora in tema di gens : Anicia e appuleia, Iura et Legal Systems, N°5, 2018, pp- 64-67, p- 65.

[2]- Beschaouch (A.), Uzappa…, op. cit., p- 211- 213.

[3]- Russo (A.), op. cit., p- 65.

[4]- Michel Christol, À propos des Anicii : Le IIIe Siècle, M. F. R, 1986, pp- 141- 164, pp- 142-143.

[5]- Russo (A.), op. cit., p- 65.

253م، لأن نقش قلعة تيديتانوروم (Castellum Tidditanorum)[1] تخليد لذكرى الأعمال المهمة التي تم تنفيذها على سبيل التسامح الإلهي للأمراء خلد تدخلاته[2]، كما عرف بممارسته للوظائف الدينية وعلى أساسها كان منخرطا بشكل وثيق في الاحتفالات الرسمية لحكام منتصف القرن الثالث، تلك الخاصة بفليب العربي (Philippe l'Arabe) ثم ديكيوس (Decius) و تريبون الغالي (Trébonien Galle)[3]، وكان قد حصل على منصب قنصل سنة 251م، خلال القرن الثالث يتقاطع خط نسب عائلة أنيكي مع خط نسب عشيرة الكوكيون (Cocceia) من خلال الاتحاد الزوجي بين ابنة سكستوس كوكيوس فيبيانوس (Sex Cocceius Vibianus) حاكم إفريقيا في القرن الثالث وابن كوينتوس أنيكيوس فاوستوس وهو المدعو سكستوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس (Sex. Anicius Faustus Paulinus) الذي سبق ذكره[4]، واستنادا إلى الاسم العائلي يمكننا معرفة أنه من نسل أنيكيوس فاوستوس، لكن الارتباط مع عائلة أنيكي (Anicii) في وقتهم يعد مجرد رابط جانبي، حيث كان الاسم العائلي الرئيسي لهم هو وأخوه سكستوس كوكيوس هو كوكيوس (Cocceius).[5]

النقيشة:

Ex i[ndulgentia providentiaq(ue) / divina dd(ominorum) nn(ostro- rum) /impp(eratorum) Galli et Vollusiani Augg(ustorum)/M(arcus) Cocceius Anicius Faustus Flavianus/consular(is) et XV vir, curator/ et patronus coloniar(um) Cirt(ensium) / egestis per populum quae vicina/superaverant ruderibus / caesoque ad planitiem qui / nuda- tus extiterat monte / ad salutem populi aquam / excipi providit.[6]

الترجمة:

من التسامح والعناية الإلهية من أسيادنا، أباطرة الغال والفولوسيين، الأغسطس ماركوس كوكيوس أنيكيوس فاوستوس فلافيانوس القنصل وعمره 15 عاما، أمين وراعي مستعمرات كيرتا، زود الجبل بالماء لخلاص الناس.

4-1- سكستوس كوكيوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس (Sex. Cocceius Faustus Paulinus):

تم التعرف على هذه الشخصية من نقش عثر عليه في ثوبورسيكوم بور[7] (Thubursicum Bure)، تبرسق حاليا في (تونس)، وذلك لأن هذه الأخيرة رفعت من مرتبة البلدية إلى مرتبة

[1] - كاستيلوم تيديتانوروم: تسمى تيديس (Tiddis) كانت مدينة محصنة بناها الجيش الروماني المتمركز في نوميديا، والتي منحت لهم أراضيها مقابل خدماتهم في الجيش، كانت تابعة إداريا لمدينة كيرتا، وقد تم الدفاع عن كيرتا من خلال سلسلة من القلاع التي بنيت حول الطرف الغربي من المدينة، كانت مستوطنة من قبل الليبيين وهو ما دلت عليه بعض النقوش الليبية، التي لايزال من الممكن رؤية رموزها في زخرفة صناعة الفخار في المنطقة. ينظر: De Luis Esmeralda, El limes Romano de Àfrica VII- castellum Tidditanorum (Tiddis- Argelia), archivos de la frontera, N21, 2014, pp- 1- 21, pp- 3- 4.

[2]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 153.

[3]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 159.

[4]- Russo (A.), op. cit., pp- 65- 66.

[5]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 149.

[6]- ILAlg, II, 2, 3596.

[7]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 144.

مستعمرة في الفترة التي كان فيها بروقنصلا ومارس وظيفة حاكم خلالها[1]، ويرجح المؤرخين تاريخ ممارسة سكستوس كوكيوس وظيفة بروقنصل إفريقيا في الفترة الممتدة من 264- 268م وترجع قنصليته إلى 249- 253م، وقد تم اكتشاف ثلاث نقائش تجعل من الممكن إرجاع الفضل لسكستوس كوكيوس في ترقية مدينة أوزابا Uzappa التي كانت عبارة عن Civitas فقط في عهد كركلا، ثم تحصلت على الوضع البلدي (Municipium) في عهد جالينوس (Gallienus) بعد عام من قنصلية سكستوس كوكيوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس وذلك لتدخله في صالح المدينة.[2]

النقيشة:

Sex. Cocceio Anicio Fausto Paulino proco, (sic) provinciae Africae respublica coloniae…Augustae....[3]

SEX.COCCEIO.ANI CIO.FAVSTO.PAV LINO. PROCO ^ (sic) PRO VINCIAE. AFRI cAE.RES.PVBLICA coLONIAE. .AVGVSTAE

الترجمة:

سكستوس كوكيوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس بروقنصل مقاطعة إفريقيا جمهورية ومستعمرة أوغسطية.

تجدر بنا الإشارة إلى دخول الاسم العائلي (Gentilice) كوكيوس (Cocceius) على هذا الجيل من عائلة أنيكي (Anicii)، وذلك لزواج بين هاتين العائلتين حيث أصبحوا يشكلون فرعا متحالفا مع الأنيكيين وكان الكوكيون يتمتعون بمكانة مهمة خلال القرن الثالث، وقد أكدت عدة شهادات على قوتها.[4]

1-5- سكستوس أنيكيوس فاوستوس باولينيانوس (Sex. Anicius Faustus Paulinianus):

اختلفت آراء المؤرخون حول هذه الشخصية حيث يشير Russo Adelaide إلى أنه من نسل أنيكيوس فاوستوس حاكم نوميديا (197- 201م)، وأنه العضو الشاب في مجلس الشيوخ والمرفع الذي يشير إليه نقش تيمغاد.[5]

كان لا يزال في مرتبة المرفعين (Clarisimus) في السنوات الأولى من القرن الثالث ميلادي، يشير المؤرخون أن هذا الشاب من تيمغاد (Timgad)، رغم أنه ذكر في نقش من

[1]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 148.
[2]- Beschaouch (A.), Uzappa…, op. cit., p- 197- 208.
[3]- CIL, VIII, 1437= 15254.
[4]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 160.
[5]- Russo (A.), op. cit., p- 65.

أوزابا (Uzappa) بأنه ابن سكستوس كوكيوس أنيكيوس فاوستوس باولينوس، بروقنصل إفريقيا في عهد غالينوس[1]، وهذه النقيشة التي عثر عليها في أوزابا:

النقيشة:

Sex(to) Anicio Fausto Pauliniano,, c(larissimo) i(uveni), patrono, patroni f(ilio), ordo [c]ivita[t]is Vz[ap]pen[sis s]tatuam [f]acere cu[ra]vit idemq(ue) [d]edicavit.[2]

الترجمة:

إلى سكستوس أنيكيوس فاوستوس باولينيانوس الشاب اللامع الراعي ابن الراعي، كرس له المجلس البلدي لأوزابا تمثالا.

1-6- سكستوس أنيكيوس باولينوس (Sex. Anicius Paulinus):

تقلد منصب حاكم المدينة (Prefet de la Ville) من 331 -333م، بروقنصل (Proconsul) إفريقيا بين 320 -324م، ثم قنصلا عاديا (Consul Ordinaire) سنة 325م بعد أن مارس منصب القنصل الشوفيط (Consulat suffect)، وحسب تقديرات المؤرخين يمكن أن يكون قد ولد في حوالي 270 -280م.[3]

1-7- أمنيوس أنيكيوس يوليانوس (Aminius Anicius Iulianus):

كان حاكم المدينة بين 326 -329م، وقنصلا عاديا قبل ذلك في 322م (بعد أن كان قنصلا أيضا)، و بروقنصل إفريقيا بين 315 -320م، يرجح المؤرخون تاريخ ميلاده بحوالي 260 -265م.[4]

1-8- أمنيوس مانيوس كيسونيوس نيكوماخوس أنيكيوس باولينوس يونيور هونوريوس (Amnius Manius Caesonius Nicomachus Anicius Paulinus (Iunior) Honoratus):

كان مندوب (Legat) لوالده سنة 324م، ثم قنصلا عاديا (Consul Ordinaire) في 334م ومحافظ المدينة (Préfet de la ville) في 334-335م، ويمكن تقدير تاريخ مولده بحوالي 280-285م.[5]

1-9- م. يونيوس كايسونيوس نيكوماووس أنيكيوس فاوستوس باولينوس (M. Iunius Caesonius Nicomaehus Anicius Faustus Paulinus):

يشير بشاوش إلى أنه كان قنصلا للمرة الثانية سنة 298م، ومحافظ حضري (Prefet Urbis) سنة 299م[6]، كما كان برايتور(Préteur) سنة 321م وهو الأصغر سنا من أخيه أمينيوس مانيوس.[7]

---

[1]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 143.
[2]- CIL, VIII, 11933.
[3]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 160.
[4]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 160- 161.
[5]- Ibid, p- 161.
[6]- Beschaouch (A.), Uzappa…, op. cit., p- 216.
[7]- Michel (Ch.), À propos des Anicii…, op. cit., p- 161.

كانت روما هي الأخرى تساهم في تقوية شوكة بعض زعماء القبائل لتكسب صداقتها في المنطقة وتعمل لصالحها، ولأجل ضمان هدوء هذه القبائل وعدم تمردها، كما تستفيد من تحصيل الضرائب من ملاكها، مقابل ذلك تمنحها المواطنة الرومانية، ومن خلال ترسيم الأراضي كانت روما قادرة على نقل ملكية الأراضي من قبيلة بأكملها إلى الأفراد، فأدى تكوين الثروة النقدية إلى قوة زعماء القبائل وخلق أرستقراطية ريفية، لم يتم تصميم ثقافتها وممتلكاتهما على النمط الروماني في مقاطعة إفريقيا.[1]

كما كان على الشخص أن تتوفر لديه ممتلكات زراعية ذات دخل كبير وعبيد، أو حتى إن لم يكن في كثير من الأحيان ممارسة مهنة محترمة ومكافأة اجتماعيا، وأشار روبرت (Robert) أن جان بيراس (Jean Peyras) قدم في دراسة حديثة نقشا جنائزيا من البروقنصلية، يعود تاريخه إلى القرن الثالث، والذي يتعلق بمهنة المزارع الذي أصبح مدير عقار، ويخبرنا هذا النص الذي وجد في عقار أوفيديانوس (Fundus Aufdianus) عن الجغرافيا التاريخية للمنطقة وتنظيم التربة والمحاصيل.[2]

يمكن أن يصل عدد هؤلاء الأعيان إلى 10/1 من المواطنين في البلدات الصغيرة التي كان مجلسها البلدي يضم حوالي خمسين عضوا فقط، لم تكن هذه النسبة أكثر من 2 إلى 3 بالمائة في المدن المتوسطة الحجم، في حين كان هؤلاء الأعيان في المدن الكبيرة تشكل فقط نخبة محدودة، وقد كانت المدن بشكل عام تحت سيطرة عدد محدد من العائلات التي تمتلك معظم ثروة الأرض، والتي في ظل هذه الظروف كان تجديدها بطيئا جدا، ولم يتم دمج العناصر الجديدة إلا من خلال الزواج أو التبني، ونادرا ما يمكن أن يسمح الإرث أو حياة كاملة من العمل الزراعي بهذا الصعود الاجتماعي، وهو ما يتضح من نقش حاصد مكثر الذي انتهى به المطاف للوصول إلى النخبة المحلية.[3]

2- أوريليوس (Aurelius) حصاد مكثر:

يدعى الحصاد أوريليوس وحسب إشارات المؤرخين أن اسمه اختفى على الحجر، وأطلقت عليه هذه التسمية نظرا لنقيشته التي تشير إلى أن مدينته مكثار حصلت على لقب المستعمرة في عهد ماركوس أوريليوس، وهي شهادة أيضا على انتشار الرومنة في المنطقة.[4]

أرخت نقيشته بحوالي 260- 270م، وهي تروي خط سير رحلة مالك متواضع لقطعة أرض صغيرة، كان عاملا يوميا وحصد في العديد من المزارع لمدة احدا عشر سنة تحت أشعة الشمس الحارقة، قاد فرقة من العمال واكتسب مع المدخرات التي تم جمعها خلال هذه المدة من العمل منزلا في المدينة وقطعة أرض فيها فيلا، وبعدها أصبح (Duumvir

[1]- Mattingly (D.), op. cit., p- 83.
[2]- Lequément Robert, Le vin africain à l'époque impériale. In: A. A, 16, 1980. pp. 185-193, p- 188.
[3]- Mahjoubi (A.), Le régime des notables…, op. cit, 1.
[4]- Lassère Jean-Marie, Griffe Michel, Le moissonneur de Mactar [À la mémoire d'André Chastagnol, récemment disparu, qui avait publié dans V. L une introduction à l'épigraphie]. In: V. L, N°143, 1996, P- 6-7.

Quinquennial) أعلى قاض في المدينة، مسؤول عن تحديث ألبوم مجلس الشيوخ المحلي، فدل هذا النقش على الإمكانيات الحقيقية للصعود الاجتماعي المقدم للفلاحين المغامرين، ولأن مدينة مكثر لم تكن ضخمة جدا، لم تكن الضريبة المفروضة لتصبح قاضيا ودخول المجلس البلدي عالية جدا[1]، جلبت هذه المناصب الشرف لأصحابها وفي المقابل أيضا كلفتهم غاليا.[2]

النقيشة:

Paupere progenitus lare sum paruoq(ue) parente, Cuius nec census neque domus fuerat Ex quo sum genitus, ruri mea uixi colendo, Nec ruri pausa nec mihi semper erat, Et cum maturas segetes produxerat annus, Demessor calami tune ego primus eram. Falcifera cum turma uirum processerat aruis, Seu Cirtae Nomados seu iouis arua petens, Demessor cunctos anteibam primus in aruis, Pos<t> tergus linquens densa meum gremia. Bis senas messes rabido sub sold totondi ; Ductor et ex opère postea factus eram. Undecim et turmas messorum duximus annis Et Numidae campos nostra manus secuit. Hic labor et uita paruo cont<ent>a ualere Et dominum fecere domus et uilla paratast, Et nullis opibus indiget ipsa domus et nostra uita fructus percepit honorum ; Inter conscriptos scriptus et ipse fui. Ordinis in templo delectus ab ordine sedi Et de rusticulo censor et ipse fui. Et genui et uidi iuuenes carosq(ue) nepotes. Vitae pro meritis claros transegimus annos, Quos nullo lingua crimine laedit atrox. Discite mortales sine crimine degere uitam ! Sic meruit, uixit qui sine fraude, mori.[3]

الترجمة:

لقد وُلدتُ لعائلة فقيرة وأب متواضع لا يملك مالا ولا بيتا في المدينة، منذ ولادتي عشت فقط من أجل عملي في الحقول ولم يكن لي أي راحة لنفسي، لما يحين وقت جني المحاصيل كنت أول من يحصد القمح، لما تقدمت مجموعة من الرجال يحملون المناجل إلى الريف متجهين إلى كيرتا النوميدية أو نحو ريف جوبتير (جبل بوجابر حاليا بتونس) ليحصدوا أولا في الحقول، كنت أسبق الجميع تاركا ورائي صدري السميك، لقد حصدت مرتين ستة محاصيل تحت شمس حارقة، وهكذا تمكنت من أن أصبح قائدا، لمدة احدا عشر عاما قمت بقيادة قوات الحصادين، وقامت أيدينا بحصاد سهول نوميديا، لقد أتى عملي والحياة المقتصدة بثمارهما: جعلوني سيد منزل ومالك عقار ولا يفتقر منزلي إلى أي شيء، وبفضل أسلوب حياتي فقد حصدت ثمار الشرف، أصبحت عضوا في مجلس الشيوخ بمدينتي واختارني زملائي وجلست في معبدهم، كنت فلاحا صغيرا وأصبحت رقيبا (Cenceur)، رأيت أطفالي وأحفادي الأعزاء يولدون ويكبرون، مجرد مكافأة لحياة لقد عشت سنوات مجيدة لا يلطخها لسان فاجر بأدنى عتاب البشر، تعلم أن تعيش دون عتاب، ومن عاش بكرامة فقد استحق الشيء نفسه.

ظل الدخول إلى عالم الشرفاء الضيق حلما اجتماعيا يتقاسمه العديد من الفلاحين الأفارقة، وهو ما لاحظناه بوضوح من خلال نقيشة هذا الحصاد الذي أصبح ديكوريون وربما تكون قصته مثالا للعديد من قصص نجاح المزارعين الأفارقة، هؤلاء وفقا لبيتر براون (Peter Brown) لم يتصوروا الثروة المالية دون الاعتراف السياسي بمدينتهم، إذ كانت

---

[1]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p - 108.

[2]- Lassère (J. M), Griffe (M.), op. cit., p- 4.

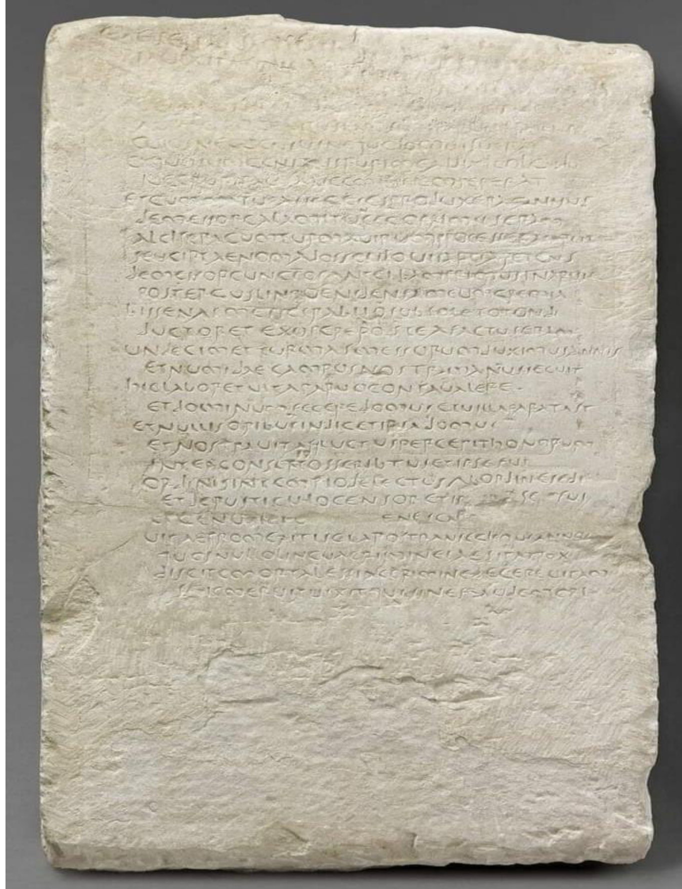
[3]- CIL, VIII, 11814.

المدينة والثروة يسيران جنبا إلى جنب، وبما أن نقش الحصاد يعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث، ولكن ليس هناك سبب يدفعنا للشك في أن نظام الكوريا ظل جذابا في الإمبراطورية المتأخرة بالنسبة للعديد من الفلاحين الأثرياء، و من مجلس الديكوريون إلى مجلس الشيوخ الروماني تم تحقيق كل الآمال، ومع ذلك وكما هو معلوم جيدا فإن الازدهار الاقتصادي في إفريقيا بالرغم من عدم المساواات الاجتماعية والمناطق الرمادية التي يعتبر لوبلاي (Lepelley) نفسه أول من ذكرها، فقد وصلت إلى ذروتها خلال القرن الرابع ميلادي، ومن الواضح أن هذا كان يدعم الآداء السليم لمهام أعضاء المجلس البلدي، الذين كانوا مزارعين أثرياء قادرون على تلبية متطلبات التعداد البلدي الضعيفة في بعض الأحيان، حيث كشف دستور 422م أن المساحة الزراعية المفيدة لم تتراجع في المقاطعات البروقنصلية وبيزاكين، وهذا مؤشر على الحفاظ على الرخاء الاقتصادي واستمراريته وهو ما تؤكده المسوحات التي أجراها جان بيراس (Jean Peyras) في شمال شرق التل التونسي، والتي أجراها كل من دياز، ليلى لعجيمي، حبيب بن حسن (S. Diez, L. Ladjim, Habib Ben Hessen) في سيجرميس (Segermes) وتلك الخاصة ببروس هيتشنر (Bruce Hitchner) في منطقة القصرين، ولذلك فإن ثروة الاقتصاد الإفريقي سارت جنبا إلى جنب مع إثراء المزارعين الأكثر ديناميكية وترقيتهم اجتماعيا إلى رتبة الكوريا، وتؤكد المصادر الإبيغرافية رغم صمتها أن نظام الكوريا ظل فعالا للغاية في القرن الرابع، والتشريع الإمبراطوري بشأن هروب الديكوريون نحو الفئات العليا من المجتمع الروماني، الموضوع في هذا السياق الوثائقي يظهر فجأة كعلامة على سيولة اجتماعية قوية داخل الكوريا، وبهذا لم يكن هروب الديكوريون نحو مجلس الشيوخ إطلاقا علامة على وجود أزمة في المدن، وإنما ترجم ببساطة ديناميكية كبيرة جدا للكورياليين الأفارقة.[1]



الملحق رقم3: صورة توضيحية للجزء العلوي من نص نقيشة حصاد مكثر.

[1]- Hugoniot Christophe, Les cités de l’Afrique Romaine au Bas-Empire les curies et l’évasion des notable municipaux, AnTard, N° 26, 2018, pp 197- 210, p- 208.



الملحق رقم 04: صورة توضيحية لنص نقيشة حصاد مكثر.

المصدر: https://collections.louvre.fr/en/ark:/53355/cl010275883

يشير لاسير (Lassère) و غريف (Griffe) في مقالهما عن حصاد مكثر أنه لم يكن فقيرا تماما وإنما يكون في الغالب قد ورث بضعة أفدنة من الأرض والتي كان قادرا على زيادتها من خلال عمله وبفضل أعماله في الحصاد، وعند قوله أن والده لم يكن يملك منزلا، فهذا لا يعني أنه كان ينام تحت الجسور، بل لم يكن لديه منزل في المدينة فيه خُدام يخدمونه، وكانت كلمة فقير في العصر الإمبراطوري تستخدم عادة للتمييز بين المتواضعين والشرفاء الذين يعيشون على إيجاراتهم، وقد قدر جوفينال (Juvénal) أن الفقير في روما هو من يملك أقل من 20.000 سيسترز من الدخل السنوي، وهو ما يتوافق تقريبا وفقا لويتاكر -(C.R. Whittaker) مع أسلوب حياة الفارس.[1]

كانت المجتمعات المحلية في زمن فاليريانوس (Valerianus) وجالينوس (Gallianus) (253- 268م)، في مقاطعة إفريقيا موضع اهتمام متعدد من طرف الحكومة الإمبراطورية،

[1]- Lassère (J. M), Griffe (M.), op. cit., p- 3.

ويتلقى بعضهم على سبيل الشرف الحق في أن يدرج في أسمائهم، إشارة إلى اسم الأمير أو اسم أحد أفراد العائلة الإمبراطورية، ويتم ترقية البعض الآخر وتصبح البلديات مستعمرات، يطرح ميشال كريستول (Michel Christol) تساؤل جد مثير وهو هل ينبغي تفسير هذه السياسة على أنها إحدى وسائل تهدئة العداء بين الوجهاء المحليين الذين كان عليهم أن يلعبوا دورا كبيرا في المساهمات المخصصة لدعم المجهود الحربي؟ ويضيف أن إفريقيا كونها منطقة محمية ومزدهرة نسبيا من مصائب العصر من طاعون، اضطرابات داخلية كانت تعتبر بالتأكيد ثمرة يجب عصرها، ومما لا شك فيه أن هذه الضرائب الباهضة قد جلبت العار لاسم جالينوس الذي غالبا ما تم نقش اسمه على النقوش بعد وفاته عام 268م.[1]

عملت روما أيضا على استدراج كبار الملاك في مختلف الأقاليم بشمال إفريقيا لخدمة مصالحها، مقابل العديد من الإغراءات التي تقدمها والتي ذكرناها آنفا، ولنا في ذلك أمثلة إذ أشارت أعمال المسح الأخيرة التابعة لليونيسكو، والتي أجريت في الوديان الليبية إلى مجموعة تسكن القصور، لها هوية قبلية محددة والمعروف أنهم مارسوا اقتصادا زراعيا مختلطا في المنطقة، وفي فترة ما من القرن الرابع تم تجنيدهم في كتلة حلفاء لروما، حيث حصل جميع الرجال على الاسم الروماني (Romana Nomina)، كما مُنح لقب التريبون (Tribunus) للرجال القياديين في حوض بير سيدو (Bir Scedua)، إلى الشمال الشرقي من وادي دريدر(Wadi Dreder)، ويشير دافيد ماتينغلي (David Mattingly) إلى أن منصب التريبون لم يكن له أهمية عسكرية وإنما كان دلالة شرفية فقط، ويحيلنا إلى شخصيات تحصلت على اللقب فعلى سبيل المثال في بير دريدر يذكر: يوليوس ناصف (Iulius Nasif) و فلابيوس إسيقوار (Flabius Isiguar) و ياريرابان (Yriraban) ابن (Isicuar) و إمنوس نيميرا (Imnus Nimira) و فلابيوس ماسين (Flabius Masin) كلهم تريبونات، وللتأكيد على مكانة هذه العائلات أشارت مقابر في غيرزا (Ghirza) تعود إلى القرن الرابع ميلادي، والتي أقيمت لإحياء ذكرى بعض قادتهم، إلى أن المستوطنة في غيرزا كانت تحت سيطرة مجموعة أو مجموعتين من العائلات ذات النفوذ الممتد، والأمر ذاته في موريطانيا القيصرية والطنجية حيث تم تفويض كبار ملاك الأراضي الذين كانوا أيضا زعماء قبليين بالسيطرة على الحدود ومثاله سماك (Sammac) من عائلة نوبل أخ فيرموس وجيلدون.[2]

كشف منصب (Praefectus) على وجه الخصوص خلال القرن الرابع للميلاد، عن سياسة محلية أكثر تدخلا من جانب الإدارة الإمبراطورية، هؤلاء الحكام الأصليون الذين تم تعيينهم على رأس القبائل، هم من حيث المبدأ من ذوي الولاء المؤكد وغالبا ما يكونون من قدامى المحاربين، وكان أسلافهم من في ظل الإمبراطورية العليا قضاة وحتى قادة جناح أو فوج عسكري[3]، ويعتبر جيلدون هو الآخر مثالا من هؤلاء الأعيان الذين كان لثروتهم الفضل للارتقاء في المناصب ويمكننا الإشارة إليه في العنصر الآتي:

3- جيلدون (Gildon):

ينحدر جيلدون من عائلة نوبل وقد اعتبره أميان مارسولين (Ammien Marcellin) سنة 370م بأنه حاكم قوي لوطن المور، وبالأخص قبيلة الجوباليين (Jubaleni) التي تتموقع

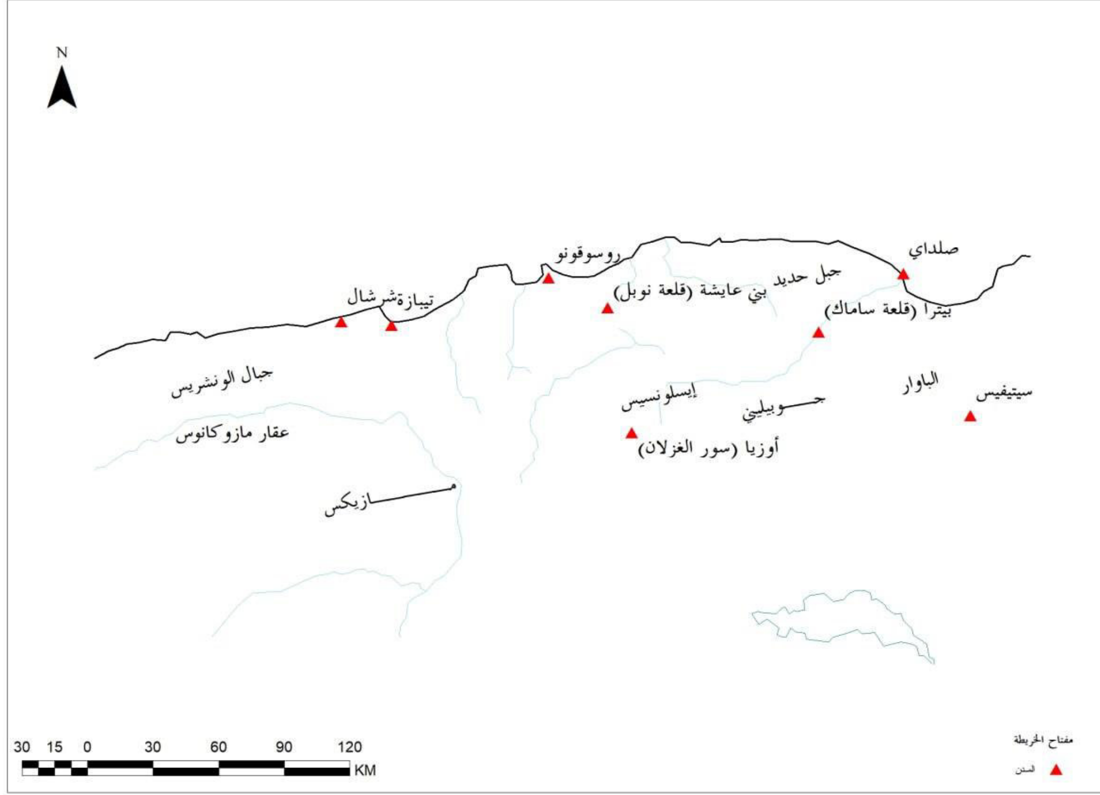
---

[1]- Michel Christol, Thugga et Thibursicum Bur. In : A. A, 14, 1979, pp- 217- 223, p- 217.

[2]- Mattingly(D.), op. cit., p- 86- 88.

[3]- Camps Gabriel, Rex gentium Maurorum et Romanorum. Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles [Recherches royaumes de Maurétanie des Vle et Vile siècles]. In: A. A, 20,1984.pp 183- 218, p- 184.

أراضيهم في موريطانيا القيصرية وكانت أراضي هذه القبيلة مغطاة بالجبال، وقد حاول غزال (Gsell) وضع حدود لأراضيها، فأشار إلى أن هذه القبيلة لا بد أنها كانت قريبة جدا من أوزيا (Auzia)، وكان يميل إلى وضعها إما عند سلسلة البيبان (جبال الحديد) على بعد 60 كم غرب أوزيا أو في مضيق الأخضرية باليسترو (Palestro) سابقا أي 50 كم شمال غرب



المدينة نفسها.[1]

الملحق 05: خريطة توضيحية لمناطق نفوذ نوبل وعائلته، الأسماء المكتوبة بالخط المائل هي أسماء المناطق والقبائل الذين مورست عليهم سلطة فيرموس وإخوته.

المصدر: Camps (G.), Rex gentium Maurorum et Romanorum…, op. cit, p- 188. بتصرف.

يشهد اسم جيلدون على أصله الإفريقي وعلى انتمائه لعائلة الأمراء الأفارقة، وهو في الحقيقة نطق لجذر كلمة {GLD} من النقوش الليبية التي وردت باللغة الأمازيغية الحديثة وتعني "الزعيم، الملك"، يرجح تاريخ ميلاده بحوالي 340م في بيئة كانت ذات طابع روماني بحت رغم أنها مغاربية، يظهر لأول مرة في المصادر عام 372 أو 373م مع القائد ثيودوسيوس (Theodosius) الأكبر، ومن تلك الفترة يبدو أنه يشغل منصبا مهما في الجيش الامبراطوري، دون أن يكون قد تخلى عن ميراث والده، ومواصلته للعمل في الجيش

[1]- Laporte Jean-Pierre, Nubel, père de Sammac*, Firmus, Gildon*, etc. », E. B [En ligne], 34 | 2012, document N72, mis en ligne le 15 décembre 2020, consulté le 5- 2- 2024. URL: http:// journals openedition.org/encyclopedieberbere/2763, pp- 5626- 5630, p- 5627.

الروماني هو الأمر الذي قاده بسرعة كبيرة إلى الذروة، فظهر في المصادر سنة 385م عندما وصل إلى قرطاجة، في مهمة كانت من نصيب رومانوس (Romanus)[1]، وأعلن نفسه أغسطس في قرطاج بمعنى أنه أصبح قائد جميع الجيوش الرومانية في إفريقيا تحت لقب يعرف بـ (Comes Africae)، وفي وقت لاحق قبل عام 393م حمل لقب الكونت (Comte) الذي عمل فيه لمدة عشر سنوات قبل أن يرفض سلطة محكمة رافينا (Revenne)[2]، قائد الميليشيتين (Maitre des deux milices) في إفريقيا مع الرتبة النبيلة الرسمية (Vir Spectabilis) الرجل النبيل[3]، ويعتبر هذا مثالا جيدا لصعود كبار الضباط من أصل إفريقي في الإمبراطورية نهاية القرن الرابع للميلاد.[4]

على الرغم من موقف جيلدون الغامض أثناء اغتصاب مكسيموس عام 388م، إلا أن الإمبراطور ثيودوس ابن الجنرال الذي خدم معه 373- 375م، استمر في تسهيل هذا الصعود الاستثنائي، إلا أن هذا الامتياز الذي خصته روما بجيلدون كان له أبعاد أخرى، تتمثل في الاعتماد على رجل قوي لإبقاء علاقاتهم مع القبائل البربرية، حيث كانت عائلة نوبل قوية بشكل خاص في موريطانيا القيصرية، لكن مجال قائد إفريقيا كان أكبر بكثير، وحسب موديرو (Modéran) فإنه من المرجح أن قدرة جيلدون على إقامة روابط مع الطبقة الأرستقراطية الرومانية العليا هي التي تفسر نجاحه، فقد تزوج من سيدة نبيلة ومسيحية في قرطاج وصفها جيروم (Jerome) بأنها مقدسة، كما زوج ابنته سالفينا (Salvina) من نبيرديوس (Nebridius) ابن أخ الإمبراطورة فلاكيلا (Flacilla) زوجة ثيودوسيوس، وفي الوقت نفسه قام بكسب ملكية أرضية ضخمة، سمحت له بالتأكيد على الحصول على مكان حقيقي داخل الطبقة الأرستقراطية الرومانية الإقليمية القديمة، أما كتابات القديس أوغسطين فتشير إلى أن جيلدون ربما لتأسيس سلطته الشخصية بشكل أفضل، جعل نفسه في المنطقة الشاسعة الخاضعة لسلطته، حاميا لمختلف الحكام المحليين وأحيانا في تحدٍ للقانون.[5]

اختلفت الآراء حول الهدف الأساسي الذي كان يسعى جيلدون لتحقيقه، فحسب المصادر والكتابات التاريخية التي اهتمت بدراسته، تعددت القراءات حول الشخصية وتنوعت رؤى المؤرخين، فهناك من جعل من ثورته سنة 397م أساسا لاعتباره زعيما وطنيا إفريقيا سعى لتأسيس دولة إفريقية تفترض مشروعا سياسيا محددا، إضافة إلى علاقته بالدوناتية وتقديمه المساعدة لأوبتاتوس (Optatus) زعيم الحركة الدوناتية في تيمغاد، كدليل على شخصيته كزعيم إفريقي.[6]

هدد جيلدون روما بالجوع فمنع مدها بالقمح السنوي وأعلن عن انضمام إفريقيا إلى الإمبراطورية الرومانية الشرقية، أما موديرو (Modéran) فقد اعتبر جيلدون حاكم روماني إقليمي مهتم بسلطته أكثر من كونه زعيما مغاربيا متمردا باسم شعبه، في حين نجد أن بعض المصادر أكثر موثوقية من شاعر البلاط كلوديان (Claudien) أمثال زوسيميوس (Zosimus)

1- Modéran (Y.), Gildon», E. B [En ligne], 20 | 1998, document G49, mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 5 -2- 2024. URL: http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1928, pp- 3134-3136. p- 3135.

2- Camps (G.), Rex gentium Maurorum et Romanorum…, op. cit, p- 187.

3- Modéran (Y.), Gildon»…, op. cit., p- 3135.

4- Laporte (J.P.), Nubel, père de Sammac…, op. cit., p- 5629.

5- Modéran (Y.), Gildon»…, op. cit., 3135- 3136.

6- Modéran (Y.), Gildon, les Maures et l'Afrique. In: M. F. R. tome 101, n°2 1989. pp. 821-872, p-847.

وخاصة أوروسيوس (Orosius)، الذي كتب بعد عشرين عاما من الثورة وفي إفريقيا مع شهود مباشرين مثل القديس أوغسطين (Augustinus)، لم يدلوا بكلمة واحدة عنها، وقد اعتبر زوسيموس حرب 397- 398م هي محاولة انفصالية مدفوعة بطموحات شخصية لجيلدون، ويضيف موديرو (Modéran) بأن هناك جزءا من الغموض لا يزال قائما حول الأسباب الدقيقة لهذه الثورة، وكون المغامرة كانت قصيرة جدا لم يتمكن جيلدون من الكشف عن نواياه الحقيقية.[1]

كما أصبحت المنطقة الحدودية في طرابلس تحت سيطرة مجموعة النخبة التي استندت قوتها إلى الروابط القبلية التقليدية، وعلى موقعهم كملاك الأراضي الرئيسيين في المنطقة وعلى الدعم الروماني الرسمي لهم، حتى أنه في القرن الرابع بعد تقلص التجارة في البحر المتوسط وتراجع السوق خلق نوعا من السخط بين النبلاء المؤيدين لروما، خاصة أن القوة العسكرية والسياسية قد زادت فوق الثروة كمؤشرات على المكانة الاجتماعية، ونظرا لتغير الظروف سيصبح المزارعين الرائدين أكثر تقبلا للمعاهدات الرومانية والألقاب الشرفية والهدايا وحتى الرواتب.[2]

المطلب الثاني: التجارة

كانت التجارة تتطور في المناطق البعيدة عن البحر، وسمحت بتصدير الإنتاج المتزايد من خلال التنمية الزراعية[3]، فيبدو أن الأفارقة تجاوزوا الحد الأدنى من المتطلبات إلى حد كبير من خلال جني أرباح كبيرة من تسويق منتجاتهم، وهنا نستدل بالمعاصر التي بلغ عددها أربعين 40 معصرة في إقليم كيليوم (Cillium)، ومن خلال تقييم عدد أشجار الزيتون وإنتاج الزيت في القطاع الجنوبي، تم تأكيد الطبيعة الهائلة للإنتاج، حيث تنتج ما يقارب 10000 إلى 20000 شجرة منتجة ما يقارب 400000 إلى 800000 لتر من الزيت سنويا من مساحة تتروح بين 100 إلى 400 هكتار.[4]

نمّى الأرستقراطيين الآخرين ثرواتهم من التجارة خاصة في مدن الموانئ[5]، وتشكل الأعمال العظيمة التي تحمل العلامة في _سهوب بيزاكين (Byzacène)[6]؛ التي اشتهرت بزراعة الزيتون خاصة في الجهة الغربية والساحلية منها والتي تعتبر جزء من ساحل طرابلس[7]، إضافة إلى نوميديا (Numidie) وسفوح الأوراس (Aurès)_ تطورا فعالا إذ أدت

[1]- Modéran (Y.), Gildon»…, op. cit., p- 3136- 3137.
[2]- Mattingly David, Libyans and the 'limes…, op. cit., p- 86- 88.
[3]- Lassèr (J. M.), Vbique Populus…, p- 590.
[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 119.
[5]- Chaouali (M.), Les nundinae dans les grands…, op. cit., p- 378.
[6]- Lassèr (J. M.), Vbique populus…, op. cit., p- 590.
[7]- Chaouali (M.), Les nundinae dans les grands…, op. cit., p- 378.

التجارة مع إيطاليا، وتسليح السفن التجارية إلى إثراء برجوازية كيرتا، مما سمح لهم بتفويض أبنائهم إلى أعلى سلطات الدولة.[1]

اشتهرت موريطانيا القيصرية هي الأخرى بتصدير النبيذ خارج مقاطعة إفريقيا، إذ وجدت شواهد مادية في العديد من المواقع وعلى وجه الخصوص في أوستيا (Ostie) حيث جمعت شظايا الأمفورات القادمة من موريطانيا القيصرية في طبقات يعود تاريخها إلى مابين 225- 250م، تحمل الأمفورات _التي نقل فيها نوع من أنواع النبيذ المشهور المسمى الباسوم الإفريقي (passum africain)_ الختم الذي عرف باسم مدينة توبيسكتو (Tubusuctu)؛ التي تسمى حاليا ثقليعث وتقع على بعد حوالي 30 كم من البحر في وادي الصومام، ويضيف لكيمان روبرت (Lequément Robert) أنه إذا كانت هذه المنطقة اليوم مكرسة جزئيا بلا شك لزراعة الزيتون، فإن هذا لا يستبعد بأي حال من الأحوال زراعة الكروم في الفترة القديمة، خاصة وأن هذه الزراعة كانت تمارس بالتزامن مع زراعة شجرة الزيتون والحبوب، كما لا بد من الإشارة إلى أنه وجدت الطوابع التي تحمل اسم المدينة المذكورة أعلاه في عدة مدن بروما مثل مونديلا غويستيزيا (Monte della Giustizia) في حمامات ديوقليديانوس (Diocletianus)، وفي كاسترو بريتوريو (Castro Pretorio)، حدائق تورلونيا (Torlonia)، و (Monte Testaccio) ميناء الزيت في روما على ضفاف نهر التيبر (Tibre).[2]

تجدر بنا الإشارة في خصوص هذا الأمر أن نستدل بنماذج جاء ذكرها في بعض المصادر الأدبية، ووردت إحداها في المصادر المادية مثلما أكدته النقوش الإفريقية، يمكننا أن نستدل في مجال التجارة بداية بشخصية برزت خلال القرن الثاني حسب ما أثبتته الأدلة الأثرية وهو:

1- لوكيوس كايكيليوس أيميليانوس (L. Caecilius Aemilianus):

عرف لوكيوس في مجال تجارة النبيذ، حيث وجد اسمه في أوستيا (Ostie) بمنتدى (Rinarium)، وهو أحد المحاربين القدامى، وكان عضو في مجلس الديكوريون (Decurion) وديومفير (Duumvir) من مدينة أيليا أوليزيبيرا (Aelia Uluzibbira) الإفريقية؛ وهي حاليا هنشير زمبرا (Henchir Zembra) على بعد حوالي 20 كم شمال غرب سوسة (Hadrumetum)، والذي أصبح عضوا في كلية المستوردين والتجار (rinarium inportorum negotiantium) والغالب حسب افتراض (Robert Lequement) أن هذه الشخصية اهتمت بتصدير النبيذ إلى روما من إفريقيا حيث لا بد أنه استقر وحيث لا يزال يقيم بلا شك، خاصة وأنه في ظل توسع الاحتلال الروماني في بلاد المغرب خلال القرن الثاني للميلاد، أخذت زراعة الكروم في التوسع، ودليل ذلك نقش هنشير متيش (Henchir Mettich) الشهير في البروقنصلية، الذي قدم لنا في 116- 117م قانون (Lex Manciana) الذي بدوره خصص فقرة لزراعة الكروم الجديدة، إضافة إلى نقش عين جمالة (Ain Djemala) (تقع بالقرب من تبرسق بتونس) في عهد

[1]- Lassèr (J. M.), Vbique populus…, op. cit., p- 590.
[2]- Lequément (R.), op. cit., p- 190.

هدريان الذي سجل رد وكيل الإمبراطور على طلب الأرض لزراعة أشجار الزيتون والكروم، مرسل من طرف مزارعي الباغوس الإفريقي، ويرجح المؤرخون أنه من المستبعد أن تكون مزارع الكروم هذه مخصصة فقط للاستهلاك العائلي للمزارع، وإنما موجهة للاستهلاك العام والتصدير، وهذا هو الحال أيضا بالنسبة لإيميليانوس (Aemilianus) من أويا (Oea) الذي كان في عهد ماركوس أوريليوس يمتلك عقارا حيث وجدت الحبوب والكروم والقطعان.[1]

تظهر تعريفة زراي[2] (Zarai) خلال القرن الثالث أن تيارا تجاريا عبَر الحدود الجنوبية لموريطانيا ونوميديا، وكان النبيذ هو أحد المنتجات المنقولة والضريبة المحصلة على كل أمفورة هي سيسترس واحد، حيث تعود المنشآت الزراعية الهامة للعنب إلى نهاية القرن الثالث وبالضبط في 278م، إذ اكتشفت بالقرب من تيبازة في موريطانيا تمت دراستها من قبل (Gsell)[3]، ولم تكن المنتجات الزراعية والقمح والنبيذ والزيت، السلع الوحيدة المستوردة من إفريقيا على الرغم من أن تجارتها اكتسبت أهمية كبيرة، بل كانت هناك منتجات أخرى تم تصديرها إلى روما مثل الرخام والخشب والخيول الأرجوانية لجزيرة جربة أو موريطانيا الطنجية.[4]

تم حجز تسع مكاتب من طرف التجار الأفارقة في أوستيا (Ostie) حيث كانت تجتمع الشركات، كما تظهر لنا الفسيفساء غالبا مشاهد بحرية وموانئ وحتى نماذج مختلفة من السفن المستخدمة مع أسماءها، إذ امتدت التجارة الإفريقية إلى كل مكان مع العثور على علامات لأمفورات النفط في بريطانيا وعلى نهر الراين، إضافة إلى ذلك يخبرنا القديس أوغسطين أنه في عصره كان التجار من هيبون (Hippone) (عنابة) يذهبون للبحث عن ثروتهم في الهند، أما التجارة المحلية فهي الأخرى شهدت نشاطا مكثفا، وكان لجميع المدن أسواقها ومتاجرها العديدة وتم بيع كل شيء هناك، ويصف شارل بيكارد ذلك انطلاقا لما تم اكتشافه من خلال الحفريات الأثرية.[5]

كانت الموانئ في طرابلس منفذا للمنتجات الزراعية المحلية بقدر ما كانت منفذا للتجارة الصحراوية، وقد عرف حوض لبتيس ماغنا إضافة إلى ميناء جيجيثيس (Gigthis) الذي شهد تطورا ملحوظا، أما في سبراته (Sabratha) فيقتصر الميناء على رصيف كبير وميناء كاسر

---

[1]- Lequément (R.), op. cit., p- 187- 189.

[2]- تعريفة زراي: عبارة عن نقش معروف باسم تعريفة زراي، والذي يتم تقديمه على شكل قائمة من المنتجات المصنفة تحت عناوين مختلفة مع ذكر التسعيرة التي تم تطبيقها عليها عند عبور مكتب الرسوم أو الجمارك، تم اكتشاف النص أثناء الحفريات التي أجريت لإنشاء طاحونة بالقرب من زراي (حاليا زراية) وهي منطقة تقع في الجزائر على بعد حوالي 100 كم جنوب غرب قسنطينة وحوالي 50 كم جنوب شرق سطيف. للمزيد ينظر: Trousset Pol, Le tarif de Zarai: essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne. In: Antiquités africaines, 38-39,2002, pp. 355-373, p- 356.

[3]- Lequément (R.), op. cit., pp- 187- 188.

[4]- André Lecoq, le commerce de l'Afrique du Nord sous la domination romaine, L'Echo de l'Oranie 340, 2012, pp- 13- 14, p- 13.

[5]- Thouvenot Raymond, L'Afrique Romaine aux trois premiers siècles. In : journal des savants, 1960, pp- 130- 139, p- 134.

أمواج موازي للشاطئ، حيث تترك قناة بينهما حتى يتجنب التيار الترسبات، وكان في الأساس ملجأ للسفن متوسطة الحمولة، إذ يعني نمو مرافق الموانئ نمو طبقة التجار وأصحاب السفن، وهو ما يتضح في زخرفة المساكن الموجودة في هذه المدن، وفي وفرة الفسيفساء ذات المواضيع البحرية، التي ترمز إلى الاعتراف بأقطاب الملاحة والتجارة، ومن المحتمل أنه حدثت ثورة في المجتمع الإفريقي خلال القرن الثاني ميلادي، إذ يلاحظ أن أهم الشخصيات مثل حاكم برتبة قاضي (Préfet du Prétoire) أيميليوس لايتوس (Aemilius Laetus) والمنافسين الإمبراطوريين؛ كلوديوس ألبينوس (Claudius Albinus) وسبتيموس سيفيروس جاؤوا من موانئ هذه الواجهة (السيرت والساحل)، لكن في السيرت و بيزاكيوم خيبت محاصيل الكتابات توقعات المؤرخين للسكان الأفارقة، ويشير لاسير أن روجي J. Rougé قد لاحظ في مدينة لبتيس ماغنا الغياب شبه الكامل للنقوش المتعلقة بالأشخاص العاملين في التجارة، ويلاحظ النقص ذاته في جميع الموانئ الموجودة على هذه الواجهة وحتى في قرطاج، أما في جيجثيس هناك عدد قليل من الأسماء المعروفة خارج العائلات الكبرى للبرجوازية واشتهرت خلال القرن الثاني، ويرجح سبب هذا الغياب في الغالب إلى أن تجارة الميناء كانت مؤقتة فقط، واعتبرت إفريقيا هي المنطقة الوحيدة التي لا تكاد تكشف عن أي رابطة للتجار في الإمبراطورية العليا، في حين عرفت فترة أبوليوس بأن الثروة الكبيرة فيها تعود للتجار وليس للملاك.[1]

يعد هذا النقص في الحديث عن التجار بإفريقيا أو ذكرهم في المصادر باختلافها السبب الذي جعلنا نقتصر على ذكر نموذج لعائلة اشتهرت بأنها كانت من كبريات العائلات المالكة في إفريقيا على غرار ممارستها للتجارة وهي:

1- عائلة أرادي (Aradii):

يرجح (G. Camps) في دراسته لاسم هذه القبيلة أو العائلة بأنه ليس إفريقيا وإنما سامي، حيث توجد جزيرة ومدينة في شمال فينيقيا تسمى أرادوس (Arados)، وهي حاليا أرواد (Arwad) (جزيرة الرواد Rouad) على الساحل السوري، وهذا الاسم الجغرافي ربما انتقل مع الفنيقيين إلى إفريقيا، كما تُعرف في زغوان (Zeugitane) بلدة العرادي الواقعة جنوب غرب ثوبوربو مايوس (Thuburbo Majus)، وتبقى ذكراها باسم هنشير بوعرادة (d'Henchir Bou Arada)، كما يربطها بشخصية يعتقد أنها خيالية ذكرت في تاريخ أغسطس (L'Histoire Auguste) وهو ثائر إفريقي يدعى أراديون (Aradion) جرت بينه وبين بروبوس (Probus) حرب في فترة حكم غالينوس (253- 260م) (Gallienus) على الأغلب خلال التمرد الكبير في 253- 260م، عندما غادر بروبوس برقة القديمة ووصل بقواته إلى زغوان (Zeugitane) التي كانت قرطاج عاصمتها فهزم أراديون على يد بروبوس، وبهذا يمكن الاعتقاد أنه إذا كان اسم أراديون غير معروف في علم الأسماء، فليس من المستحيل أن يكون قد أخذ لقبه من

---

[1]- Lassèr (J. M.), Vbique populus…, op. cit., p- 375- 376.

المدينة أو البلد الذي نشأ فيه، ورغم بقاء الاسم العائلي (gentilice) أراديوس (Aradius) نادر الاستعمال إلى أنه برز من خلال عدة شخصيات من رتبة مجلس الشيوخ.[1]

ير عزالدين بشاوش إلى أنه لا يمكن ربط اسم عائلة أرادي بالاسم الجغرافي أرادي والتي هي قريبة من ثيبيكا (Thibica) حيث تم العثور على إحدى النقوش المعلقة.[2]

نجد مقابل ذلك في إشارة لحسين جعيدي يذكر فيها أن العائلة من بولاريجيا (Bulla Regia) وكان لها ممثلين في مجلس الشيوخ الروماني منذ بداية القرن الثالث على أبعد تقدير[3]، والتي سنحاول ذكرها وهي كالآتي:

1-1- كوينتوس أراديوس روفينوس (Quintus Aradius Rufinus):

فيما يخص لقبه (Rufunus) فحسب تصنيف سليم دريسي يدرج هذا اللقب ضمن الألقاب الليبية البونيقية المترجمة إلى اللاتينية[4]، ويرجع أقدم ذكر لهذه العائلة (Aradii) إلى عام 219م، تم اختيار كوينتوس أراديوس روفينوس في الثامن والعشرين من عمره ديكوريون (décurie) في الجيش الأوغسطي، وفي عام 304م أصبح والي المدينة (Praefectus Urbis) وشغل الوظيفة نفسها من 5 فيفري إلى 7 نوفمبر 312م، ثم مرة أخرى من ديسمبر 312 إلى ديسمبر 313م[5]، وقد كان بروقنصل إفريقيا قبل عام 290م أو في الأعوام 306- 308م، ومن المتعارف عليه أنه كان والد والي بيزاكين لعام 321م.[6]

حسب بشاوش ووفقا لنقيشة (Regulbium) كان هذا الشخص حاكما لمقاطعة بريطانيا العليا، بعد أن كان يشغل منصب برقنصل إفريقيا.[7]

النقيشة:

Q(uinto) Aradio Rufino / Optato Aeliano co(n)s(uli) / sodal[i] Augustali, agenti / vice p[r]oco(n)s(ulis) provinciae) Afrik(ae), / leg(ato) Au- [g(usti)] pr(o) pr(aetore) provinciarum / [Syriae] Coelae item Phoe/[nic(es) ite]m Galatiae, praef(ecto) / [aer(ari) Saturni praef(ecto) aera/[ri mil(itaris), l)eg(ato) leg(ionis) VII[...

الترجمة:

---

[1]- Camps (G.), «Aradion », E. B. (en ligne),6] 1989, mis en line le 1- 12- 2012, consulté le 26- 1- 2024, pp- 843- 844, p-843.

[2]- Beschaouch Azzedine, Le mystérieux Quintus Aradius Rufinus, cnsulaire africain, In : Bulletin de la société nationale des antiquaires de france, 1976, 1978. pp- 136- 137, p- 137.

[3]- Houcine Jaïdi, Etre notable au Maghreb. Le patronat des cités dans les provinces romaines d'Afrique, expression de l'allégeance et facteurs de la territorialisation, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, Tunisie, 2006, pp- 41- 60, p- 42. mis en ligne 18- 12- 2014, consulté 2- 4- 2023. http://books.Openedition.org/irmc/312

[4]- Drici Salim, Zettara, Arascal, Sila, Sigus, masterense et du territoire s'étendant de Cirta a Thibilis (confédération cirttéenne) durant l'époque romaine, Revu d'études archéologiques, Volume 9, N°1, 2011, p- 13- 40, p- 28.

[5]- Camps (G.), «Aradion »…, op. cit., p- 844.

[6]- Houcine (J.), op. cit., p- 43.

[7]- Beschaouch (A.), Le Mystérieux Quintus Aradius Rufinus…, op. cit, p- 137.

كوينتوس أراديوس روفينوس أبتاتوس أيليانوس قنصل في الجيش الأغسطي القائم بأعمال بروقنصل مقاطعة إفريقيا، مفوض أغسطي لحاكم مقاطعة سوريا و كويلاي وفينيقيا وغلاطية، قائد ساتورنيني، قائد الجيش ومفوض في الفيلق السابع.

2-1- كوينتوس أراديوس روفينوس فاليريوس بروكولوس بوبيلنيوس (Q. Aradius Rufinus Valerius Proculus Populonius):

كان حاكما لبيزاكين (Byzacène) في عام 321م واستقبل عملاءه من العديد من مدن هذه المقاطعة: ثينا (Thaena)، زاما ريجيا (Zama Regia)، حضرموت (Hadrumète)، شلولي (Chluli) وهي بلدية غير معروفة، مدينة فاوستينينسيز (Civitas Faustinienses)، ديتاني أو ميديتاني (Mididitani)[1]، كان راعيا (Patron) لحضرموت (Hadrumetum) حسب ما أشار إليه نقش يعود تاريخه إلى 13مارس 321م[2]، بالإضافة إلى الرعاية التي مارسها كوينتوس أراديوس فاليريوس على حضرموت، شهدت ألواح برونزية أخرى على رعايته لخمس مدن إفريقية أخرى وهي: بلدية شوليتانوم (Chlulitanium)، ثايناي (Thaenae)، زاما ريجيا (Zama Regia)، مدينة فاوستيانسيس (Faustianensis) ومديدي (Mididi).[3]

النقيشة:

Populonii/Dd(ominis) nn(ostris) Crispo et Constantino iun(iore) nobb (ilissimis) / Caess(aribus) iterum, IIIidus mar(tias), conss(ulibus), /coloni coloniae Concordiae Vlpiae Traianae /Augustae Frugiferae Hadrumetinae / Q. Aradium Valerium Proculum v(irum) c(larissimum), praesidem provinc(iae) Val(eriae) Byzacenae, liberos posterosque eius, / sibi liberis posterisque suis patronum coopta / uerunt ; Q. Aradius Valerius Proculus v(ir) c(larissimus), praeses / provinc(iae) Val(eriae) Byzacenae, colonos coloniae Con / cordiae (sic) Vlpiae Traianae Augustae Frugiferae / Hadrumetinae liberos posterosque eorum in [f]idem clientelamque suam liberorum /posterumque suorum recepit.[4]

الترجمة:

تحت القنصلية الثانية لسادتنا كريسبوس وقسطنطين الصغير، أنبل القياصرة في الثالث عشر من شهر مارس، اختار مستوطنو مستعمرة كونكورديا أولبيا ترايانا أوغوستا فروجيفيرا حضروميتوم راعيا لهم ولأبنائهم وأحفادهم، كوينتوس أراديوس فاليريوس بروكولوس، الرجل اللامع حاكم مقاطعة فاليريا في بيزاكين، استقبل بحسن نية معمري مستعمرة كونكورديا وكذلك أبناء وأحفاد فلبيا ترايانا أوغوستا فروجيفيرا حضروميتينا في ولاء وتبعية أبنائه وأحفاده.

يعكس ذكر فاليري (Valerii) في اسم الشخصية التحالف الزوجي الذي ربط عائلة أرادي بأقدم وأقوى عائلات مجلس الشيوخ في الإمبراطورية المتأخرة، ففي القرن الرابع ميلادي كان الأراديون يشكلون مع فاليري_ من سلالة قديمة_ وأنيكي_ من أصل إفريقي، نخبة

1- Camps (G.), «Aradion »…, op. cit., p- 844.
2- Houcine (J.), op. cit., p- 41.
3- Ibid, p- 43.
4- CIL, VI, 1687 = ILS, 6111.

مجلس الشيوخ الروماني إذ حدث اندماج بين الأراديين والفاليريين في السنوات الأخيرة من القرن الثالث أو السنوات الأولى من القرن الرابع، وذلك بزواج كوينتوس أراديوس روفينوس (Q. Aradius Rufinus) بفاليريا.[1]

يحتمل أن عضوية كوينتوس أراديوس فاليريوس عن طريق الزوارج من عائلة أرادي جعلته أحد كبار ملاك الأراضي في إفريقيا في أواخر الإمبراطورية، ويعتقد أن حكومته لبيزاكين لم تكن آخر مهامه وكان له الحق أن يأمل في ولاية إفريقيا التي ستليها ولاية المدينة، كما كان الحال بالنسبة لأخيه الأصغر من بين العديد من الأمثلة الأخرى.[2]

1-3- لوكيوس أراديوس فاليريوس بروكيلوس بوبيلونيوس (L. Aradius Valerius Proculus Populonius):

يفترض أن يكون كوينتوس أيضا شقيق لوكيوس الذي كان حاكما يتمتع بالسلطة القضائية على أبرشية إفريقيا بأكملها بين عامي 335- 337م، وهو العام الذي أصبح فيه حاكما للمدينة، تم تعيينه مرة أخرى حاكما للمدينة عام 351م من قبل المغتصب ماجنينوس (Magnence)، ينسب إليه امتلاك (Latifondium) فيلوصوفيانا (Filosofiana) في صقلية والتي وجدت بها فيلا (Piazza Arme-rina).[3]

كان على الأرجح في 318- 320م مفوضا (légat) لبروقنصل إفريقيا قبل تعيينه مسؤولا عن حكومة بيزاكين عام 322- 324م، واصل مسيرته الرائعة في مجلس الشيوخ، لاسيما إدارة قنصلية إفريقيا والتي تم إثباتها في الفترة الممتدة من 1 جويلية 331 إلى 18 أفريل 333م (بالنسبة للمقاطعات الإفريقية تولى وظائف حاكم برايتوري)، وقد مارس منصب حاكم المدينة مرتين من 10 مارس 337 إلى 13 جانفي 338م، ومن 18 ديسمبر 351 إلى 9 سبتمبر 352م.[4]

1-4- لوكيوس أراديوس روسكيوس روفينوس ساتورنينوس تبيريانوس (L. Aradius Roscius Rufunus Saturninus Tiberianus):

حصل على إهداء في (Privernas) اللاتيوم (Latium)، وهو قريب جدا من (P. Aradius Roscius Rufinus Saturninus Tiberianus)، الذي كانت ابنته (Clarissima Puella) وراعية لبولا ريجيا (Bulla Regia)، حيث دفن هذا الأخير في مقبرة (Calliste) وتعتبر مدينة بولا ريجيا مهد هذه العائلة في مجلس الشيوخ.[5]

1-5- فاليريوس بينيانوس (Valerius Pinianus):

كان حفيد بروكولوس الذي تولى قنصلية إفريقيا عام 340م، وهو أحد آخر ممثلي أرادي فاليري (Aradii Valerii) برز في بداية القرن الخامس كان يمتلك مع زوجته فاليريا

[1]- Houcine (J.), op. cit., p- 43.
[2]- Ibid, p- 47- 48.
[3]- Camps (G.), «Aradion »…, op. cit., p- 844.
[4]- Houcine (J.), op. cit., p- 44.
[5]- Camps (G.), «Aradion »…, op. cit., p- 844.

ميلانيا (Valeria Melania) عقارات واسعة وعددا كبيرا من العبيد في البروقنصلية ونوميديا وموريتانيا القيصرية، في الواقع لم تشكل هذه البضائع سوى جزء من ممتلكاتهم الهائلة من الأراضي الموجودة في العديد من مناطق الإمبراطورية، لقد كانت بلا شك نتاج تراكم كان من عمل عدة أجيال، ولا بد أن المناصب الإدارية العليا التي يشغلها أفراد العائلتين المتحالفتين، قد سمحت لهم بمراقبة إدارة تراث العائلة عن كثب وتوسيعها كلما سنحت الفرصة.[1]

المطلب الثالث: الصناعة والحرف

يعد البحث في مجال الحرف أمرا صعبا تقريبا في كل المقاطعات الإفريقية، نظرا لأن علم الآثار لم يقدم معلومات كافية واقتصرت المصادر الأدبية على بعض الأفكار، التي لم تفي بالغرض إلى حد بعيد، فنجد النقوش التي جسدت على الشواهد الجنائزية والنذرية، إضافة إلى ما وجد على القطع الحجرية المصنوعة محليا تحمل توقيع صانعيها أو ذكرهم على الشقفة، ومع ذلك فإن تحديد هوية الحرفي ليس بالأمر السهل دائما، وذلك بسبب الصعوبات في قراءة المهنة التي قد تكون في بعض الأحيان بها أخطاء إملائية، وقد كانت إفريقيا بالرغم من أنها من بين المناطق التي قدمت أكبر عدد من النقائش، إلا أنها نادرا ما تتضمن إشارات إلى مجال العمل والجهات الفاعلة فيه والتي تقتصر على المرثيات، والنص في أغلب الأحيان يكتفي بذكر مهنة المتوفى بعد اسمه مباشرة دون مزيد من التفاصيل.[2]

كانت الطبقة الأرستقراطية الإفريقية تتحصل على ثروتها على غرار ملكية الأراضي، من الصناعات والحرف المختلفة حيث اشتهروا بصناعة نوع من المصابيح الإفريقية، التي كانت تتوزع على نطاق واسع خارج إفريقيا،[3] ووجدت بكميات كبيرة بعضها يحمل طوابع أو علامات محفورة للمصنع وكانت علامتي (CIUNDRAC) و (CIUNLEX) شائعة، والتوقيع (M NOVI IUSTI) الموجود في سوسة وفي مناطق أخرى مثل ثيسدروس.[4]

تعمد هؤلاء الحرفيين نقش أسماءهم أيضا إلى جانب توقيع الورشة للدلالة على الجودة وضمانها وإلا لما تكلفوا عناء نقشها، حيث يخصص لها الجزء العلوي مثلا في المصابيح وكان التوقيع يوضع تقليديا تحت الرقم، وهو ما يمكن أن نستدل عليه بنماذج من موريطانيا القيصرية بمنطقة شرشال وتيبازة تعود إلى حوالي القرن الرابع والخامس للميلاد، مثلا تم تطوير انتاج المصابيح من نوع (Bussière E IV 2) وكترويج لها كتبت عليها مختلف العبارات المرفوقة باسم صانعها وتشير عمراوي (Amraoui) أن غزال (Gsell) اعتبرها بأنها تحمل طابعا إعلانيا، واشتهر منهم كل من دوناتوس (Donatus) وأسينيس (Assenes) أبرز هذه العبارات "يحيا دوناتوس سيد كوروبلاست" ، "اشتر مصابيح أسينيس"، يضيف دوناتوس

[1]- Houcine (J.), op. cit., p- 48.
[2]- Amraoui Touatia, Les artisans Africains : étude sociale et organisation du travail, A. A, n° 52, 2016, p 59- 80, pp 60- 61.
[3]- Chaouali (M.), op. cit., p- 378.
[4]- Mrabet Abdellatif, Thysdrus/ El Jem site, monuments et parc archéologue, contraste Editions, Tunus, 2021, p- 100.

لقبه (Coro magister) و (maitre coroplaste)، يحاول الخزاف أن يبين نفسه على أنه صاحب علم ومعرفة بمهنته من خلال الخبرة التي حصل عليها في المجال، واستخدام مثل هذه الكلمات التي تدل على الخبرة تدعم تفوقهم في التسلسل الهرمي للعمل[1]، وقد كانت صناعة الخزف والصباغة وغيرها من الصناعات المنزلية تجمع العمال في الضواحي الحضرية.[2]



الملحق رقم 6: صورة توضيحية لمصابيح قناة منحنية من منطقة تيبازة-شرشال عليها نقش تجاري.

المصدر: Amraoui (T.), op. cit., p- 64.

يؤكد كريستوف هيجونيو (Christophe Hugoniot) في إشارة له أن تطور الزراعة والصادرات الإفريقية أدى إلى تطوير قطاع حرفي حقيقي[3]، فقد اشتهرت صناعة السيراميك (Céramique) والذي دلت عليه الجرار المخصصة لنقل الزيت _أمفورات إفريقية من النوع الثاني أ_ بطبقات ودون طبقات، وكذا الأواني الفخارية والمصابيح الموجودة في شحنات المواد الغذائية، كما ظهرت مهارات أخرى في ممارسة الحرف عند الأفارقة وهو ما دل عليه علم الآثار مثل صناعة المعادن، النحت، أعمال العظام، الفسيفساء، والعديد من الحرف التي كانت منتجاتها المصنوعة بدقة موضع الطلب.[4]

كانت حرفة صنع المعادن في موريطانيا القيصرية هي السائدة بكثرة وتشهد العديد من التخصصات، بعضها يتعلق بصناعة الأقفال أو الحدادة وهناك حرفيين متخصصين في زخرفة المعادن، كما اشتهرت الحرف الغذائية التي يمثلها الخبازون، أصحاب المطاحن والجزارون، إضافة إلى حرفة البناء وما يرتبط بها من تصوير، رسم، إنشاء أرضيات، واشتهر النسيج أيضا وما يتفرع عنه من خياطة، صباغة، أعمال الصوف والجلود، ولم تكن

[1]- Amraoui (T.), op. cit., pp- 65- 66.
[2]- Thouvenot (R.), op. cit, p- 133.
[3]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p - 119.
[4]- Mrabet (A.), op. cit., p- 22.

هذه المهن تقتصر على المستأجرين وأصحاب الورشات بل شملت أيضا فئات اجتماعية أكثر تواضعا.[1]

يمكننا الاستشهاد بالمجتمع الثيسدروسي (الجم بتونس حاليا) الذي صور علماء الآثار بعض سماته بإبراز معلومات عن الكدح والاجتهاد الذي عرف به سواء الحرفيين أو التجار، الذين كانوا يشتغلون في قلب المدينة، فمن خلال بقايا منازلهم وورشات العمل والمحلات التجارية تظهر مدى كثافة أنشطتهم وتنوع مهاراتهم الصناعية وبالتالي التجارية، ولا شك أنه كان هناك إلى جانب هؤلاء الحرفيين صناع متواضعون، متواجدون في المدن وكذلك في المناطق الريفية، والذين على الأغلب أنهم شاركوا إلى جانب الشباب من النخب الحضرية في أحداث 238م[2]، ومع ذلك يشير بعض المؤرخين إلى أن الحياة السياسية شهدت تفوقا على الاقتصاد حيث فضل الأرستقراطيين من النخب البلدية الدخل من الأرض على حساب الحرف والتجارة.[3]

طرحت النقائش بعض المشاكل التي يمكن مواجهتها لتأكيد ما إذا كان المتوفى حِرفيا بالفعل وهذه هي مهنته الرئيسية أو ما إذا كان على عكس ذلك، حيث يمكن أن يكون له مصالح في النشاط الحرفي دون أن يعمل بيديه، خاصة إذا لم يذكر في نقيشته مهنته، وبهذا يمكننا استخلاص نتيجة مفادها أنه يتسنى لأي شخص ذو رتبة عالية أن يكسب جزءا كبيرا من دخله من الأنشطة الحرفية دون أن يعمل فيها فعلا بنفسه.[4]

عرفت أيضا الصناعات النسيجية والخياطة التي كانت هي الأخرى مصدر مال للأفارقة يتمكنون عن طريقها من الولوج إلى المجالس البلدية والحصول على وظائف مختلفة في الدولة، إذ يمكننا الاستدلال ببعض الشخصيات التي ارتقت من صنعها للنسيج ونذكر:

1- ألفيوس كايكيليانوس (Alfius Caecilianus):

أشارت محاكمة الأسقف فيليكس في 314- 315م في بداية الانقسام الدوناتي، إلى وجود الكاتب (Ingentius) من زيكوا (Ziqua) في بيزاسين (Byzacen) عند ألفيوس كايكيليانوس الذي كان مساعدا لأيدليس (Edile) في المدينة المجاورة أبيثيجنوس (Abthugnos) عام 303م، سمحت له ثروته من الأرض بجمع المبلغ اللازم ليصبح ديكوريون (décurion) في مدينته الأصلية، وهو نفسه الذي كان نساجا وخياطا، فرآه عندما تشارك الطعام مع عماله وبالرغم من أنه امتلك الأرض كديكوريون إلا أنه لم يكن على رأس ثروة هائلة، نظرا لأن المبلغ المطلوب لدخول المجلس البلدي في المدينتين جد متواضع، وذلك لأنها لم تكونا من أكبر وأهم المدن، إذ لا يمكن مقارنة ثروة ألفيوس كايكيليانوس ذو الأصول الإفريقية، بسيناتور ثري أمثال بينيان (Pinien) مع نهاية القرن الرابع ميلادي.[5]

1- Amraoui (T.), op. cit., pp- 68- 69.
2- Mrabet (A.), op. cit., p- 27.
3- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 119.
4- Amraoui (T.), op. cit., p- 62.
5- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 101. Amraoui (T.), op. cit., p- 71.

ظهر في محاكمة الأسقف فليكس لأنه كان يمتلك حسا سليما ومهارة استخدمها للدفاع عن زملائه المسيحيين من الاضطهاد الذي أعلنه ديوقليديانوس عام 303م ضدهم، وقد عرف عن ألفيوس كايكيليانوس أنه بالرغم من وثنيته إلا أنه كان متسامحا.[1]

2- عائلة بولانيوس (Pulanius):

اشتهرت هذه العائلة بصناعة الفخار كسبيل لامتلاك الثروة، والذي كان مصدر دخل معتبر للعائلات المتنفذة بالمدينة، فكانت هذه العائلة نموذجا إذ امتلكت ورشات كبيرة لصناعة الفخار وصدرت منتجاتها إلى كل الغرب الروماني[2]، وكان توقيعها موجودا على العديد من المنتجات من ورشها، حيث تمتلك بالقرب من بلدة أوتشي مايوس (Uchi Maius) هنشير دواميس (Hanchir Douamis) بالقرب من دوقة (Dougga) أرضا وفيلا لا تزال بقاياها متواجدة، بالإضافة إلى هذه الممتلكات الزراعية وورشها وأفران الفخار امتلكوا أيضا عدة مصانع فخارية أخرى منتشرة في العديد من المناطق والمدن.[3]

المبحث الثالث: المنفذ الثقافي

انتهج الأفارقة سبيلا آخر كان أساسا لنجاح نفاذهم إلى المناصب، والحصول على الوظائف المختلفة في هياكل السلطة الرومانية، فكانت الخطابة، المحاماة، الطب، الفلسفة أو الأدب وغيرها من العلوم، تُمكن هؤلاء بعد ذيع صيتهم في أرجاء الإمبراطورية من الارتقاء الاجتماعي والولوج إلى عالم الإدارة.

اشتهر منذ القرن الثاني العديد من الأفارقة الذين كان لهم الفضل في إحياء الأدب اللاتيني أمثال أبوليوس المادوري الذي مارس وظيفة الكاهن (Saccerdoce) في المقاطعات الإفريقية واشتهر برواية الحمار الذهبي، من ناحية أخرى كان للخطيب فرونطون الكيرتي (Cirtéen Fronton) مسيرة رائعة في مجلس الشيوخ، وأصبح مدرسا لمارك أوريل (Marc Aurèle)، كما كان الأدب المسيحي ذا تنوع كبير فعلى غرار ترتيليان (Tertullien) عرف أيضا أسقف قرطاج كبريان (Cyprien)، وكان الانتصار الحقيقي للخطباء المسيحيين في عهد قسطنطين الذي توعد بوصولهم لمناصب اجتماعية عالية، كما أدى إصلاح نظام مجلس الشيوخ في القرن الرابع، إلى خلق قطاع أعطى الأمل لأكثر الخطباء ذكاء في ممارسة مهنة مجلس الشيوخ، فقد كان بإمكانهم الحصول على حكومة المقاطعة باعتباره (Perfectissime) في مقاطعة متواضعة الرتبة، مثل كلاريسيمو (Clarissime ex officio) بحكم منصبه، حتى لو كان قنصليا فقد تمت ترقيته بين القناصل السابقين (Par adlectio) وأبعد من ذلك تم السماح بكل الآمال.[4]

[1]- Lepelley Claude, Hilaire Yves-Marie, Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, étude d 'histoire municipale. In: Revue du Nord, tome 59, n°235, Octobre-décembre 1977, pp- 621-627, p-624.

[2]- فاضل لخضر، تبسة في العصور القديمة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 01، 2018، ص 138.

[3]- Mahjoubi (A.), Le régime des notables…, op. cit, p- 7.

[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 252.

كان الأفارقة الذين اتبعوا مهنة سياسية والذين استقروا أو انتقلوا إلى روما يترددون بسهولة، على تلك الدوائر حيث تمت مناقشة الأدب والعلوم أو القانون، فقد كانوا كثر وللتأكيد على انتشارهم الواسع، يكفي أن نذكر بعض الأفارقة الذين كانوا قناصلا في زمن فرونتون الكيرتي، أولا فرونتون نفسه ثم صهره فيكتورينوس (Victorinus) وبعد ذلك حفيده وابن الحفيد أيضا، سيرفيليوس سيلانوس (Servilius Silanus) من هيبون، سالفيوس يوليانوس (Salvius Julianus) الحضرموتي، باكتيميوس كليمنس (Pactumeius Clemens) من كيرتا، إيميليانوس سترابو (Aemilianus Strabo) الذي كان رفيقا لأبوليوس في مدارس قرطاجة، لوليوس أربيكيوس (Lollius Urbicus) الذي ولد بالقرب من كيرتا في تيديس ، وأخيرا ديديوس يوليانوس (Didius julianus)، ألبينوس وسيفيروس، قبل القنصلية أو بعدها كان معظم هؤلاء الأشخاص يحكمون مقاطعات مختلفة، حيث كان العديد منهم ولاة لإفريقيا وكان الكثير منهم في الآن ذاته كتابا وعلماء، ولم تقتصر طلباتهم فيما بعد على حصولهم على وظيفة القنصل أو حكومة مقاطعات أو السلطة في مجلس الشيوخ، بل أصبحوا يطالبون أيضا بالكرامة الإمبراطورية، وهو ما تشهد عليه بعض الوقائع بعد وفاة الإمبراطور كومودوس والصراع على الحكم بين سبتيموس سفيروس من لبدة وألبينوس الحضرموتي، والذي انتهى بفوز سبتيموس سفيروس واعتلاءه العرش عام 197م.[1]

نسب هيجونيو نقلا عن كلود لوبلي (Claude Lepelley) أهم الوظائف وأرقاها للعديد من الكتاب الأفارقة خلال القرن الرابع، وأشار إلى أن وجودهم في الإدارة أو في المحاكم الإمبراطورية لم يؤد دائما إلى صعود اجتماعي ثابت.[2]

يذكر مونصو (Monceaux) في إشارة له شخصيات عديدة من أصول إفريقية، وصلت إلى عرش الإمبراطورية خلال القرن الثالث والرابع، بعد كركلا وحكم الماوري ماكرينوس (Macrinus) لمدة عامين، وفي عام 238م تم إعلان الجورديانيين (Gordiens) في قرطاج وحكم وريثهم الثالث روما لمدة ست سنوات، أما في عام 240م فقد اندلعت في إفريقيا انتفاضة سابينيانوس (Sabinianus) في الأطلس وكانت هي الأخرى تهدف إلى السلطة العليا، وخلال الفترة المضطربة التي تلت ذلك نجد العديد من الأباطرة الأفارقة الآخرين أمثال؛ الماوري إيميليانوس (Aemilianus) عام 253م، وبعد ذلك اعتلى كيلسوس (Celsus) العرش عام 256م وحسب (Monceaux) فقد تم انتخابه رغما عنه وسرعان ما تم اغتياله، وبعد سنوات قليلة وصل إلى الإمبراطورية أمراء آخرون من أصل إفريقي وهم كاروس (Carus)، ثم أبناؤه كارينوس (Carinus) ونوميريان (Numérien)، وتم إعلان تعيين يوليانوس (Julianus) في إفريقيا، أخيرا من 308 إلى 311م حكم دوميتيوس ألكسندر (Domitius Alexandre) واستعاد الإمبراطورية القرطاجية لصالحه، وبهذا تكون شمال إفريقيا لأكثر من قرن من الزمن تمتد من 193- 311م قد أرسلت العديد من الخطباء إلى روما فشل البعض ونجح الكثير، وهذا

1- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp-347- 348.

2- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 252.

اعتراف يحسب للأفارقة من المؤرخ مونصو (Monceaux) كما يؤكد أيضا على أن هؤلاء الأباطرة الأفارقة لم يغيبوا عن بلدهم الأصلي وساهموا في ازدهاره وتأثير أدبه لأن معظمهم كان مهتما بأمور الروح والعلم، وكان العديد منهم هم أنفسهم كتابا ووجب التوقف عندهم والتعريف بهم.[1]

المطلب الأول: لوكيوس سيبتيموس سيفيروس (Lucius Septimius Severus):

يخبرنا كاتب سيرته أنه بدأ من قاعدة منخفضة إلى حد ما، ثم ارتقى في مراتب المدرسة والجيش قبل أن يقوده الحظ إلى الإمبراطورية، ولد في لبدة عام 146م ونشأ هناك وحصل على التعليم الكامل، وقد كان تقليدا في هذه العائلة استمرار حديثهم باللغة البونيقية، إلا أنهم كانوا ممن حمل رتبة فارس روماني وكان لديهم العديد من القناصل، وفي الثامنة عشر من عمره مارس سفيروس الشاب متبعا موضة ذلك الوقت الخطابة العلنية في مدينته الأصلية، أتقن التعبير عن نفسه باللغة اليونانية لكن لا يزال يعرف القليل جدا عن اللاتينية، واصل دراسته في روما خلال السنوات الأولى من حكم ماركوس أوريليوس، فكرس نفسه بشكل خاص للقانون، وكان سيده هو سكيفولا (Scaevola) ورفيقه بابينيان (Papinien)، بعدها غادر إلى أثينا وأكمل بها دراسته في الأدب والفلسفة والعلوم وقال ديون كاسيوس: " كان مهتما بالأدب أكثر من كونه ناجحا فيه"، وعند عودته إلى روما جرب عدة مهن هناك، كان خطيبا وسجل في نقابة المحامين وأصبح محامي ضرائب، لم يكسب ربحا في مهنته هذه فانخرط في السياسة، ولما بلغ السادسة والعشرين من عمره وفي عام 172م دخل مجلس الشيوخ بصفته كواستور (Questeur)، ثم اتبع جميع درجات التسلسل الهرمي وكان ضابط عسكري (Tribun Militaire) ومفوض (Légat) لبروقنصل إفريقيا شارك في عدة حملات وشغل مناصب مختلفة وميز نفسه في كل مكان كما كان قنصلا في عهد كومودوس سنة 190م، حصل في العام التالي على جائزة لقب قائد برايتوري (Légat Propréteur)، لقيادة فيالق بانونيا (Pannonie) وبعد ذلك تم إعلانه إمبراطورا سنة 193م وهزم جميع منافسيه على التوالي وحكم حتى عام 211م.[2]

لن نخوض كثيرا في تفاصيل سيرة سبتيموس سفيروس لأن ما يهمنا بالدرجة الأولى توضيح كيف استغل المنفذ الثقافي في حياته للارتقاء في مختلف المناصب وهو الأمر الذي أكده (Monceaux).

المطلب الثاني: لوكيوس كايليوس فيرميانوس لكتانتيوس (L. Caelius Firmianus Lactantius):

يعتبر مثالا جيدا وهو تلميذ الخطيب أرنوب (Arnobe) في (Sicca Veneria) الكاف (Le Kef) حاليا، ولد سنة 260م بكيرتا[3]، عاش من منتصف القرن الثالث إلى منتصف القرن

[1]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 348- 349.
[2]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 351- 352.
[3]- بن ميس عبد السلام، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصوريةوتطبيقاتها)، ط2، الرباط، 2010، ص 76.

الرابع، لاتينية لاكتانتيوس كلاسيكية بشكل جميل مما أكسبه لقب "كريستيان شيشرون"، كما أطلق عليه لقب لكتانتيوس لسلاسة أسلوبه، له الفضل بالفعل في روايته للعديد من الأحداث والنصوص للأعوام 303- 313م[1]، وقد أبعدته فرص حياته المهنية عن موطنه الأصلي، لا يرتبط بإفريقيا إلا من خلال ولادته وتعليمه وبعض سيمات عمله.[2]

تم تعيينه في رئاسة البلاغة اللاتينية في نيقوميديا (Nicomédie) من قبل ديوقليديان (Dioclétien)، وهناك تحول إلى المسيحية، غادر هذه المدينة بعد تنازل ديوقليديانوس عن العرش، ربما هربا من الاضطهاد ضد المسيحيين الذي دبره غاليريوس بعدها لجأ إلى بلاد الغال.[3]

نجى من الاضطهاد وقد دعاه قسطنطين (Constantin) في الأعوام 313- 317م ليصبح معلما لابنه القيصر كريسبوس (Crispus) عام 316م، لكنه أنهى حياته في ضائقة مالية وغير معروف عن سنوات حياته الأخيرة ولا عن تاريخ وفاته شيء[4]، لكن بعد إجراء آخر تحديث لسيرته الذاتية بدقة من قبل (M. Perrin) والتي لاقت قبولا جيدا من جميع النقاد، حيث وضع ولادته في حوالي 250م، ورحيله إلى نيقوميديا حوالي 297- 298م، اعتنق المسيحية وكتب أول أعماله المسيحية حوالي عام 303- 304م، وبعض الدلائل تشير إلى أنه كان سيعيش على الأقل حتى عام 325- 326م.[5]

عرفت للكتانس خمس مؤلفات ولعل أبرزها:

- مؤلف "المؤسسات الإلهية" (Institution divines) تتكون من سبع كتب وهو بمثابة اعتذار عن المسيحية التي تعلن تفوقها.
- "غضب الله " عبارة عن أطروحة تبرر الغضب الإلهي باعتباره انبثاقا لحكم الله الصالح والعادل.
- أطروحة عن "وفاة المضطهدين" (Traité sur la mort des Persécuteurs)، يوضح هذا المؤلف الفرضية القائلة: بأن الأباطرة الذين اضطهدوا المسيحية ماتوا بطريقة قاسية بسبب الانتقام الإلهي.[6]

كان هذا الكاتب منذ فترة قسطنطين مدلل عصره بقوة، حتى أنه تم الاعتراف به بسرعة كبيرة كسلطة من قبل القديس أوغسطين وجيروم وغيرهم كثر، وقد وجد الانسانيون في عصر النهضة المتعة في قراءة أعمال الرجل الذي أطلقوا عليه اسم شيشرون المسيحي، وفي الفترة المعاصرة استعاد لكتانتيوس المكانة التي يستحقها في تاريخ الأدب المسيحي،

---

[1]- Bonnet (C.), Lançon (B.), L'empire Romain de 192 à 325 du Haut-Empire à l'antiquité tardive, éditons ophrys, 1997, p- 40.

[2]- Monceaux Paul, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu' a l'invasion arabe, T 3, Ernest leroux, paris, 1905, p- 242. Monceaux (P.), Histoire littéraire de l'Afrique…, op. cit, p- 295.

[3]- Bonnet (C.), op. cit, p- 40.

[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 252.

[5]- Monat Pierre, Lactance, l'homme et l'œuvre. In : V. L, N° 130-131, 1993, pp. 47-52, pp- 47- 48.

[6]- Bonnet (C.), Lançon (B.), op. cit, p- 40.

بعدما تم انتقاده من طرف نقاد الجامعة والمتخصصون في تاريخ الفكر المسيحي كما سخر منه فولتير، فخصصت له العديد من الأعمال بعدها ويتم نشر أعماله وترجمتها بشكل جيد.[1]

المطلب الثالث: س. أوريليوس فيكتور (S. Aurelius Victor):

كانت أصالة أوريليوس فيكتور في ذلك الوقت بين الخطباء الأفارقة، مبنية على تقاليد فلوروس (Florus) والتوجه التاريخي ولم يكتفي بهذا، ومن المحتمل أنه ولد بالقرب من مدينة لبدة، وخاصة أنه يحب أن يطلق على نفسه مواطن سبتيموس سيفيروس، كان فلاحا متواضعا وهو الذي يتحدث عن نفسه فقال: "ولدت في الريف وكان والدي عاملا فقيرا أميا لكنني تمكنت من الوصول إلى هذا الحد، ولإضفاء النبل على حياتي اعتمدت فقط على الدراسة".[2]

دخل الحياة السياسية في وقت مبكر وتولى العديد من المناصب، وفي الوقت نفسه يمارس البحث التاريخي، وفي فترة حكومته 361- 362م أنهى مؤلفه التاريخي عن "الأباطرة الرومان" (De Caesaribus)، وهو مختصر لتاريخ الأباطرة من أغسطس إلى قنسطنطينوس الثاني (27ق.م 361م)، عمل ضابطا في سيرميوم (Sirmium) ببانونيا (Pannonie)، بعد فترة وجيزة عين حاكما على بانونيا السفلى من طرف يوليانوس، كان يحظى بتقدير كبير لدرجة أنه نصب له تمثال من البرونز، هذه الوظائف الإدارية العالية وسمعته ككاتب جعلت من أوريليوس فيكتور شخصية مهمة، كما أكسبته مزاياه تمثالا من البرونز، في عام 388م عهد إليه ثيودوسيوس بأحد أعلى المناصب في الإمبراطورية وهو منصب ولاية مدينة روما وظل يشغله لمدة عام.[3]

نجد "مونصو" يحدد تاريخ ولايته لروما بحوالي 392- 393م، وقد كان مع ثيوديسيوس كثيرا في البلاط حيث وجد نصب تذكاري أهداه لهذا الإمبراطور، وبهذا يكون هذا الفلاح الإفريقي قد ارتقى إلى هذه المكانة بفضل جدارته،[4] كان أوريليوس فيكتور وثنيا ولم يظهر تعصبا ضد المسيحية في مؤلفه، وقد امتدح قنسطنطين و قنسطانتيوس الثاني (Constance II)، ويعتبر كتابه واحدا من أفضل المصادر النصية للقرن الثالث وخاصة فترة ديوقليديانوس وقنسطنطين[5]، أحب وطنه إفريقيا واعتبر نفسه أجنبيا عن روما وفي كتابه تاريخ روما كان يعبر أحيانا عن عداوته للرومان.[6]

المطلب الرابع: أمبروسيوس ماكروبيوس ثيوديسيوس (Ambrosius Macrobius Theodosius):

كان ماكروبيوس معاصرا للقديس أوغيسطينوس ودون شك كان مواطنه حيث أعلن عن نفسه أنه من أصل ريفي: "لقد ولدت تحت سماء أخرى، وبالكاد أعرف اللغة اللاتينية

---

[1]- Monat (P.), op.cit., p- 47.

[2]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 413.

[3]- Bonnet (C.), Lançon (B.), op. cit, p- 33.

[4]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 413- 414.

[5]- Bonnet (C.), Lançon (B.), op. cit, p- 33.

[6]- بن ميس (ع. س.)، المرجع السابق، ص 77.

الكلاسيكية جيدا"، كان معجبا جدا بسيرفيوس الماوري وألبينوس الحضرموتي، كان واليا على قرطاج وتشير المصادر على أنه من المنطقة المحيطة بهيبون (Hippone)، تولى الوظائف الإدارية الكبرى في 399- 400م بصفته ملازما للحاكم البرايتوري، حكم اسبانيا ثم بلاد الغال سنة 409- 410م، وفي عام 422م أصبح حاجبا كبيرا للإمبراطور، الأغلب أنه تحول إلى المسيحية في وقت متأخر من حياته إلا أن أعماله تدل على أنه كان وثنيا حازما[1]، ألف كتابا تحت عنوان (Saturnalia)، وآخر بعنوان شرح حلم سكيبيو (In Somnium Scipionis) وغيرها من المؤلفات.[2]

المطلب الخامس: القديس أوغسطينوس (S. Augustin):

كان عملاقا من عمالقة الكنيسة ناصر المسيحية، لم تقتصر بصمته الفكرية والدينية على العصور الوسطى وإنما امتدت إلى العصر الحديث، ولد أوغسطسنوس في 13 نوفمبر 354م في تاغست (Thsgaste) سوق أهراس حاليا، من أب وثني وأم مسيحية المدعوة مونيك (Monique) ولكسب قوته قام بالتدريس في ثاغست ثم في قرطاج، تحول إلى المانوية عام 372- 373م، كرس نفسه لعلم التنجيم، أصبح نحويا في روما ثم في ميلان في الفترة 383- 387 أو 388م، ثم تخلى عن المانوية لصالح الاحتمالية أولا والتي تخلى عنها سريعا، ثم الأفلاطونية الجديدة وهي عقيدة لم يتركها أبدا حتى تحول تحت تأثير أمه إلى أسقف، بعد إقامته في أوستيا عاد إلى إفريقيا في حوالي 387 أو 388م، بعدها بقي في ثاغاست حوالي ثلاث سنوات ولم يكد يخرج من عزلته حتى انتخب كاهنا على هيبون (Hippone) في جانفي أو فيفري من عام 391م وأصبح أسقفا عليها عام 395م.[3]

نصل بهذا إلى أن القديس أوغيسطينوس هو الآخر يعد من الذين مكنتهم سمعتهم الفكرية والثقافية، من الوصول إلى منصب ديني يعتبر أعلى سلطة في بلاد المغرب.

كان الأدباء يشكلون شخصيات عظيمة في قرطاج وخاصة الخطباء الذين كانوا يظهرون باستمرار على خشبة المسرح، في الجامعة، المسارح، المعابد، و جميع الاحتفالات الدينية أو السياسية، إذ يمكن للخطيب المشهور أن يطمح إلى كل شيء، إلى المجد، الثروة، إلى أعلى المناصب في الدولة، فقد وصل خطباء جامعيين إلى حكومة المقاطعات وحتى الإمبراطورية[4]، ولم يجد الكتاب والخطباء الأفارقة في قرطاج مسرحا صاخبا وأملا في المجد فحسب، بل وجدوا أيضا مجتمع أقرانهم وصداقات النخبة والأذكياء المستعدين لمساعدتهم على الفهم، لذلك تحدث الجميع عن قرطاج بنبرة حماس كبيرة.[1]

تكشف لنا هذه النماذج الإفريقية عمق اندماج النخب الإفريقية في النظام الثقافي والسياسي الروماني في القرن الثالث والرابع ميلادي، كما كان لها بصمة واضحة في خدمة

---

[1]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 426- 427.

[2] - بن ميس (ع. س.)، المرجع السابق، ص 83.

[3]- Yann le Bohec, Histoire de l'Afrique Romaine 146 avant J.-C. – 439 apres J.-C., édition picard, paris, 2013, pp- 239- 240.

[4]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 483- 484.

بلدها الأصلي، وبالرغم من الاندماج الذي أظهرته إلا أنها كانت تكن الكراهية للاحتلال الروماني، وهو ما بدا من خلال عدة مؤلفات للأدباء الأفارقة باختلاف توجهاتهم ومجالات إبداعهم.

[1]- Ibid, p- 486.

الفصل الثالث

تأثيرات الأفارقة المتنفذين في الإدارة الرومانية على روما وإفريقيا

الفصل الثالث: تأثيرات الأفارقة المتنفذين في الإدارة الرومانية على روما وإفريقيا

المبحث الأول: تأثيرات سياسية

المطلب الأول: على روما

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- التأثير على الوضع السياسي الداخلي في إفريقيا

المبحث الثاني: تأثيرات اقتصادية

المطلب الأول: على روما

1_ تحقيق الاكتفاء الاقتصادي لروما

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- دور الأباطرة الأفارقة في التنمية الاقتصادية

2- دور الأرستقراطية الإفريقية في التنمية الاقتصادية

1-2 سيرتيوس أوبتانتيوس ماركوس بلوتيوس فاوستوس (Sertius Optantius Marcus Plotius Faustus):

2-2 أنيوس روفينوس (Anius Rufinus):

3-2 كوينتوس سيرفيوس لكريتيوس ماكسيموس وكايوس جمينيوس فيكتوريكوس (Quintus Cervius Lucretius Maximus et Caius Geminius Victoricus):

4-2 ماركوس فاليريوس فيكتور (Marcus Valerius Victor):

3- دور العنصر النسوي الإفريقي في التنمية الاقتصادية

1-3 يوليا ميميا (Julia Memmia):

2-3 سيا بوتيتيا كونسورتيانا (Seia Potitia Cosortiana):

3-3 أوسيا موديستا بوبليانا باتروينا (Oscia Modesta Publiana Patruina):

المبحث الثالث: تأثيرات اجتماعية

المطلب الأول: على روما

1- خدمة المدن

2- الترقيات الاجتماعية

1-2 دستور أنطونينوس 212م

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- ترقية المدن وخدمتها

المبحث الرابع: تأثيرات ثقافية

المطلب الأول: على روما

1- دور مكتبات المدن الإفريقية في إنجاح عملية الرومنة

2- المساهمات الفكرية الإفريقية ودورها في البعث الفكري في الإمبراطورية الرومانية

1-2 كايوس ماريوس فيكتورينوس (Caius Marius Victorinus):

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- دور المكتبات في تطور الحياة الفكرية بإفريقيا

1-1 مكتبة ماركوس يوليوس كوينتيانوس فلافيوس روقاتيانوس (Marcus Iulius Quintianus Flavius Rogatianus):

2- أثر المفكرين الأفارقة على التطور الفكري بإفريقيا

1-2 سيرفيوس الماوري (Servius le Maure):

3- دور الأرستقراطية المحلية في تنظيم الأنشطة الثقافية:

1-3 لوكيوس كورنيليوس فرونتون بروبيانوس (Lucius Cornelius Fronto Probianus):

المبحث الخامس: تأثيرات دينية

المطلب الأول: على روما

1- دور النخبة الفكرية الإفريقية ومؤلفاتها في الدفاع عن المسيحية

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- أثر الوساطة الدينية في ارتقاء الأفارقة

2- دور الهبات المحلية في إنشاء وإصلاح المؤسسات الدينية

1-2 كايوس فاليريوس فالنتينوس (Caius Valerius Valentinus):

2-2 بوبليليوس كاينيوس كايكينا ألبينوس (Publilius Caeionius Caecina Albinus):

الفصل الثالث: تأثيرات الأفارقة المتنفذين في الإدارة الرومانية على روما وإفريقيا

المبحث الأول: تأثيرات سياسية

المطلب الأول: على روما

اختلفت الهبات وتعددت مصادرها وكان يتولى مهمة الإشراف عليها المجلس البلدي أو ما يسمى بالديكوريون، كما نجد لهذه العطايا أو المنح أسماء مختلفة منها الهبات (évergètes) أو الهدايا (Munus, Munera) وتعني كلمة (Munus) التكلفة والالتزام ويستعمل المصطلح في اللغة القانونية، وبهذا فإن (munera ciuilia ou publica) هي مجموعة الالتزامات التي يخضع لها مواطنو المدينة، وقد تعددت هذه الالتزامات حيث عرفت منها الرسوم المالية (munera patrimonialia) والرسوم الشخصية (munera personalia) ومن بينها ما أثقل كاهل المُتواضعين وهي ما عرف باسم (munera sordida) والتي كانت عبارة عن أعمال يدوية يتم تنفيذها مجانا كالأعمال المنزلية، وكان نظام الهدايا يقوم على مبدأ أن يستفيد كل مواطن من المزايا لتي توفرها مدينته له، كانت المرافق الجماعية متطورة للغاية في المدينة الرومانية، وكانت صيانتها وإدارتها وإدارة المجتمع بأكمله، تشكل عبئا كبيرا كان على كل عضو في المجتمع المدني أن يشارك فيه بقدر إمكانياته ووفقا لرتبته الاجتماعية، تم تحديد هذه الالتزامات بدقة من خلال التشريعات الإمبراطورية وأعمال الفقهاء خاصة في العصر السيفيري، وقد تم تصنيف فئات الهدايا (munera) المختلفة وطرق توزيعها وشروط الإعفاء منها جيدا، كانت هذه الخدمات في معظمها تؤديها المدن لخدمة الإدارة الإمبراطورية: تحصيل الضرائب، إدارة الخدمة البريدية، تجنيد الجنود، الإمدادات والمواد الغذائية لاحتياجات الجيش.[1]

يعتبر نقش أوزيا (Auzia) هو الوحيد الذي يصف بناء السوق باعتباره ثمرة التعاون بين مكونات المجتمع، من خلال جهد مالي من الديكوريون والمبلغ الفخري الذي يدفعه الأيدليس وهبات (Munera) الشعب، كما تسرد هذه الوثيقة أيضا الأجزاء المختلفة من السوق[2]، وقد اهتم هؤلاء بتشييد الأسواق نظرا لما لها من أهمية، فالـ (Macellum) يشير بشكل أساسي إلى نصب تذكاري مميز للروح البلدية، وهو أكثر أهمية في نهاية المطاف لبعده الإيديولوجي ووظيفته الإدارية، من دوره كمركز تجاري وحجم أنشطة المبيعات التي جرت فيها، ومن المثير أن يلاحظ فقدان هذا المصطلح لمعناه الدقيق في العصور القديمة المتأخرة، في الوقت الذي أصبحت فيه سيطرة الدولة أكثر إحكاما على حياة المدن.[3]

قدم كل من الفقيه هيرموجينيان (Hermogénien) في عهد ديوقليديانوس (diocletianus)، أركاديوس تشاريسيوس (Arcadius Charisius) في الفترة نفسها أو في عهد قسطنطين جداول

---

[1]- Lepelley Claude, Les cites de l'Afrique Romaine…, op. cit., p- 206.

[2]- Hamdoune Christine, les macella dans les cités de l'Afrique romaine. In : A. A, 45, 2009, pp- 27-35, p- 31.

[3]- Ibid, p- 34.

دقيقة ومفصلة لـ (munera publica) الهبات الشعبية في فترة الإمبراطورية المتأخرة فكانت قائمة الالتزامات التي أثقلت كاهل الديكوريون مثيرة للإعجاب، والهبات الشخصية في الأساس تتمثل في التزامات مرتبطة بالإدارة البلدية كمسؤولية تحقيق العدالة (وظيفة القاضي (munus iudicandi)، الإشراف على تشييد أو ترميم المباني العامة، الإشراف على صيانة القنوات المائية، مسؤولية الطرق المحلية، مسؤولية تزويد أسواق المدينة، المشاركة في السفارات البلدية، تنظيم الألعاب، الوصاية على المخابز التابعة للبلدية، مسؤولية المحاماة فيلتزم المحامي بالدفاع عن مدينته مجانا، مراقبة المباني العامة، وظيفة سكرتير (كاتب) القاضي، مسؤولية أمين المحفوظات (الأرشيف)، الوصاية على تدفئة الحمام الحراري ومسؤولية الوصاية على القصر، على غرار هذا هناك التزامات مرتبطة بالإدارة الإمبراطورية نذكر على سبيل المثال؛ تحصيل الضرائب والمتأخرات الضريبية، مسؤولية إنشاء التعداد، إمداد المجندين، إمداد الجيش بالخيول والملابس والمواد الغذائية المختلفة والمال، مسؤولية مكتب البريد وصيانة الناقلين، استقبال الضيوف، مسؤولية صيانة الطرق، إلا أن هذه القائمة ليست شاملة، لأن (munera) عبارة عن سلسلة من وصفات الإدارة العملية التي غالبا ما تنتقل عن طريق العرف ملتزمة بقرارات إمبراطورية، ويتم تكييفها وتجديدها باستمرار وفقا لاحتياجات اللحظة بهدف تحقيق أقصى قدر من الكفاءة.[1]

مثّل انتشار النموذج البلدي الذي ساهم الأفارقة في نشره شكلا من أشكال الاستيعاب المؤسسي والقانوني، فأصبح الجيران الأجانب لمستعمرة أو بلدية رومانية على دراية بالفائدة المقدمة لأعمالهم، من خلال إطار الحياة السياسية القائم على الإدارة المستقلة للحياة المحلية والمزايا القانونية والاجتماعية والاقتصادية للمواطنة الرومانية، كما تبنى سكان بلاد المغرب هم وأحفادهم طريقة حياة جعلتهم أقرب إلى المثل الأعلى السياسي الروماني.[2]

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- التأثير على الوضع السياسي الداخلي في إفريقيا

لعبت قرطاج دور المنافس الأبدي لروما، حيث تكونت مع تلك الطبقة الأرستقراطية المحلية سواء من ناحية الذكاء أو الثروة، مستعمرة مؤثرة جدا من رجال المال والموظفين المدنيين الرومان باختلافهم، فكانت معظم الشؤون الرئيسية وجميع الإدارات مركزية في قرطاج، وقد انصدم سالفيان أثناء رحلته إلى إفريقيا من هذا المشهد السياسي والتجاري، فقال: "من بين العديد من المدن في المنطقة كانت هناك واحدة هي الملكة ومثل أم المدن الأخرى، إنها المنافس الأبدي لروما التي كانت سابقا في السلاح والشجاعة ثم في الروعة والجلال، إنني اتحدث عن قرطاج العدو اللدود لروما وروما العالم الإفريقي إذا جاز التعبير، كل المؤسسات السياسية الكبرى وكل ما يشكل الإدارة أو الحكومة، كانت تحتوي على كل شيء، كان هناك جميع الخدمات العامة، مدارس لجميع الفنون والطوائف الفلسفية، صالات

[1]- Lepelley Claude, Les cites de l'Afrique Romaine…, op. cit., p- 207.
[2]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-132.

للألعاب الرياضية بأنواعها، وصالات لدراسة اللغات أو الأخلاق، فرق من القوات وقادة عسكريين عظماء، قناصل موالين...، لقد احتلوا جميع الساحات ومفترقات الطرق، لقد راقبوا كل ركن من أركان المدينة"، حسب مونصو كان العديد من هؤلاء المسؤولين والممولين من أصل إفريقي، حيث تم تجنيد الإدارات بشكل رئيسي من البلاد، وعلى رأس هذه النخبة حكم العديد من الرجال ذوي الجدارة إفريقيا.[1]

عرفت بعض المدن في العهد الإمبراطوري تكفلا من طرف مجلس الديكوريون الخاص بها اعتمادا على قضاتها، فكان الديكوريون يكلف الشخصيات الثرية والمؤثرة لحماية المدن والدفاع عنها وحماية مصالحها، ولذلك فإن الأداء السليم للمؤسسات البلدية يعتمد في نهاية المطاف على وجود أعداد كافية من الديكوريون في المدن المحظوظين بما يكفي لتحمل تكاليف مهنة البلدية، والتي تنطوي على دفع مبالغ فخرية إلزامية والمساهمة في تجميل مدينتهم من خلال أعمالهم التبشيرية وهو أمر متوقع بشدة إن لم يكن إلزاميا من الناحية الأخلاقية[2]، ويظهر عمل الراعي (Patron) في العديد من المجالات مثل: المساعدة القانونية من قبل التريبونات (Tribunaux)، التدخل مع الإدارة المركزية في أعمال الهبات (évergétisme) المتعلقة بالمدينة، وأصبحت هذه الظاهرة ذات أهمية بالغة خاصة في فترة حكم قسطنطين، ويرجع ذلك للزيادة الكبيرة للضرائب التي تضرب المدن، وهو ما دفعهم للسعي وراء راعي (Patron) قادر على حمايتها، وقد دل على هذا العديد من الشواهد حيث عثر على نصوص في تل كايليوس (Caelius) بروما، في نفس موقع منزل أراديوس فاليريوس بروكيلوس (Aradius Valerius Proculus)، وهي تنتمي إلى سلسلة من ستة ألواح برونزية، مخصصة من قبل ست مدن في مقاطعة بيزاكين (Byzacène) في شمال إفريقيا وهي: حضرموت (Hadrumète)، ثينا (Thina)، زاما ريجيا (Zama Regia)، كيلوليس (Cululis)، مديدي (Mididi)، كويتاس فاوستيانونسيس (Ciuitas Faustianensis)، لحاكمهم (Quintus Aradius Valerius Proculus) الذي طلبوا رعايته (Patrocinium)، وهو من أصول إفريقية ينتمي هذا الموظف إلى عائلة أرادي (Aradii) اللامعة في مجلس الشيوخ _والذي سبق ذكره في الفصل الثاني_ التي بدأ صعودها في القرن الثالث وتحالفت مع عائلة (Vlerii Maximi)، التي كانت بارزة جدا في وقت قنسطنطين (Constantin)، وهذا ما يفسر طلب مواطنيه لحمايته.[3]

تقدم الرعاية التي طلبها الحضرموتيون وحصلوا عليها كقرار لجميع مواطني المستعمرة (Colonicoloniae)، هذه العبارة التي وجدت في ألواح رعاية حضرموت وزاما ريجيا لا تستدعي نسيان أن اختيار راعي المدينة كان قبل كل شيء من صلاحيات الكوريا (Curie)، التي لم تستبعد تدخل الشعب ربما في شكل تزكية، كما يشارك المواطنون فقط في عقود الرعاة (Patronat)، والسكان سواء كانوا أجانب من أصل محلي أو أجانب مستوطنين

[1]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 472- 473.
[2]- Hugoniot (Ch.), Les cités de l'Afrique…, op. cit, p- 200.
[3]- Bertrandy (F.) et autre, op. cit., p - 33.

يمكنهم المساهمة في التكريم المقدم للرعاة، إلا أنهم لم يهتموا أبدا بتأسيس عقد الرعاية والذي كان عملا من أعمال السياسة المحلية وامتيازا للمواطنين، تنعكس أولوية المجلس البلدي وخاصة النخبة في هذا النوع من النهج، من خلال تكوين السفارات الذي أبرزته ألواح زاما ريجيا وشلوليتانوم، وقد تم ذكر دور المجلس البلدي في اثنين من الألواح الستة؛ التي عثر عليها في منزل حاكم بيزاكين كوينتوس أراديوس فاليريوس بروكولوس.[1]

كانت هذه السفارات مكونة من عشر وجهاء محليين: قضاة سنويين وكهنة دائمين لبلدية شلوليتانوم، التي ذهبت إلى حاكم بيزاكين لتسليمه لوح الرعاية، وكانت حسب نص اللوح برفقة جميع أعضاء المجلس البلدي، وكانوا بلا شك من كبار الشخصيات في الكوريا ومن أعلى رتبة.[2]

كانت هذه الالتفاتة أكثر إثارة لأنها تمت على حساب المشاركين، كما لا بد من الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى الالتزام القانوني الذي كان يثقل كاهل المتعاملين في شؤون السفارات، لا شك أن الاتصال براعي المدينة كان يتطلب رتبة اجتماعية عالية، وفي هذا الصدد يجب تذكر التكاليف التي كانت تتكبدها السفارات في كثير من الأحيان، فقد كانت الروابط التي أقيمت بين المدينة ورئيسها في المقام الأول من عمل النخبة البلدية، التي عملت كمتحدث باسم بقية المواطنين وممثلهم القانوني، تم العثور على هذا التمثيل النخبوي وبالتالي الرقابي في الثناء على الرعاة، حيث كان قرار تخصيص تمثال للراعي باسم المدينة ويتخذ دائما في شكل مرسوم من أعضاء المجلس البلدي (الديكوريون)، وبالنسبة للمدن الإفريقية توفرت عدة شهادات دلت على تعدد رعاة المدن في الفترة نفسها وخير مثال على ذلك مدينة تيمقاد التي ورد في ألبومها خلال النصف الأول من سنة 363م وجود ست رعاة من بينهم خمسة من رتبة مجلس الشيوخ، وهذا الأمر يعكس في الغالب مدى حرص المدينة على التميز مقارنة بالمدن المجاورة ورغبتها في الاستفادة من تنافس العديد من الرعاة في اهتمامهم بها والقدرة على التدخل في مختلف المستويات، وربما تم تفسير تعدد الرعاة أيضا من خلال اختيارات العشائر المختلفة داخل الكوريا، ويمكن لهذه العشائر المتنافسة أن تجد الدعم من الرعاة الذين عملت من أجل اختيارهم مما عزز موقفهم المحلي، ويبقى كوينتوس أراديوس فاليريوس خير مثال حيث أبرم في وقت قصير قدر بعام، عقود رعاية مع ست مدن إفريقية لكن لا ينبغي فهم تراكم رعاة المدن من قبل السيناتور اللامع على أنه مجرد استجابة بسيطة للطلبات الملحة، وإنما كان الأمر يعني بالتأكيد البحث عن التألق الذي ينعكس بما يتجاوز شخص الشخص المعني على نسله وعائلته بأكملها.[3]

تم تنفيذ العمل الإداري البسيط جزئيا بواسطة المونيرا (munera)، كان الديكوريون في بداية حياتهم المهنية غير قادرين على الحصول على مرتبة الشرف الأعلى، نظرا لتواضع

[1]- Houcine (J.), op. cit., p- 44.
[2]- Lepelley (C.), Les cites de l'Afrique Romaine…, op. cit., p- 284.
[3]- Houcine (J.), op. cit., pp- 45-46.

ثروتهم فقد تولوا مهمة السكرتير أو أمناء أرشيف مجانا، ففي أواخر الإمبراطورية كان هناك عدد قليل من الموظفين الدائمين سواء الأحرار أو العبيد في خدمة المدن الإفريقية، لهذا لم يتم تنفيذ كل الأعمال اعتمادا على الـ (munera).[1]

كان الأفارقة يدافعون بشكل فعال عن مقاطعاتهم ككل ضد انتهاكات القضاة، وهذا الدفاع القانوني عن النفس لم يتوقف في وقت الأزمة الداخلية التي كانت الإمبراطورية الرومانية تمر بها في القرن الثالث، وقد دافعت ما يسمى ب (Concilia Africains) عن امتيازاتهم وحقوقهم حتى في تلك الفترة من الفوضى العسكرية، وهو ما يدفعنا إلى النظر في مشكلة أزمة القرن الثالث في إفريقيا، والصعوبات السياسية التي ظهرت في جزء كبير من البلاد حتى خلال حكم الأسرة السيفيرية وهم سعداء ومزدهرون للغاية، حيث كانت نسبة كبيرة من الأفارقة لا يريدون ولا يستطيعون تقبل الهيمنة الرومانية، وهم الذين مارسوا تأثيرا كبيرا على الوضع السياسي الداخلي لإفريقيا.[2]

يخص بالذكر هؤلاء الذين تمكنوا من دخول مجالس الكوريا حيث لم يكن الكورياليين مجرد موظفين طوعيين وخائفين في دولة استبدادية، بل كانت الإدارة الرومانية بحاجة إلى خدمات هؤلاء الأعيان المحليين الذين لم يتم تعيينهم من قبلها بل من طرف أصدقائهم الذين تقدموا حتى في القرن الرابع بطلب إلى الأمين (Curateur)، إذ كانت مكانتهم المحلية قوية بفضل ثرواتهم ومكانة عائلاتهم، وزادت أكثر نظرا للمسؤوليات المهمة الموكلة إليهم، وحسب لولاي (Lepelley Claude) فمن دون شك أن التناوب السنوي للمهام وتعددها حال دون الهيمنة المحلية للفرد، ومن ناحية أخرى يؤكد أنه كانت هناك محاولات عديدة رامية إلى فرض وكيل على المدن يشرف على إدارتها، إلا أنها باءت بالفشل على التوالي، وقد تم تعيين الأمين والمدافع من قبل الكورياليين ومن أهاليهم أيضا.[3]

ظهرت نخبة الأوليغارشية خلال القرن الثالث اشتهرت بغناها، وهم الأوائل الذين انفصلوا عن المجلس البلدي (Ordo décurions) ولعبوا دورا حاسما في إدارة المدن ،[4] و كان تضاعف عدد المقاطعات وعدد الموظفين الحكوميين ذو أثر في جعل السيطرة على إدارة المدن أكثر دقة،[5] حيث كانت الطبقات العليا تعمل على تمويل الشركات التي توفر الأمن للمقاطعات والبلدات والطبقات الدنيا والفلاحين.[6]

ظلت العديد من الكوريا الإفريقية تحت سيطرة الوثنيين حتى نهاية القرن الرابع، وسمحت صرامة القوانين ودقتها برقابة صارمة على إدارة مسؤولي البلديات، الذين لم يكن لديهم سوى حرية محدودة في المناورة، حيث اعتبرهم التشريع مجرد مدراء تنفيذيين، ومع

[1]- Lepelley (C.), Les cites de l'Afrique Romaine…, op. cit., p- 208.
[2]- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 344.
[3]- Lepelley (C.), Les cites de l'Afrique Romaine…, op. cit., pp- 232- 233.
[4]- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 347- 348.
[5]- Lepelley (C.), Les cites de l'Afrique Romaine…, op. cit., p- 209.
[6]- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 345.

ذلك هناك مؤشرات مهمة جدا تدل على أن المدن احتفظت باستقلال نسبي في مواجهة البيروقراطية الإمبراطورية، ويمكن رؤية ذلك فيما يتعلق بممارسة الوظائف القضائية، لاسيما فيما يتعلق ببعض المسؤولين البلديين الذين لم يطبقوا فعليا إجراءات اضطهاد المسحيين عام 303م، إن إجراءات رد فعل الوثنيين على الأباطرة المسيحيين إلى غاية بداية القرن الخامس ميلادي، يظهر أيضا الاستقلال الذي يمكن أن يحافظ عليه الكورياليين، نظرا لأنهم مسؤولون عن تنفيذ القوانين وهم الوسطاء الضروريين بين الحكام وبقية السكان، فقد احتفظ زعماء المدن بموقف قوي جدا، وإذا كان بعض الأثرياء يفضلون الكسل الذي استفاد منه الشرفاء، فلا شك أن آخرين يقدرون المركز المهيمن الذي أكسبهم في مدينتهم المسؤوليات المتعددة، التي تم تكليفهم بها وإمكانية ممارسة إرادتهم في السلطة، من المؤكد أن هذا كان صحيحا بشكل خاص بالنسبة لأغنى الديكوريون وأولئك الذين حصلوا على أعلى المستويات في الوظائف البلدية مثل المدراء، الكهنة الدائمين، لكن هذه الفئة لم تقتصر بالضرورة على عدد قليل من العائلات، إذ يذكر الألبوم البلدي لتيمقاد بين ممثلي الكهنة الدائمين وأعضاء من المجلس المحلي للمدينة مثل الـ (Duumuiralicii) لما يقرب من نصف العائلات الديكوريونية، إن صورة كورياليي الإمبراطورية السفلى التي تم سحقها وتدميرها وترويعها راسخة في أذهان المؤرخين المعاصرين لدرجة أنها قادتهم للتقليل من شأن العديد من النصوص التي تظهر أن هذه الفئة الاجتماعية كانت لا تزال مجندة، كما هو الحال في ظل الإمبراطورية العليا، بين الأغنياء والأعيان القادرين على استخدام سلطتهم وفي بعض الأحيان إساءة استخدامها.[1]

المبحث الثاني: تأثيرات اقتصادية

المطلب الأول: على روما

1_ تحقيق الاكتفاء الاقتصادي لروما:

بدأت الإمبراطورية الرومانية تعيش على ثروات إفريقيا بداية بالحبوب، وسرعان ما تم تصدير النفط والنبيذ والمنتجات الحيوانية والمنسوجات، وفي القرن الثاني تم تصدير السيراميك عبر قرطاج وموانئ بيزاكيوم (Byzacium) و السيرت (Syrtes)، التي كانت مرتبطة بالمناطق المنتجة من خلال شبكة طرق كثيفة وموزعة بشكل جيد، سوفيتولا (Sufetula)، ماسكيليانا (Mascilianae) (حاجب العيون)، ثيسدروس (Thysdrus) وهي نقاط الالتقاء الأساسية[2]، كانت شمال إفريقيا حسب شارل بيكار أحد أهراء (متمورة) العالم القديم، إذ كانت تتقاسم مع مصر شرف تموين روما.[3]

---

[1]- Lepelley (C.), Les cites de l'Afrique Romaine…, op. cit., p- 234- 235.
[2]- Lassèr (J. M.), Vbique populus…, op. cit., p- 372.
[3]- بيكار جيلبار شارل، المرجع السابق، ص 60.

تجدر بنا الإشارة في حديثنا عن كون إفريقيا السد المنيع لروما من الجوع، إلى عبارة سالفيان الذي قال فيها: "لقد بلغت إفريقيا ذات يوم من الثراء بحيث بدا لي من حيث حجم تجارتها أنها لم تجمع كنوزها الخاصة فحسب، بل جمعت كل كنوز العالم"، ويضيف أن الغزو الوندالي قد قطع العروق وأوقف التنفس الحيوي للإمبراطورية" لأن قرطاج كانت هي المستودع الكبير في إفريقيا، وكان يكفيه أن يغلق موانئه لتجويع إيطاليا، لأن قرطاج في ظل حكم الأسرتين السيفيرية والغورديانية، أصبحت تقريبا مساوية لروما وباعتبارها مقرا للحكومة المحلية والمجلس الإقليمي، فقد قامت بمركزية جميع الخدمات الإدارية والمالية الرئيسية، وما زاد من أهميتها هو دورها الاقتصادي.[1]

تم تركيز القمح والزيت في مباني خاصة ونقلهما إلى الموانئ الساحلية لتزويد روما أو احتياجات المدن الإفريقية الكبرى، كانت هذه المدن قليلة العدد نسبيا ولكن يبدو أنها كانت مجهزة تجهيزا جيدا، وتظهر لنا الحفريات عددا قليلا منها مثل ميناء أشولا (Acholla) على وجه الخصوص، وقد لعب التجار والناقلون الأفارقة دورا مهما في إمداد روما و الإمبراطورية على حد سواء[2]، كما يثبت النجاح العظيم للمنتجات الإفريقية خلال القرن الرابع مدى الحفاظ على الازدهار الزراعي والاقتصادي في المقاطعة[3]، فقد عمل الأفارقة على تقديم خدمات مهمة لروما وتعاونوا للحفاظ عليها، بتحملهم الأعباء التي فرضتها الإمبراطورية على الطبقات الحاكمة.[4]

كان الازدهار الاقتصادي لإفريقيا خلال الاحتلال الروماني شائعا وهو ما أثبتته المصادر الأدبية، فقد تباهت الأطروحة الجغرافية المسماة عرض العالم والأمم[5] (Exposition Totius Mundi) من خلال الكتالوج الخاص بالمقاطعات الرومانية، والمكتوب في منتصف القرن الرابع بكون إفريقيا غنية بكل الخيرات؛ المحاصيل والخيول، كما تزود روما تقريبا بمفردها بالزيت[6]، ونظرا لأن مقاطعة إفريقيا بقيت محافظة على وظيفتها السنوية الهامة، ظلت وحدها تزود روما عاصمة الغرب بعد تأسيس القسطنطينية، فقبل كل شيء نبدأ بالحديث عن الزيت، الذي تم تصديره من إفريقيا على نطاق واسع والذي لعب دورا كبيرا، مع زيادة الطلب على المنتجات الزراعية الإفريقية، فزادت فوائد سكان المقاطعات تلقائيا

1- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp-460-461.

2- Thouvenot (R.), op. cit, p- 134.

3- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-95.

4- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 343.

5 - عرض العالم والأمم باللاتينية (Exposition Totius Mundi): عبارة عن أطروحة جغرافية تقدم وصفا للعالم الروماني من خلال سرد المنتجات والموارد في كل منطقة، وقد قدم جان روجيه (M. Jean Rougé) أستاذ بكلية الآداب بليون (فرنسا)، نسخة من النص كأطروحة دكتوراه وهو ما يساهم في فهم مصدر مهم للمؤرخين الاقتصاديين، الأطروحة في أصلها يونانية لكن لم يتم الحفاظ عليها، أما باللاتينية فتتوفر نسختين كلاهما يعود إلى القرن الرابع. للمزيد يُنظر: hastagnol André, Expositio totius mundi et gentium (Édition, traduction, commentaire), par Jean Rougé, Collection Sources chrétiennes, n° 124.. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 24e année, N. 2, 1969. pp. 463-466, p- 463.

6- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-95.

لصالح الدولة، وزادت الرسوم بشكل كبير منذ إصلاح النظام الضريبي بواسطة ديوقليديانوس، وقد لوحظ أنه في بداية القرن الخامس كانت الزراعة الإفريقية مزدهرة وظلت دائما مصدرا للثروة على ما يبدو لا تنضب.[1]

يمكننا في إشارة للتأكيد على مدى أهمية إفريقيا بالنسبة لروما الاستدلال بخلاصة لفليب لوفو(Philippe Leveau)؛ يؤكد فيها بأن الازدهار الإفريقي هو أولا وقبل كل شيء ازدهار لملاك الأراضي ولمدينة روما التي تعتبر إفريقيا صوامعها، ويضرب لنا مثالا عن جنوب روسيا التي كانت مخزن حبوب أروبا الغربية في الحقبة القيصرية.[2]

تم تعزيز دور الأرستقراطية الإفريقية بشكل كبير، وذلك لحقيقة مفادها أنها تمثل دولة أصبحت سلة خبز روما خاصة خلال العهد الإمبراطوري الأعلى[3]، وكان امتلاك روما لإفريقيا قد سمح بشكل كبير للإمبراطورية الرومانية على تلبية مطالب شعبها، هي مطالب صاغتها الكلمات المشهورة (Panem et circenses) "الخبز والألعاب"، فيما يخص الخبز وفرت سهول نوميديا وموريطانيا الغنية كميات أكثر من كافية، والحيوانات الشرسة التي أخذت من غابات وصحاري إفريقيا، كانت أساس إقامة الألعاب المختلفة التي ضمنت شعبية الأباطرة، ودون شك أن هذه الأهمية السياسية للمنتجات الإفريقية، هي التي دفعت الأباطرة إلى منح العديد من المزايا لهذه المقاطعة، إلا أن هذه المزايا لم تكن إحسانا من الإدارة الإمبراطورية تجاه سكان بلاد المغرب، وإنما يعتبر ضمانا لطعام الشعب الروماني وترفيهه وبالتالي يحقق أمن العرش الإمبراطوري.[4]

عاشت شمال إفريقيا جميع أنواع الاستغلال من قبل الرومان، فلا يفوتنا الإشارة إلى أنها كانت مطمورة روما، نظرا لأهمية قمحها الذي كان ينقل إلى العاصمة روما بكميات هائلة ومختلف المواد الغذائية، وعلى هذا الأساس يجدر بنا الحديث عن اضطرار كمودوس (Commodus) مع نهاية القرن الثاني إلى إعادة تنظيم شركات السفن البحرية الإفريقية، التي يشهد نشاطها المكثف في فسيفساء ميناء أوستيا، وإنشاء أسطول الدولة لنقل المواد الغذائية، فولّت أيام الاستغلال اللامحدود للخاضعين من قبل حكام المقاطعات.[5]

سمح السلام الذي تمتعت به إفريقيا منذ بداية القرن الثاني، للمزارعين الأفارقة بتكريس أنفسهم دون خوف لزراعة حقولهم فظهرت إفريقيا كما حلم الرومان برؤيتها بلدا زراعيا ومخزن الحبوب الحقيقي، فتمكنوا من الحصول على المؤن يوم تخلى المزارعون الإيطاليون عن زراعة حقولهم.[6]

[1]- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 347- 348.
[2]- Philippe Leveau, La situation coloniale de l'Afrique Romaine. In : annales economies, sociétés, civilisation. 33e année, N. 1, 1978, pp- 89-92. p- 91.
[3]- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 343.
[4]- Lecoq (A.), op. cit., p- 14.
[5]- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., p- 343.
[6]- André (A.), op. cit., p- 13.

شهد الخزف الإفريقي هيمنة ساحقة في ميناء أوستيا الإيطالي بداية القرن الثالث، وهو دليل على أن المنتجات الزراعية الإفريقية تنافست بقوة مع تلك الموجودة في بلاد الغال وإسبانيا بالنسبة للمستهلكين الإيطاليين، فكان هذا محورا تجاريا حقيقيا ربط إيطاليا بإفريقيا، كما تزايدت أيضا ورشات النسيج والملابس، فأصبحت تجارة المنسوجات بنفس أهمية ورشات صناعة الخزف، وهو ما يتضح جليا من الإشارات الكتابية لأسواق الملابس خلال العهد الإمبراطوري الأسفل (Basilicae Vestiariae).[1]

احتلت شمال إفريقيا مكانة كبيرة من الناحية الاقتصادية خلال فترة الاحتلال الروماني، إلا أنها لم تصل إلى مكانة مصر وآسيا اللتان تفوقتا عنها بتجارة الترانزيت (Transit)، لكن يمكن أن تصنف في مرتبة جيدة ضمن الدول التجارية نظرا لأن قمحها وزيتها وخشبها ورخامها وخيولها والصناعة الأرجوانية، كانت منتجات لا تصدرها إلى روما فحسب بل إلى جميع المقاطعات الرومانية، ومن ناحية أخرى شكلت سوقا مفتوحة على نطاق واسع، حيث يمكن للحرفيين والفنانين في هذه البلدان بيع منتجات صناعتهم أو ابداعاتهم.[2]

سهلت شبكة الطرق والأمن مختلف التبادلات والعلاقات، فقد عملت الإمبراطورية الرومانية على انجاز شبكة طرق جيدة التصميم، مع طرقها الدائرية الموازية للساحل، وكثيرا ما كانت طرقها تندفع عميقا نحو الداخل، كان لموريطانيا الطنجية شبكتها الخاصة؛ طريقان يتجهان جنوبا من طنجة، أحدهما على طول الساحل إلى سلا (Sala) بالقرب من الرباط (Rabat)، والآخر وراء فوليبيليس (Volubilis) بالقرب من مكناس (Meknès)، وكان هناك طريق غربي شرقي يربط سلا و ثاموسيدا (Thamusida) إلى فوليبيليس، ولا شك أن هناك مسار يعبر السهوب عبر جرسيف (Guersif) باتجاه لالة مغنية (Lalla Maghnia) و تلمسان (Tlemcen)، ولنا أن نتخيل هذه المسارات التي يحركها مرور دائم للسيارات والبغال والحمير والفرسان والمشاة وإلى جانب هذا النقل البري لم تكن تجارة الملاحة الساحلية ضئيلة أيضا.[3]

يمكننا لتأكيد حديثنا عن دور الطرق في إنجاح التجارة وتقديم النفع لروما، الإشارة لدور الأفارقة في حد ذاتهم ومساهمتهم الكبيرة في انجاز هذه الطرقات، عن طريق تقديم هؤلاء _الذين كانوا منتخبين في المجالس البلدية سواء المحلية أو مجلس الشيوخ الروماني_ للهبات، التي من خلالها تم تشييد الكثير من المنجزات المختلفة ومن بينها الطرق وهو ما يصب في النهاية لصالح روما.

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- دور الأباطرة الأفارقة في التنمية الاقتصادية:

[1]- Hugoniot (Ch.), op. cit., pp- 118- 119.
[2]- Lecoq (A.), op. cit., p- 14.
[3]- Thouvenot (R.), op. cit, p- 134.

أبدى أمراء السلالتين السيفيرية والجورديانيين وأبناء البلاد بصفة عامة اهتماما أكبر بموطنهم وقد استجابت النتيجة للجهد، حيث أحدث الرومان في فترة حكم الأنطونينيين قفزة نوعية، وفي القرن التالي امتدت إلى جزء من موريطانيا، فبفضل كل الأعمال التي قام بها الجنود، خاصة بفضل السدود التي توفر احتياطات المياه أصبح الريف ذو خصوبة أسطورية، وسهلت شبكة الطرق ارتباط المدن ببعضها البعض والبلدات المجاورة من خلال شبكة من الطرق أو الممرات العسكرية، وقد نما سكان التل الشرقي وسرعان ما أصبحوا أثرياء، وصارت قرطاج عاصمة هائلة تكاد تكون منافسة لروما، كانت توجد في كل مكان المعابد، المسارح، الحمامات الحرارية و البازيليكا، القنوات وأقواس النصر التي لا تزال تثير اعجابا بآثارها.[1]

2- دور الأرستقراطية الإفريقية في التنمية الاقتصادية:

كان هناك إعفاء استثنائي من الضرائب للمدن التي حصلت على ترقية من الإمبراطور بعد التشهير بها من قبل الشخصيات الإدارية والسياسية المحلية، والتي عملت على رفع المطالب والتقارير لأجل الرفع من مكانتها.[2]

ساهمت الشخصيات الإفريقية التي كان لها الحظوة في الحصول على المناصب المختلفة في الإدارة الرومانية، في إحداث التنمية الاقتصادية في جميع المجالات سواء كانت زراعية، صناعية، تجارية أو حتى عمرانية، وتتجلى مساهمتهم هذه في تقديم مبالغ مالية، لأجل استصلاح الأراضي وزراعتها بمختلف الحبوب والأشجار، كما قاموا بتشييد البنايات المختلفة وإنجاز الطرقات وغيرها، وسنحاول في هذا الصدد الاستشهاد بنماذج كان لها دور في مثل هذه الأعمال.

2-1 سيرتيوس أوبتانتيوس ماركوس بلوتيوس فاوستوس (Sertius Optantius Marcus Plotius Faustus):

تم بناء سوق مدينة تيمغاد على نفقة سيرتيوس وزوجته حسبما أكدته المصادر المادية التي عثر عليها في الموقع الأثري، ومن خلال الفحص الذي أجراه الباحثين في الموقع على البقايا والشواهد المادية، رجح تاريخ تشييد السوق بالربع الأول من القرن الثالث للميلاد[3]، تعددت النقائش التي حملت تكريمات متماثلة تحمل اسم هاتين الشخصيتين في المكان المخصص لهذا السوق، كما كتبت أسماءهم على أفاريز الرواق الجنوبي، وتم العثور على خمس أفاريز كل منها مزين بحرف، وبعد جمعها كونت كلمة (SERTI) ولذلك أشار المؤرخين إلى أنه من العدل إعطاء هذا المبنى اسم سوق سيرتي (Sertii).[4]

---

[1]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 343.
[2]- Prévot (F.) et autres, op. cit., p- 143.
[3]- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.) et autres, Timgad une cité Africaine sous l’empire Romain, Paris, 1905, pp- 188- 189.
[4]- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.) et autres, op. cit., p- 193.

وجد في الجانب الأيمن والأيسر من المدخل الحقيقي للمبنى تمثالان، ولا تزال الركائز التي كانت تدعمها في مكانها القديم مع النقش المحفور عليها.[1]

النقش الموجود في الجانب الأيمن[2]:

Sertio. M. Plotio Fausto eq(uiti) r(omano), praefecto coh(ortis) III Ityraeorum, tribuno coh(ortis) I Fl (aviae) Canathenorum P(iae) F(idelis), alae 1 Flaviae) Gallorum Taurianae, fl(amini) p(er)p(etuo), sacerdoti urbis, Plotius Thallus et Plotia Faustiana filia ejus, alumni, patrono praestantissimo.

الترجمة:

إلى سيرتيوس ماركوس بلاوتيوس فاوستوس الفارس الروماني، قائد الفوج الثالث من الإتريريين، قائد الفوج الفلافي الأول من الكانثانيين التقي الوفي، والجناح الفلافي الغالي التورياني، كاهن دائم وكهنوت المدينة، بلاوتيوس ثالوس وابنته بلاوتيا فاوستينا الرعاة الرسميين.



الملحق رقم 7 : صورة توضحية للنقش الموجود على الجهة اليمنى من الباب

المصدر: تصوير الباحثة.

[1]- Ibid, p- 185.

[2]- C. I. L., VIII, 1396.

النقش الموجود في الجانب الأيسر للباب ذو 6 أعمدة وعلى اليسار كانت هناك صورة لامرأة، كما يتضح من الإهداء المنقوش على القاعدة.

Sertiae Corneliae Vale[nti]nae Tuccianae fl(aminicae) p(er)p(etuae), conjugi M. Ploti Fausti amilitiis, honestae memoriae feminae [P]lotila Fa]ustiana et Plotius Thallus pater ejus, alumni patronae benignissimae.[1]

الترجمة:

إلى سيرتيا كرونيليا فالنتينا توكيانا كاهنة دائمة، زوجة ماركوس بلاوتيوس فاوستوس من الجيش، الذكرى المشرفة للمرأة بلاوتيلا فاوستيانا ووالدها بلوتيوس ثالوس وهم رعاة طيبون للغاية.



الملحق رقم 8: صورة توضحية للنقيشة الموجودة على الجانب الأيسر للباب.

المصدر: تصوير الباحثة.

الشخصيات التي دفعت ثمن كلا النصبين هي نفسها: بلوتيوس ثالوس وبلوتيلا فاوستيانا ابنته، التي تحررت من السيد بلاوتيوس فاوستوس وزوجته كورنيليا فالنتينا، اللذين وضعت تماثيلهما على جانبي الباب، بلاوتيوس هو فارس روماني، حصل تباعا على عدة وظائف في الأفواج المساعدة وفي جناح سلاح الفرسان، وفقا للقواعد المقررة في ظل الإمبراطورية لمهنة الفروسية، ويمكنه على هذا النحو أن يأخذ لقب الجندي (Militiis) الذي أعطي له في النقش الثاني.[2]

1- C. I. L., VIII, 1396.

2- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.) et autres, op. cit., pp- 186-187.

قام الباحثين في الموقع باستعادة الأسماء المماثلة على قاعدتين كبيرتين مماثلة لتلك السابقة، الذي تم اكتشافها في اليمين وعلى مقربة من المدخل، ولكن في داخل المنزل تحت الرواق الذي يحيط به، ظهر مرة أخرى تمثالان مماثلان لتلك التي تزين وجه المبنى، الزوج على اليمين لمن جاء من الفناء وأراد الخروج من المبنى والمرأة على اليسار، وهذه النقوش الموجودة على الركائز تحتوي على معلومات قيمة وهو ما لم يظهر في النقائش السابقة.[1]

قاعدة الباب الأيمن:

M. Plotius Faustus eq(ues) r(omanus) a militiis tribus, fl(amen) p(er)p(etuus), sacerdos urbis ad exornationem operis macelli quod cum Valentina conjuge patriae suae fecit, sibi posuit.[2]

الترجمة:

إلى ماركوس بلاوتيوس فاوستوس فارس روماني من الجيش القبلي، كاهن دائم، كهنوت المدينة، وضع لتزيين السوق الذي بناه هو وزوجته فالنتينا ابنة موطنه، قدمه لنفسه.

على اليسار نقرأ:

Corneliae Valentinae Tuccianae (aminicae) p(er)p(etuae), bonae memoriae feminae, ad exornationem operis macelli quod patriae suae fecerunt, Faustus maritus posuit.[3]

الترجمة:

إلى كورنيليا فالنتينا توكينا كاهنة دائمة، امرأة لها ذكرى طيبة، زينوا السوق لخدمة بلدهم، وضعه فاوستوس الزوج.

[1]- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.) et autres, op. cit., p- 187.
[2]- C. I. L., VIII, 2399.
[3]- C. I. L., VIII, 3398.



الملحق رقم 9 **:** صورة توضيحية للنقش الموجود قرب المدخل على الجهة اليسرى.
المصدر: تصوير الباحثة.

وبهذا يعتبر المبنى الذي عند المدخل والذي وضعت فيه التماثيل، عبارة عن سوق وتم بناؤه على نفقة السيد بلاوتيوس فاوستوس وزوجته كما تم تزيينه، بعد وفاة الأخيرة وضع بلاوتيوس تمثاله هناك وتمثال المتوفية، علاوة على ذلك من خلال فحص ألقاب السيد بلاوتيوس فاوستوس أمكن تحديد عمر البناء تقريبا.[1]

كما لا يزال هناك العديد من النقوش الموجودة في الموقع الأثري تشير إلى أن تأسيس السوق كان بواسطة بلوتيوس فاوستوس وزوجته.[2]

SERTII MACELLV M ET ARAM EIVS PATRIAE SVAE FECERVNT.

(السيرتيين قدموا سوقا ومذبحا).

يشير بوسويلوولد (.Boeswillwald (F و كانيا (.Cagnat (R و بالو (.Ballu (A إلى أن هذا السوق كان به نقائص عدة ولم يكن بالفخامة المطلوبة، وبما أنه قد أسس بهبات برجوازية

[1]- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.) et autres, op. cit., p- 188.
[2]- Ibid, p- 209.

إفريقية و هي عائلة سيرتيوس، إلا أن السوق كان يتوافق مع الحد المتواضع نسبيا لمواردهم وهذا من الطبيعي رغم كرمهم.[1]

تجدر بنا الإشارة إلى الحديث عن أصل هذه الأسرة، من خلال قراءة في اسمها العائلي (Cognomen)، حيث أشار لاسير (Lassère) إلى أنه من أكثر الألقاب انتشارا في الإمبراطورية الرومانية، وعلى وجه الخصوص في إفريقيا، واعتبره لوبوهيك (Le Bohec) بأنه الترجمة اللاتينية للاسم البونيقي (Hanno) HN' الذي يعني المفضل.[2]

ما يلاحظ على كتابة هذه الثلة من المؤرخين أنهم كلما تحدثوا عن عمل أنجز من طرف المحليين سواء كان بناء أو حرفة أو غيرها، قللوا من شأنها واتهموها بالرداءة والنقص، أما إذا كان العمل المنجز لا يقبل الازدراء فيحاولون في معظم الأحيان عدم الخوض في ذكر أصولهم، خاصة إذا وجد في أسماء هؤلاء المحليين ما يؤكد أصلهم الإفريقي، والأمثلة متعددة في مؤلفهم هذا وفي غيره.

2-2 أنيوس روفينوس (Anius Rufinus):

كان من المرفعين (Clarissme) بمدينة ثيسدروس (Thysdrus) "الجم" حاليا، وهو أمين (curateur) ومفوض من طرف الإمبراطور، تم تكريمه بعدما أشرف على أعمال إمدادات المياه التي شهدتها المستعمرة خلال القرن الثالث ميلادي، وعثر على نقش له في متحف اللوفر (Louvre) بفرنسا.[3]

النقيشة:

[Aqua adducta, curam agente An]nio Ru[fin]o c(larissimo) u(iro), qui Thysdrum | ex indulgentia principis cu|rat et coloniae sufficiens et | per plataeas lacubus inpertita, | domibus etiam certa condi|cione concessa, felicis saecul|i providentia et instinctu | Mercurii potentis. Thysdrita|nae col(oniae) praesidis et conserva|toris numinis dedicata est.[4]

الترجمة:

تم جلب المياه برعاية أنيوس روفينوس اللامع أمين مدينة ثيسدروس، وبرعاية الأمير زودت المستعمرة بكمية كافية وتم توزيعها عبر الشوارع الرئيسية إلى البحيرات.

وضع روفينوس عمله تحت رعاية عباقرة المدينة، كما يضاف إلى ذلك الفخر بالعمل لصالح مدينة ذات مكانة سياسية مرموقة نظرا لأن ثيسدروس مستعمرة.[5]

يتأكد في هذه الحالة أن أمين المدينة أنيوس روفينوس تولى مسؤولية التوريد، إما بشكل خاص أو نيابة عن المدينة، ومن الممكن أيضا أن يكون الإمبراطور قد قدم مساعدة مادية،

---

[1]- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.) et autres, op. cit., p- 215.
[2]- Benzina Ben Abdallah (Z.), op. cit., p- 350.
[3]- Mrabet (A.), op. cit., p- 25- 26.
[4]- CIL VIII, 51.
[5]- Ronin Marguerite, Travaux hydrauliques et consensus municipal en Afrique romaine (IIe- IVe siècles). L'eau dans les villes du Maghreb et leur territoire à l'époque romaine, hal open science, pp- 9- 18, 2018, p- 13.

وقد تم استكمال أعمال إمدادات المياه هذه من خلال إنشاء شبكة توزيع، والتي لا بد أنها تتبع نفس ترتيبات التمويل والمسؤولية.[1]

3-2 كوينتوس سيرفيوس لكريتيوس ماكسيموس وكايوس جمينيوس فيكتوريكوس (Quintus Cervius Lucretius Maximus et Caius Geminius Victoricus):

كشفت النقائش أيضا عن إثنين من قضاة البلدية، أغدقا بكرمهما في عهد ألكسندر سيفير (Severe Alexandre) على مدينة جيوفي (Giufi)؛ حيث عثر على نقش أرخ بـ 233- 234م[2]، وقد حصلت جيوفي التي تقع في إفريقيا البروقنصلية بالتحديد شمال ثبوربو مايوس (Thuburbo Maius)، على لقب البلدية في عهد ألكسندر سيفير في 229- 235م، وهي الأخرى تدل على الازدهار الذي بلغته إفريقيا في فترة حكم السيفيريين، والذي دفع أعيان البلدية إلى مضاعفتهم لمنح الهبات[3]، وقد أشير إلى القاضيين في النقيشة الآتية:

النقيشة:

O(nintas) Cermina Linci) f(ilins) Lacretins Massinnas et C(ains) Geminius C(aii) filius)
Vectoricus ardiles, s(na) p(ecunia)
fecerunt), et ob dedicationem, epulum decurionibus et missillia populo dederunt et fistula plambea cum epitonio aereo ad labrum lapideum aqua nit saliret atque sna pecunia curauerunt, [4]

الترجمة:

كوينتوس سيرفيوس لكريتيوس ماكسيموس، ابن لوكيوس، وكايوس جمينيوس فيكتوريكوس، ابن كايوس، أيديليس، وضع هذا (النصب التذكاري) على نفقتهم الخاصة وقدموا لتكريسه مأدبة للديكوريونات (décorions)، وهدايا للناس وقدموا على نفقتهم الخاصة أنابيب الرصاص وصنبور من البرونز، حتى يتدفق الماء إلى حوض الحجر، لقد اعتنوا بها أيضا على نفقتهم الخاصة، المكان ممنوح بمرسوم من الديكوريون.

4-2 ماركوس فاليريوس فيكتور (Marcus Valerius Victor):

قدم ماركوس فاليريوس فيكتور بوابات جديدة وأبراج لمدينة تيبازة (Tipasa) في موريطانيا القيصرية (Maurétanie Césarienne) عام 305- 306م، لتفادي الخطر الذي كانت تشكله القبائل المغاربية على المدن الساحلية، التي تميزت بطابعها الروماني أكثر من المدن الداخلية، وتم القضاء على هذا الخطر بعد حملة ماكسيميان سنة 297- 298م.[5]

النقيشة:

[1]- Ronin Marguerite, La Gestion commune de l'eau dans le droit Romain. l'exemple de l'Afrique Romaine et de l'Hispanie (Ier siècle avant – Ve siècle après J.-C.), These en cotutelle doctorat en Histoire, Université Laval Québec, Canada et université de nantes France, 2015, p- 53.
[2]- Ronin (M.), La Gestion commune…, op.cit., p- 41.
[3]- Bertrandy (F.), et autres, op. cit., p- 27.
[4]- CII, VIII, 23991 AE, 1894, 93 D. 5776
[5]- Bertrandy (F.), et autres, op. cit., p- 30.

Impp(eratoribus) Diocletiano el Maximiano senioribus)) Augg(astis) el impp(eratoribus) Constantio et Maximiano Augg(ustis) et Se]uero et Maximino nobilissimis Caesaribus, M. Valerius Victor u(ir) perfectissimus), p(raeses) p(rouinciae) M(auretaniae) [C(aesariensis), no]uas port[as tur]resque dedicauit, (anno) p(rouinciae) C[CLXVII].[1]

الترجمة:

إلى الأباطرة القدامى ديوقليديانوس وماكسيميان الأوغسطيين، وإلى الأباطرة قنسطنطينوس وماكسيميانوس الأوغسطيين وإلى أنبل القياصرة سيفيروس وماكسيمينوس، أهدى السيد ماركوس فاليريوس فيكتور الرجل النخبة رئيس إقليم موريطانيا القيصرية هذه البوابات الجديدة والأبراج عام المقاطعة 267م.

3- دور العنصر النسوي الإفريقي في التنمية الاقتصادية:

كانت النساء فاعلات هن الأخريات في خدمة مدنهن وسكانها، وهو ما يتجلى لنا من خلال بعض النماذج الآتية:

3-1 يوليا ميميا (Julia Memmia):

ابنة مدينة بولاريجيا (Bulla Regia) المدعوة يوليا ميميا (Julia Memmia)، وهي من عائلة قنصليةعرفت بمساهمتها في بناء مجمع الحمامات الحرارية والأروقة بمدينتها[2]، وكان ذلك حوالي 220- 240م أي في فترة الأسرة السيفيرية فكان هذا العمل نتيجة استثمار مالي كبير[3]، فجعلت من مسقط رأسها أكثر جاذبية كما حسنت المرافق الصحية (Saluti Ciuium)، وقدمت لها المدينة في المقابل تمثالا شيد على مدخل الحمامات حوالي 220- 240م والتي كان والدها المتوفى أنذاك قد حمل لقب حامي المدينة (Patronus) وخريج المدينة (alumnus) مثل ابنته حسب ما أشار إليه Mireille Corbier (1990) [pa] tronae et [alumnae ?].[4]

فسر بعض المؤرخين مصطلح خريج المدينة على أن الأمر لم يعد مجرد مسألة هبات (évergétisme) بل مسألة واجب مدني والرابطة المتميزة والعاطفة المتبادلة التي توحد المدينة وابنها المفضل _الخريج_ الذي هو مطالب من جامعته بمجموعة من الواجبات لتأديتها وهو الأمر ذاته بالنسبة لهذا الذي يهب مدينته بدافع الحب لمواطنيها من خلال ما يقوم به أعمال

1- A.E., 1966,600

2- Bond Sarah Emily, The epigraphic rise and fall of the civic patrona in Roman north Africa, A thesis submitted to the faculty of the university of north Carolina at chapel hill in partial fulfillment of the requirement for the degree of masters in the department of History, 2007, p- 10.

3- Vallat Jean Pierre, Bulla Regia : les thermes memmiens : H. Broise, Y. Thébert, recherches archéologiques franco-tunisiennes à Bulla Regia, II. Les architectures, 1. Les thermes memmiens. In: D. H. A, vol. 20, n°2, 1994. pp. 425- 430, p- 425- 429.

4- Hoerni Caroline « Place et représentation des femmes dans les structures civiques des provinces de l'Empire », Cahiers « Mondes anciens » [En ligne], 2 | 2011, mis en ligne le 20 -07- 2011, consulté le 17- 02- 2023. URL : http://journals.openedition.org/mondesanciens/478 , p- 5.

خيرية مختلفة[1]، فتمويل هذه الأعمال التي اعتمدت جزئيا على سخاء وجهاء البلديات، ينطوي على تضحيات ثقيلة والتزام أصحاب الأرض بالمثل الأعلى للمدينة.[2]

2-3 سيا بوتيتيا كونسورتيانا (Seia Potitia Cosortiana):

تشير بعض الكتابات التاريخية أنه تم التعرف على حوالي 190 حامية (La Patronne)، في ريسبوبليكا (Res Publica) ثيباريتانوروم (Thibaritanorum) في تونس وهي بلدية عرفت فيها (Seia Potitia Consortiana) والتي حملت كل صفات الحامية المثالية، موطنها ثيباريس (Thibaris) تنتمي إلى فئة الكلاريسيمو (Clarissime) وكانت غنية وسخية، تم نصب تمثال لها بقرار من أعضاء المجلس البلدي (dicernente Ordine) بتمويل عام، ويفترض أنه تبرع من طرف (Consortiana) قبل وفاتها.[3]

3-3 أوسيا موديستا بوبليانا باتروينا (Oscia Modesta Publiana Patruina):

عرفت أيضا (Oscia Modesta Publiana Patruina) راعية مدينة أفيوكالا (Avioccala)؛ وهي مدينة صغيرة في البروقنصلية وموطنها الأصلي[4]، وقد كانت بوبليانا حامية لها في الفترة الممتدة من 225- 250م اشتهرت بوبليانا بحملها للقب (Ciues) و (Patrona) إذ أن لقب (Ciues) لم تعرف به إلا النساء التي كن في دائرة الشرفاء، وامتنانا للفوائد والمزايا التي قدمتها لمدينتها أقامت لها المدينة تمثالا عرفانا بنفعها للمجتمع، وكان لها الفضل في جعل هذه المدينة الصغيرة معروفة للسلطة الإمبراطورية، التي كانت قريبة منها والتي حصلت منها على بعض المزايا، وقد تمتعت (Publiana) بسمعة جيدة إذ ذكرت هذه المرأة التي تنتمي إلى فئة الكلاريسيمو (Clarissime) أيضا في نقش بمستعمرة ثوبوربو مايوس (Thuburbo Maius)، والذي كان عبارة عن تكريم لابنها الذي أصبح ليقاتوس (Légat) لبروقنصل إفريقيا ثم قنصل في فترة حكم غورديان، أما زوجها فكان من مواليد كيرتا وكان وهو سيناتور (Sénateur) من أصول عامة، وهكذا فقد كانت هذه النساء تظهرن كوسطاء بين السلطة المركزية والمجتمعات المحلية، يهدفن لتعزيز مصالح وطنهم لزيادة هيبتها للحصول في نهاية المطاف على الترقية.[5]

النقيشة:

Seiae Modes/[tae 3] / [3]iae Corne/liae [P]a[t]rui/nae Publianae / c(larissimae) f(eminae) civi et patr(onae) / ob insig(nia) eius me/rita quibus in/lustrat origi/nis suae patriam / civitas Avioccal(enses) d(ecreto) d(ecurionum) p(ecunia) p(ublica).[6]

الترجمة:

1- Hoerni (C.), op. cit., p- 5.
2- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-130.
3- Hoerni (C.), op. cit., p- 6.
4- Bond (S. E.), op. cit., p- 36.
5- Hoerni (C.), op. cit., p- 5- 6.
6- CIL VIII 23832.

أقامت مدينة أفيوكالا هذا من أجل أوسيا موديستا كورنيليا باتروينا بوبليانا وهي امرأة من مجلس الشيوخ ومواطنة وراعية لامعة، بسبب خدماتها المتميزة التي من خلالها مدت بلدها الأصلي بموجب مرسوم صادر عن الديكوريون ومن أموال عامة.

امتد سخاء بعض الأعيان الذين يمولون هذه الأعمال في مناطق مختلفة من المدينة، إلى خدمة القنوات المائية والنافورات العامة وحتى المساكن الغنية التي حصلت على امتياز تحويل خاص، خاصة المباني الحرارية العامة أو الخاصة، وهي عبارة عن نسخ بسيطة عن الحمامات الإمبراطورية في روما، ولكن في بعض الأحيان أكثر تواضعا من الغرف الساخنة والباردة، حيث يتنزه الأفراد إضافة إلى الاغتسال والاستحمام في المسبح وممارسة الرياضة والاستماع إلى المحاضرات، فغالبا ما كان للمدن إضافة إلى الحمامات الخاصة حمامات عامة.[1]

كان للهبات مزايا عدة حيث يعتبر الشعب أول مستفيد منها أثناء القيام بالعروض والمآدب وتوزيع الطعام وغيرها، كما توفر العمل لجزء من السكان، إضافة إلى أن البيئة المعيشية الحضرية، التي نتجت إلى حد كبير من كرم الأعيان، تسمح للفرد بالتمتع برفاهية والمشاركة في الحياة الحضرية، ومنه فإن الهبات تساهم في توفير حياة فاخرة للسكان، وهو ما يجعل منهم فخورين وينمي فيهم حب الوطن، وهو أحد المكونات الأساسية للتماسك المدني، وتجدر الإشارة إلى أن للهبات دور مالي مهم، إلا أنه من الصعب للغاية تقييم حصتها في ميزانية المدينة، إذ تتغير من مكان لآخر فنجد على سبيل المثال، فرقا بين مدينتين متوسطتي الحجم مثل ثوقا (Thugga) وثاموقادي (Thamugadi)، حيث يتنافس أعيان الباغوس (Pagus) و سيفيتاس (Ciuitas)، في ثوقا في كرم لتجميل المظهر الحضري للمدينة، أما في تيمقاد والتي تعتبر مستعمرة حديثة نسبيا، يتم فيها دفع تكاليف المرافق الجديدة التي أقيمت بعد التأسيس، مثل المسرح أو الكابيتول من طرف (Respublica)، واعتبرت الهبات حقا واجبا على الأثرياء من رتبة معينة، ومبرر لثروتهم التي ينفقونها على المجتمع وسلطتهم التي يمارسونها لأجل الصالح العام، ويسعى أصحاب الهبات من خلال ما يقدمونه لإبداء حبهم للوطن والاهتمام بتألقه وتفوقه على جيرانه، لكن هنا يحاول فرونسوا بريفو (Françoise Prévot) إظهار الجانب المنفعي الآخر الذي يسعى لتحقيقه المهيبون، بقوله أن عملهم ليس نزيها بحتا، حيث يهدفون من خلاله إلى تسريع حياتهم السياسية المحلية، وجذب اهتمام السلطة الرومانية بإظهار ولائهم للحصول على المواطنة الرومانية، والاندماج أكثر في الإمبراطورية وبهذا يرتقي كل حسب حالته إلى رتبة الفروسية أو الوصول إلى مجلس الشيوخ.[2]

أشار المؤرخ تاديوش كوتولا (Tadeusz Kotula) إلى أن الازدهار الزراعي لإفريقيا قد أوضح ازدهار المدن الإفريقية، وبالتالي ثروة نخبة من ملاك الأراضي المدركين لضرورة

[1]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-296.
[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 171.

الحصول على الترقيات التي تعتبر مهمة لمدنهم ولأنفسهم[1]، كما يستطيعون أيضا اكتساب المجد والتخليد من خلال التماثيل والنقوش التي تقام على شرفهم بمرسوم من المراسيم في موقع عام، والتي تجسد كرم ونزاهة وتواضع هذه النخب.[2]

نظرا للتأثير الذي أحدثه الأفارقة في عدة مجالات والذي كان الكورياليين يلعبون الدور البارز فيه، أمر فالنتينيان الأول في عام 373م حاكم إفريقيا سيماخوس (Symmaque) الكاتب الشهير وزعيم الحزب الوثني في روما، بإجبار الديكوريون الذين سعوا لدخول نظام مجلس الشيوخ على البقاء في الكوريا الخاصة بهم، دون إدارة حكومة إقليمية أو وظيفة حنكية أو قيادة عسكرية، أي أولئك الذين أرادوا أن يصبحوا أعضاء فخريين في كوريا غير نشطة شرفية (Honorati)، وأشار الإمبراطور إلى أنه تم إرسال سفارة حول هذا الموضوع، وقد أظهر نص القانون أنه بناء على طلب الكوريا أنفسهم، حاول الإمبراطور وضع حد لتزايد الأفارقة الشرفاء، في الوقت الذي أصبح فيه القطاعان الإداري والعسكري طريقين إلى مجلس الشيوخ، إلا أن لوبلاي Lepelley قد أوضح أن هذا التشريع لا يمثل بأي حال من الأحوال أزمة بالنسبة للمدن الإفريقية، وإنما شدد على ازدهارها الاقتصادي الذي يمكن رؤيته بشكل خاص في المشاريع العامة العديدة، التي تم تنفيذها في القرن الرابع على غرارا حيويتها المؤسسية.[3]

المبحث الثالث: تأثيرات اجتماعية

المطلب الأول: على روما

1- خدمة المدن:

شهدت روما بعد حكم سبتيموس سيفيروس الإمبراطور الإفريقي، أعمال إعادة إعمار قام بها هذا الأخير في منطقة شامب دو مارس (Champ de Mars)، وهي المنطقة الثانية التي استفادت من أعمال التجديد الواسعة النطاق، في أعقاب الحرائق التي وقعت في عهد كومودوس عام 184- 185م، والذي أثر على منطقة الكابيتول، تم تجديد عدد من المباني في الجزء الجنوبي من شامب دو مارس، تتعلق أعمال الترميم برواق أوكتافيا (Octavie)، البانثيون وكلاهما تمت تسميته على اسم الإمبراطور، إضافة إلى أنها مست معبد إيزيس (Isis) وسيرابيس (Sérapis) ومنطقة لارجو أرجنتينا (Largo Argentina) حول المجمع الذي بناه بومبي وهو العمل الذي تشهد عليه النقوش، وقد ظهر سبتيموس سفيروس مثل أغسطس من قبله على أنه قادر على ضمان إعادة إعمار المدينة بعد الأضرار الناجمة عن الحرائق والسخط الناتج عن الحروب الأهلية، كانت مهمة تجديد الإعمار في قطاع شامب دو مارس وبالتحديد مسرح بومبي، قد عهد بها إلى أمين من رتبة الفروسية وهو ك. أكيليوس فيسكوس (Q. Acilius Fuscus) أصله من ثوبورسيكوم بور (Thibursicum Bure) بإفريقيا البروقنصلية، لم

1- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 128.
2- Prévot (F.), et autre, op. cit., p- 170- 171.
3- Hugniot (Ch.), Les Cités de l'Afrique…, op. cit., p- 202.

تعرف طبيعة العمل جيدا لكن يبدو أن المؤرخ المعاصر ديون كاسيوس يشهد أن التجديد كان فخما[1]، كما شيد كركلا أيضا حمامات ضخمة كانت ثاني أكبر مجمع استحمام عام بإيطاليا، يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من روما القديمة يغطي مساحة حوالي 2,4 هكتار.[2]



الملحق رقم 10: صورة تبين حمامات كركلا بروما

المصدر:

https://fr.m.wikipedia.org/wiki/Thermes_de_Caracalla#/media/Fichier%3ABaths_of_Caracalla%2C_facing_Caldarium.jpg

2- الترقيات الاجتماعية:

[1]- stelle bertrand, «la mémoire des conquêtes tardo-républicaines sous septime sévère, un appui à l'appropriation et à la reconstruction de l'espace impérial, interférences en ligne), 1312022, document 3, mis en ligne le 15- 9- 2023, consulté le 13- 07- 2024. url: http:// journals.openedition.org/interferences/9575 , pp- 1- 18, p- 6.

[2]- oetelaar taylor, reconstructing the baths of caracalla the 12th international symposium on virtual reality, archaeology and cultural heritage vast, 2011, pp- 33- 36, p- 33.

شهد سكان الإمبراطورية الرومانية عدة قوانين في الجانب الاجتماعي والتي تخص ترقية الأفراد، بمنحهم المواطنة الرومانية على اختلاف الأباطرة ومنذ زمن يوليوس قيصر، إلا أن هذه الترقيات لم يحدث وقعها على سكان الإمبراطورية ما أحدثه دستور كركلا سنة 212م، عندما منح المواطنة الرومانية للجميع ماعدا الخارجين عنها أو ما سمي بالمنهزمين (Déditices).

2-1 دستور أنطونينوس 212م:

مثل الدستور الأنطونيني النتيجة الطبيعية والمنطقية لعملية طويلة المدى للرومنة، إنه يعني الاعتراف بدرجة كافية بالرومنة، لتبرير ارتباط جميع سكان الإمبراطورية بمجتمع المواطنين، حيث تعتبر جميع المؤسسات المعمول بها متوافقة مع النظام الروماني، وبموجبه أصبح جميع سكان العالم الروماني مواطنين رومان[1]، وبغض النظر عن الخلفيات والأبعاد المختلفة لمشروع كركلا إلا أن السبب الأساسي لإصداره هو الرغبة في إذابة الإمبراطورية وسكانها في كتلة واحدة[2]، خاصة وأن كركلا كان شديد التشبه بالإسكندر الأكبر وأحلامه في توحيد العالم وكسر الحواجز العنصرية بين سكانه[3]، ويرتقي الشخص إلى مرتبة المواطن بتغيير وضعه القانوني دون اعتبار أصله الاجتماعي، فالمواطنة بهذا قائمة على حيازة مجموعة من الحقوق السياسية والعسكرية والمدنية.[4]

أثار نص القانون المحفوظ في بردية جيسن العمود الأول دراسات، مناقشات ومناظرات عدة، ورأى البعض أن العدد 40 يحتوي على سلسلة من نسخ الدساتير الإمبراطورية التي أصدرها كركلا، والدستور الذي يتبع مباشرة النص المشوه للدستور الأنطونيني هو مرسوم العفو عقب مقتل أخيه جيتا و الملاحقات القضائية ضد أنصاره، تم اعتماد النص في روما في 11 جويلية عام 212م، ثم تم تسجيله وعرضه في مصر بداية عام 213م، ويعتبر القانون حركة أساسية يعود تاريخها إلى أكثر من قرن، والتي كانت تميل إلى تسهيل دخول الوافدين الجدد إلى المدينة الرومانية.[5]

ترجمة نص بردية جيسن طبعة ماير (Mayer) (1910) صححت عام 1945م):

[L'Empereur César] Marc Aurèle Sévère Antonin Auguste proclame: [il faut donc...], après avoir reçu des pétitions et des [requêtes], [chercher) avant tout comment je pourrai rendre grâce aux dieux [immortels] de m'avoir sauvé par une telle (victoire (?)...). Voilà pourquoi j'estime pouvoir accomplir de manière si [magnifique (2) et pieuse (?)] un acte qui convienne à leur majesté en ralliant [aux cérémonies de leur culte (?)] [les pérégrins), toutes

---

[1]- de Visscher Fernand, La constitution Antonine et la dynastie Africaine des Sévères. In: Bulletin de la classe des lettres et des sciences morales et politiques, tome 47, 1961. pp. 33-44, pp- 33- 34.

[2]- Roman Yves, Le Haut-Empire Romain 27 av. J.-C. – 235 ap. J.-C., ellipes paris, 1998, p- 120.

[3] - الناصري أحمد علي، المرجع السابق، ص 328.

[4]- بن دوبة شرف الدين، المواطنة (مفهوم وتاريخ)، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع2، 2013، ص ص 70- 96، ص 80.

[5]- Christol Michel, L'empire Romain du III siècle Histoire politique (de 192, mort de commode, à 325, concile de Nicée), éditions errance, paris, 1997, p- 38.

les fois qu'ils viendront se joindre à mes hommes. Je donne donc à tous [les pérégrins qui sont dans] l'Empire le droit de cité romaine étant entendu (que sont maintenues les cités de toute sorte) exceptées celles des déditices. Il se doit en effet que la multitude... non seulement...)... tout, mais qu'elle soit dès maintenant associée aussi à la victoire. Et le présent édit augmentera (?) la majesté du [peuple) romain,...[1]

الترجمة:

يعلن الإمبراطور قيصر ماركوس أوريليوس سفيروس أنطونينوس أوغسطس: (لذلك من الضروري...)، بعد تلقي الالتماسات و {الطلبات}، {أطلب} قبل كل شيء كيف يمكنني تقديم الشكر للآلهة {الخالدة} لأنها أنقذتني بهذا (النصر(؟) ولهذا السبب أعتقد أنني أستطيع أن أنجز بهذه الطريقة {الرائعة والورعة(؟)} عملا يليق بجلالتهم، من خلال الانضمام إلى {مراسم عبادتهم(؟)} {الأجانب}، عندما يأتون للانضمام إلى رجالي. لذلك أعطي للجميع {الأجانب الموجودين في الإمبراطورية حق الجنسية الرومانية {ويتم الاحتفاظ على المدن بجميع أنواعها} باستثناء المنهزمين يجب أن يكون ذلك بالفعل {الكثرة... وليس فقط...} ...الجميع، ولكن ليرتبط أيضا بالنصر من الآن فصاعدا، وسيزيد هذا المرسوم (؟) عظمة {الشعب} الروماني، ...

---

[1]- Huntzinger Hervé, La Citoyenneté romaine impériale, journée de formation « enseigner la citoyenneté dans l'antiquité grecque et romaine », 2015, pp- 8- 16, p- 11.



الملحق رقم 11: صورة توضحية لبردية جيسن.

المصدر: http://bibd.uni-giessen.de/papyri/images/pgiss-inv015recto-1600kb.jpg

المطلب الثاني: على إفريقيا

كان للأفارقة الذين ارتقوا في الإدارة الرومانية أثر على المجتمع المحلي في مقاطعة إفريقيا، يتجلى من خلال العديد من الميزات التي حظي بها السكان لعل أبرزها:

1- ترقية المدن وخدمتها:

اختلفت المهام لخدمة المدن والعمل على ازدهارها من مسؤول لآخر فقد كان مثلا الأمناء (Curateurs) يقومون بأنشطة تكميلية من المهام غير العادية كالاسترداد المالي أو مراقبة أعمال البناء، في حين يسعى الرعاة (Patrons) للترويج للمدينة وتزيينها[1]، هذا لأن روما عندما بسطت سيطرتها على جميع المقاطعات، فرضت عليها نموذج مدينتها والتي كانت تدار بطريقة مستقلة نسبيا، وكانت تمارس الإدارة المعينة من بين الأعيان صلاحياتها وخصائصها، في بيئة حضرية تحاكي تلك الموجودة في روما وهو ما بقيت شاهدة عليه عدة مواقع أثرية، والتي بنيت على نموذج المدينة الرومانية بامتياز حتى من ناحية موقعها الجغرافي والطبوغرافي حيث يتجلى ذلك من خلال تنظيم تخطيط المدن، تنوع المباني، تقنيات البناء والجودة المعمارية، كثرة استخدام الرخام وكذا الفسيفساء، إضافة إلى زخرفة التماثيل والنقوش العديدة التي كثيرا ما تذكر كرم الواهبين.[2]

1- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 4.

2- Ennabli Abdemjid, L'art romain en Afrique du nord son avenir, dans le Revue du patrimoine mondial, N° 16, 2000, pp. 18- 29, p- 20.

تم إنشاء المدن بعدها تم الاهتمام بتطويرها من جميع النواحي، فقد كانت مزينة بأقواس النصر، النوافير، الحمامات الحرارية والأروقة، كما تعد مجاريها ومراحيضها العامة شاهدا على الاهتمام الحقيقي بالنظافة، كانت إمدادات المياه حذرة بشكل خاص بفضل الصهاريج والقنوات المائية، وقد تم استخدام الينابيع الحرارية بشكل طبيعي في إفريقيا كما في أماكن أخرى، كانت جدران المنازل هي الأخرى مزينة بلوحات جدارية، والأرضيات بالفسيفساء التي تكشف لنا أذواق وعادات هؤلاء الأفارقة المرومنين.[1]

تتم ترقية المدن بعد الترويج لها من طرف الإداريين المحليين لدى الإمبراطور، وهو ما ينتج عنه أيضا حصول سكان تلك المدينة أو المستعمرة أو البلدية على المواطنة الرومانية وحتى الحق في الزواج الشرعي[2]، لم تقتصر العروض الترويجية على المدن والبلديات بل تعدت للأفراد من أجل الحصول على وظيفة أو منصب أو ترقية، ويترجم الترويج للنخب البلدية المحلية بشكل جيد، اعترافا رسميا بالمكانة التي احتلتها إفريقيا في الإمبراطورية منذ بداية القرن الثالث.[3]

يشير هيجونيو إلى أنه غالبا ما كان للعروض الترويجية محتوى حقيقي، فقد كانت هناك سفارات عديدة للمدن من أجل الحصول على الترقيات، وكانت المدن بدورها تبذل الكثير من الجهد لكسب ميداليات فخرية بسيطة، فكانت مثلا حالة ثوقا (Thugga) موضوعا مثيرا للجدل، حيث حصلت البلدية السيفيرية بعد الانصهار بين الباغوس (Pagus) والمدينة الأصلية، على امتياز الحرية المذكور في ألقابها (Municipium Septimium Aurelium Liberum)، واعتبر هيجونيو نقلا عن فرونسوا جاك (Francois Jacques) و كلود لوبلاي (Claude Lepelley) أن لقب (Liberum) يغطي الحفاظ على الحصانة الضريبية التي تمتع بها الباغوس الروماني سابقا من خلال ارتباطه بقرطاج، وحسب إشارات المؤرخين فإن العروض الترويجية قد توقفت بعد عهد جالينوس، لكن هناك إشارات أخرى توحي بأن المدن استمرت في المطالبة بألقابها، في زمن القديس أوغسطين مع نهاية القرن الرابع، حيث لازالت مستعمرة قديمة مثل سيميثوس (Simitthus) تطالب بلقبها.[4]

كان السخاء قوة دافعة أساسية للحياة البلدية، وكثيرا ما نجده في النصوص المقدمة فعلا، علاوة على ذلك يتم تقدير أهميتها من خلال التوثيق الكتابي، إذ غالبا ما كانت التماثيل والمراسيم تستجيب للأحداث الكنسية ومناسبة للأخبار، في حين تم بناء العديد من المعالم الأثرية وتزيينها من قبل الأعيان.[5]

---

[1]- Thouvenot (R.), op. cit, p- 136.
[2]- Prévot (F.), et autre, op. cit., op. cit., P- 143.
[3]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-285.
[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-129.
[5]- Francois Jacques, Les cités de l'occident Romain du I siècle avant J.-C.au VI siècle après J.-C., les belles lettres, 2012, p- 205.

امتدت سلطة هذه النخبة إلى كل حياتهم الاجتماعية وميزت التفوق في المدينة لنخبة "محترمة" أكثر مما "تخشى"، فقد سمحت الثروة التي امتلكتها الفئة الأرستقراطية المحلية، بالتخلص من المخاوف المادية وتكريس أنفسهم للسياسة المجتمعية، فقد وفر لهم الطعام بكميات كافية من خلال عمل العبيد والمزارعين في مناطقهم، واقتصرت مهامهم الاقتصادية فقط على الإشراف على ممتلكاتهم وإدارة أعمالهم، مما سمح لهم بتكريس أنفسهم في النشاط البلدي.[1]

لعبت الرتبة السياسية والإدارية لهؤلاء الشرفاء، الذين يمثلون المقاطعات في إفريقيا دورا في حمل الأعباء المالية عن الكثير من الذين أصبحت ظروفهم المعيشية عموما بائسة[2]، وهكذا كان ولاء المدينة لراعيها عبارة عن علاقة بين مجتمع ووجهاء تحفزها المصالح المتبادلة، وقد عبرت عن ذلك المدينة التي سعت في إطار هياكل الإمبراطورية، إلى الدفاع عن مصالحها بشكل أفضل _من خلال اللجوء إلى وساطة أحد كبار الشخصيات الذي يتمتع بأعلى مرتبة اجتماعية_ قدر الإمكان وفي كثير من الأحيان وظائف رسمية، إن حقيقة أن أحد الشخصيات البارزة يتمتع بسلطة رسمية تسمح له بالتصرف أو التدخل مع الأشخاص المناسبين تزيد من فرص اختياره كراعي.[3]

كان عليهم إنشاء إطار على صورة روما، ثم تزيد الساحات العمومية مع عواصمها وكورياها والمعالم الأثرية التي تجسد المثل الأعلى والراحة في المدينة، ثم تتنافس المدن التي تخدمها الهبات (évergètes) والمانحون الذين يسعون لخدمة مدنهم، فيتنافسون في بنائها وزخرفتها بغية الصعود بها إلى أعلى مرتبة في تصنيف المدن من الوضع الأدنى إلى وضع البلدية و المستعمرة ونيل امتيازات عدة بدمجها في المدينة بامتياز، وهو ما دلت عليه العديد من المدن التي لا تزال آثارها شاهدة عليها إلى اليوم، مثل الجم (El jem)، تيبازة (Tipasa)، جميلة (Djémila)، فولوبليس (Volubilis)، التي تميزت بجودة هندستها المعمارية وجمال ديكورها.[4]

كان الولاء الذي أبدته المدن الإفريقية تجاه رعاتها خلال فترة الاحتلال الروماني، مناسبا تماما لاندماجها في الإمبراطورية، حيث لعبت طبيعة الوظائف التي شغلها كبار الشخصيات من ذوي الرتب الاجتماعية العالية، دورا مهما في اختيارهم كرعاة وبهذا كان ممثلو السلطة الإمبراطورية عندما أثرت سلطتهم بشكل مباشر على حياة المدن، مطلوبين بشكل خاص باعتبارهم رعاة، وبالتالي فإن أهمية المرتبة الاجتماعية جنبا إلى جنب مع ممارسة السلطة العامة، جعلت من حكام المقاطعات ومندوبي قنصل إفريقيا، الشخصيات الأكثر ملاءمة للاستقطاب كرعاة مدن، والتأثير الحقيقي لسلطتهم الإدارية والقضائية

[1]- Ammar Mahjoubi, Le régime des notables, op. cit. p- 4.
[2]- Kotula (T.), Michalak (M.), op. cit., pp- 347- 348.
[3]- Houcine (J.), op. cit., p- 49.
[4]- Ennabli (A.), op. cit., pp- 21- 22.

والعسكرية في حياة المدن، جعلهم الأشخاص الذين اتصلت بهم السلطات المحلية في أغلب الأحيان، عندما قرروا إبرام عقود رعاية مع أعضاء نبلاء الفروسية أو مجلس الشيوخ، إذ لا يمكن تعزيز هذا الميل إلا من خلال المصالح المحلية، التي كانت لدى الحكام أو المندوبين في المدن الواقعة تحت سلطتهم.[1]

المبحث الرابع: تأثيرات ثقافية

المطلب الأول: على روما

1_ دور مكتبات المدن الإفريقية في إنجاح عملية الرومنة:

ساهمت النخب البلدية الإفريقية في إنجاح عملية الرومنة الثقافية، وذلك من خلال حملات الترويج التي اعتبرت أداة قوية كانت تقوم بها لأجل ترقية بلدياتها ومدنها.[2]

كانت المكتبات هي الأخرى تلعب دورا في رومنة المجتمع الإفريقي، والتي كانت ممولة في الغالب من طرف الأعيان المحليين الذين كانت لديهم ثروة وتمكن معظمهم من الوصول إلى المناصب والوظائف المختلفة في الإدارة الرومانية.

يمكننا في هذا الصدد الاستشهاد بمكتبة بولا ريجيا (Bulla Regia) التي كان لها الدور الأساسي في رومنة المنطقة الواقعة غرب إقليم قرطاج، كانت بمثابة مركز للأنشطة المشتركة السياسية، الاقتصادية، الدينية والثقافية، فقد كان لزاما على المدينة أن تقلد النموذج الروماني الذي يوفر للأرستقراطية المحلية وسائل هيمنتها، حيث أصبحت مدينة بولا ريجيا منذ مطلع القرن الثاني للميلاد مدينة ذات طابع روماني عميق، وقد شجعت المكانة الاجتماعية والرغبة في خدمة الإمبراطورية، الوجهاء المحليين على الالتزام بالثقافة الرومانية، إن جانبا كاملا من هذه الثقافة وهو الجانب الذي يمكن فهمه بشكل أفضل يعتمد على ثقافة الكتاب، لذلك فإن وجود مكتبة بلدية في بولا ريجيا يبدو كحقيقة لا مفر منها.[3]

كان للمكتبات أيضا خلال العصر الروماني مهنة تعليمية في عالم الثقافة الإغريقورومانية، فقد كانت ترمز إلى فكرة الرومنة وكان لهم بلا شك علاقة وثيقة بكل ما هو فكري، كما مثلت العالم الثقافي والحضاري للإمبراطورية، ولا بد أن هذه الدعوة كانت حاضرة بقوة في المدن الرومانية في إفريقيا.[4]

كان تبني الأفارقة للغة روما وأسلوب حياة الرومان سبيلا آخر لإنجاح سياسة الرومنة في مقاطعة إفريقيا، وكان هذا التبني بالنسبة للإفريقي خدمة لمصالحه التي تعددت سواء للحصول على وظائف أو للارتقاء الاجتماعي.[5]

2- المساهمات الفكرية الإفريقية ودروها في البعث الفكري في الإمبراطورية الرومانية:

---

[1]- Houcine (J.), op. cit., p- 60.

[2]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 130.

[3]- Tlili Noureddine, Les bibliothèques en Afrique romaine. In: D. H. A, vol. 26, nº1, 2000. pp. 151-174, pp- 163- 164.

[4]- Tlili (N.), op. cit., p- 168.

[5]- Ibid, pp- 167- 168.

ذاع صيت الكثير من الأدباء والعلماء الأفارقة فكان لهم وزن كبير في أوساط المجتمع سواء في روما أو في بقية المقاطعات، وقد استدعى الأباطرة بعضهم لتعليم أبنائهم في البلاط وعرف على سبيل المثال:

2-1 كايوس ماريوس فيكتورينوس (Caius Marius Victorinus):

إفريقي لامع آخر وهو خطيب شهير في عهد الإمبراطور قسطنطينوس الثاني (337-360م) أثار اعتناقه للمسيحية ضجة[1]، حقق نجاحا باهرا في تدريس البلاغة بروما، ومن خلال بلاغته جمع نخبة المجتمع الروماني حول كرسيه، وبفضل فصاحته كان يدين بسمعته العظيمة، كما كانت فصاحته هي السمة الغالبة في هيئته الفكرية والتي تميزه عن حشد العلماء والخطباء، حتى أن الرومان أقاموا له تمثالا في ساحة تراجان عام 353م، وكان يزاول الدراسة عنده العديد من أعضاء مجلس الشيوخ النبلاء، وهو بدوره كان نبيلا ونظرا لمجد تعليمه نال تمثالا في ساحة روما.[2]

كان أيضا كاتبا وعالما وفيلسوفا ونحويا، وكان من أكثر المدافعين جرأة وأحد أمجاد الوثنية قبل أن يتحول إلى المسيحية، ولد في إحدى المقاطعات الإفريقية وعلى الأرجح في البروقنصلية في بداية القرن الرابع، قضى نصف حياته في بلده الأصلي، عندما غادر إلى روما كان في سن النضج في منتصف عهد قسطينيوس، وهناك حقق نجاحا باهرا في تدريس البلاغة فلاقى كل أنواع التكريم في روما، ونظرا لمكانته الكبيرة فقد كان محل تقدير واحترام من طرف شهود أكفاء أمثال؛ بوثيوس (Boèce)، كاسيودور (Cassiodore)، إيزيدور الإشبيلي (Isidore de Séville)، فكانوا يحتفظون بجميع أعماله في مكتباتهم كما أنهم حاولوا تلخيصها والتعليق عليها.[3]

يمثلونه أيضا على أنه خطيب ومعلم من الدرجة الأولى، وأعماله كافية لإثبات سمعته العظيمة وتثبت جدارته، لقب بالإفريقي ووفقا لهذا اللقب العرقي واستنادا للشهادة الرسمية لجيروم فهو من البروقنصلية، ويرجح تاريخ مولده بحوالي 300م، لأنه اشتهر عام 353م وكان قد تقدم في السن بعد اعتناقه للمسيحية سنة 355م، وصفه بوثيوس بأنه "الخطيب الأكثر علما في عصره".[4]

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- دور المكتبات في تطور الحياة الفكرية بإفريقيا:

أكدت الكثير من الدراسات التاريخية أن إيطاليا قد فقدت منذ عهد ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) هيمنتها الثقافية والفكرية لصالح المقاطعات، وكانت إفريقيا تمثل إحداها حيث ساهمت بشكل كبير من خلال الترقيات القانونية، في التنمية الثقافية والفكرية التي

[1]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p- 252.
[2]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 402. Monceaux (P.), Histoire littéraire de L'Afrique..., op. cit., p- 380.
[3]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 402- 407.
[4]- Monceaux (P.), Histoire littéraire de L'Afrique..., op. cit., p- 374.

عرفتها العديد من المدن، بما في ذلك تلك الموجودة في إفريقيا، فشكلت المكتبات العامة والخاصة أماكن رفيعة للحياة الفكرية في المدن الرومانية، وكانت هذه الأماكن الثقافية العالية التي تبلورت فيها الذاكرة، قد لعبت دورا في الحياة الفكرية والثقافية للمدن الإفريقية، وقد كشفت التنقيبات الأثرية والشهادات الأدبية على مثل هذه المؤسسات الثقافية التي أقيمت في إفريقيا خلال فترة الهيمنة الرومانية، وأكدت المصادر باختلافها على وجود ثلاث أنواع من المكتبات العامة في إفريقيا، والمتمثلة في الأرشيف (Les archives)، مكتبات الكنيسة (Les bibliothèques des églises)، المكتبات العامة (Les bibliotheques publiques)[1]، ولنا مثال من مدينة تيمغاد حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن أنقاض مبنى تبين بأنها مكتبة من خلال نقش مكون من ثلاث أجزاء لمؤسسها:

1-1 مكتبة ماركوس يوليوس كوينتيانوس فلافيوس روقاتيانوس (marcus Iulius Quintianus Flavius Rogatianus):

شخصية غنية من مجلس الشيوخ قدم مكتبة لمدينته حوالي 235- 268م؛ والتي رأى أنها تلبي الكثير من الاحتياجات الثقافية لمواطني تيمغاد[2]، فوهب مبلغ يقدر بـ: 400 ألف سيسترس لبنائها، وهو ما يعادل في رأيه ضعف الراتب السنوي لأعلى موظف حكومي[3]، وتشكل هذه المكتبة نموذجا رائعا للنصب الروماني المحفوظ المخصص لهذا الغرض، تم بناء المكتبة على موقع مبنى سابق ليس بعيدا عن السوق، وكان روقاتيانوس أحد مواطني المدينة الأثرياء، وتولت المدينة (Curante Republica) مسؤولية تطوير هذا العمل، وعرفانا بهذا الجميل أقامت (Res publica Thamugadensium) تمثالا فخريا للمانح ولهذا اعتبرت مكتبة عامة، كان الاهتمام الرئيسي لهذه المكتبة تاريخي بحت والحقيقة أن وجود مثل هذا المبنى بمنطقة الآثار العمومية يشهد على أهمية الثقافة والتعليم بمدينة تيمغاد، وبالفعل تم إنشاء صرح ثقافي في هذه المدينة ضمن المنطقة التي تضم المعبد والحمامات الحرارية؛ التي كانت هي الأخرى تحتوي على مكتبة صغيرة للمطالعة وتجرى فيها حتى مناقشات رفيعة المستوى، وغيرها من المعالم العامة التي تعطي فكرة واضحة عن المكانة التي تحتلها الثقافة في المشهد الحضري للمدينة، وبهذا تحولت تيمغاد شيئا فشيئا من معسكر للجيش إلى مدينة مزدهرة تمارس فيها النخبة المحلية نشاطا فريدا من نوعه لاسيما ثقافيا وفكريا.[4]

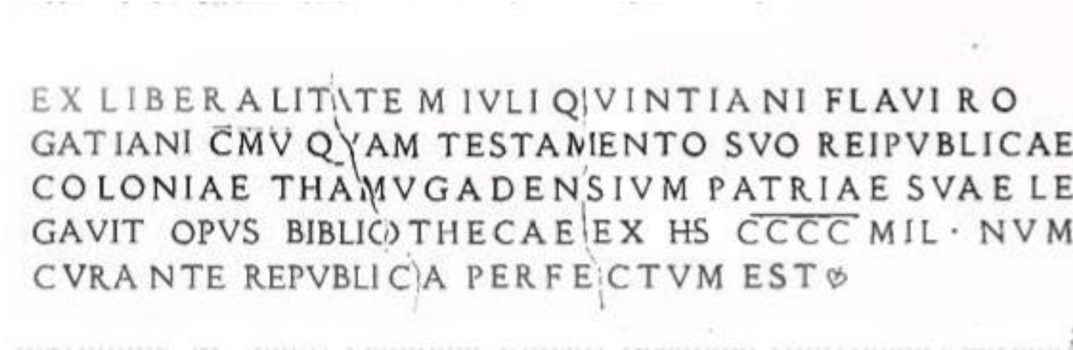
1- Tlili (N.), op. cit., pp- 153- 154.
2- Bertrandy (F.) et autre, op. cit., p- 31.
3- Gerard Coulon, Les bibliothèques publiques dans L'Empire Romain, Revue L'Archéologue. Archéologie Nouvelle, n° 72, 2004, p- 31- 35, p- 32.
4- Tlili (N.), op. cit., p- 158- 160.



الملحق رقم 12 : صورة توضيحية لمكتبة مستعمرة تيمقاد.

المصدر: تصوير الباحثة.

اكتشفت مكتبة تيمغاد سنة 1901م، وبعد أبحاث عدة في الموقع الأثري تم جمع أجزاء نقيشة صاحب المبلغ الذي خصص لتشييد المكتبة، وهذا شكل النقيشة تتضح الأماكن المكسورة فيها حسبما صورها لنا (Cagnat)[1]، وهو ما وجدناه عليها عند تنقلنا للموقع الأثري.



EX LIBERALITATE M IVLI QVINTIANI FLAVI RO
GATIANI C̄MV QVAM TESTAMENTO SVO REIPVBLICAE
COLONIAE THAMVGADENSIVM PATRIAE SVAE LE
GAVIT OPVS BIBLIOTHECAE EX HS C̄C̄C̄C̄ MIL · NVM
CVRANTE REPVBLICA PERFECTVM EST

الملحق رقم 13: صورة لنقيشة روقاتيانوس كما جسدها (Cagnat René)

المصدر: Cagnat (R.), Les bibliothèques municipales…, op. cit., p- 15.

[1]- Cagnat René, Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain. In: M. I. F, tome 38, 1e partie, 1909. pp. 1-26, pp- 14- 15.



الملحق رقم 14: صورة لنيقشة روقاتيانوس
المصدر: تصوير الباحثة.

النقيشة:

Ex liberalitate M(arci) luli Quintiani Flavi(i) Rogatiani, c(larissimae) m(emoriae) v(iri), quam testamento suo reipublicae coloniae Thamugadensium patriae legavit opus bibliothecae ex (sestercium) (centum quattuor) mil(ibus) num(mum) curante republica perfectum est.[1]

الترجمة:

بفضل سخاء ماركوس يوليوس كوينتيانوس فلافيوس روقاتيانوس، وهو رجل كلاريسيمو والذي ورث بموجب وصيته لسكان مستعمرة تاموغادي موطنه، مبلغا قدره 400000 سيسترز، من أجل بناء مكتبة تم الانتهاء منها برعاية سكانها (الثاموغاديين).

يتضح لنا من خلال الاسم العائلي (Rogatianus) للشخصية أنه على الأغلب إفريقي محلي، لأنه حسب المتخصصين في دراسة الأسماء فإن هذا الاسم في أصله مترجم من البونيقية والأكثر استعمالا وانتشارا في إفريقيا، وتم تحديد 650 مثالا في إفريقيا من إجمالي 714، كما وجد حوالي 20 حاملا لهذا الاسم في حيدرة (Haidra) وضواحيها وخاصة في ثالا (Thala).[2]

كانت مهمة تمويل المكتبات هي الأخرى حسب الدراسات التاريخية تعتمد على الهبات الخاصة، وغير بعيد عن ذلك يمكننا الاستشهاد بمكتبة تيمقاد التي ورث الوجهاء المحليون بشكل عام مبلغا إضافيا (In Tutelam Bybliothecae) مخصصا لصيانة النصب التذكاري،

1- AE, 1908, 2 = ILS, 9362.

2- Benzina Ben Abdallah (Z.), op. cit., p- 364.

شراء الكتب، وحتى دفع أجور الموظفين، حيث لم يقم بالمهمة فلافيوس روقاتيانوس وفق ما أشارت إليه عدة فرضيات.[1]

بناء على المقارنات المختلفة للكثير من المؤرخين بين عدة نصوص ومن خلال بعض المعلومات البسيطة، تبين أن المكتبات مثل بقية المباني البلدية الأخرى في مختلف المقاطعات الرومانية، كانت في كثير من الأحيان نتيجة لكرم الأفراد الأثرياء.[2]

وإذا تأملنا في تاريخ بناء المكتبة في مدينة تيمغاد، نجد هذه الفترة (القرن الثالث) في الواقع تتزامن مع ازدهار المقاطعات الإفريقية وصعود سلالة حاكمة محلية إلى السلطة في البلاد، شهدت الفترة بين 125- 225م تطورا وازدهارا للعديد من المدن الإفريقية، فقد تم خلال هذه الفترة بناء المسرح، السوق العام، المعابد، الحمامات الحرارية الكبيرة في القطاع الجنوبي الشرقي من المدينة في تيمغاد، ولا بد أن كل هذه الآثار كلفت المجتمع غاليا، خاصة أنها بنيت من الرخام ومزخرفة بالنقوش والزخارف والأعمدة والتماثيل، كما أن التكلفة العالية لبناء المكتبة وصيانتها، تشير إلى أن السكان المحليين الذين من خلال المساعدات التي قدموها للحفاظ على أموال المكتبات في مدنهم، لعبوا دورا كبيرا في حسن سير هذه المؤسسات الثقافية، ومنذ ذلك الحين شاركوا بنشاط في التأثير الثقافي والفكري لمدنهم.[3]

فقد أمتعت هذه الهياكل الترفيهية سكان المدن سواء أصحاب العقارات أو سكان المدن المجاورة الأشد فقرا، فكان على المدن امتلاك هذه الأماكن لأجل الحصول على ألقابها، فقد شمل النمو الحضري هذه المعالم مثلما هو الحال في تيبازة بالجزائر، مع ترقية المدن الأصلية إلى رتبة بلدية أو مستعمرة فخرية، وسرعان ما امتلأت المساحات الحضرية في إفريقيا بالآثار المدنية والدينية.[4]

2- أثر المفكرين الأفارقة على التطور الفكري بإفريقيا:

استوعب الأفارقة الأدب والفن اليوناني على حد سواء لكنهم استوعبوه وطوروه ليخلقوا بدورهم ثقافة أصلية حقا، وقد قال في هذا الصدد برتراند L. Bertrand عن القديس أوغيسطين "إنه روماني من إفريقيا"، كما نشر الأفارقة القانون أمثال سالفيوس يوليانوس (Salvius Julianus) الحضرموتي وهو أول فقيه في عصره، ومارسوا البلاغة التي أبدع فيها كل من فلوروس وفرونتون وأبوليوس وأول كاتب لاتيني مسيحي كان إفريقيا أيضا وهو ترتيليانوس، فبمجرد اختلاط الرومان والأفارقة حدثت صحوة أدبية وفنية، يمكن أن يتتبع ظهورها في نهاية القرن الأول تطورها في عهد الأنطونيين وبلغ ذروته في عهد السيفيريين، وإفريقيا هي التي حملت مشعل اللاتينية حيث يشير شارل بيكارد إلى أن هذه القفزة النوعية التي حققها الأفارقة يعود الفضل فيها إلى تحقيق السلام الروماني ومن دونه ما

[1]- Tlili (N.), op. cit., pp- 165- 166.
[2]- Cagnat (R.), Les bibliothèques municipales…, op. cit., p- 9.
[3]- Tlili (N.), op. cit., p- 173.
[4]- Hugoniot (Ch.), op. cit., p-296- 298.

كان الأفارقة ليقدموا مساهمتهم في الثقافة الإنسانية[1]، إلا أن بيكار بالغ كثيرا في رأيه كون المساهمة الإفريقية في الصحوة الثقافية، لم يكن وليد العهد الروماني وإنما يعود إلى فترة ما قبل الميلاد، فهذا بوبليوس ترانتيوس أفر (Publius Terentius Afer) الكاتب المسرحي، ذو الأصول الإفريقية المولود في قرطاجة سنة 185ق.م، والذي كانت أعماله مصدر الإلهام الرئيسي للكوميديا الغربية، خاصة الفرنسية والإنجليزية حتى القرن التاسع عشر ميلادي.[2]

عملت قرطاج على إرسال العديد من المحامين والخطباء إلى روما، فتمكن هؤلاء من تحقيق العدلة لموهبتهم، حيث أعلن أحد الشعراء الإيطاليين أن الأفارقة في قد كرموا وطنهم في العاصمة روما، وكان لكورنوتوس (Cornutus) وسيفيروس من لبدة سمعة طيبة في روما، ثم جاء فلوروس (Florus) و فرونتون (Fronton) من كيرتا، أبولينير (Apoliinaire) من قرطاج وأولو جيلي (Aulu-Gelle) وغيرهم ممن برز في عهد أنطونينوس وتحت قيادة ماركوس أوريليوس، حيث كان هؤلاء الأفارقة هم من وضعوا نغمة الأدب اللاتيني بأكمله، بعدها في عهد السيفيريين والغورديانيين وصل خطباء كثر إلى روما وستبقى أسماء الأفارقة بازغة، إذ نجد خلال القرن الرابع كل من سيرفيوس، ماكروبيوس، فيكتورينوس وأوغسطينوس على سبيل المثال لا الحصر الأكثر شهرة، فلمدة ثلاث أو أربع قرون كان كل جيل من العلماء يحصي عددا من الأفارقة في عاصمة الإمبراطورية، وانضم الفقهاء إلى هؤلاء الخطباء والمحامين والعلماء، فقد ازدهرت دراسات القانون في قرطاج ولا شك أن ذلك راجع إلى الصعوبات التي فرضها تطبيق القوانين الرومانية في أوساط السكان الأفارقة، فقد برزت العديد من الأسماء الإفريقية منذ عهد الأنطونينيين كفقهاء وكانت لهم سلطة كبيرة في روما، ومن أشهرهم سالفيوس يوليانوس الحضرموتي (Salvius Julianus) الذي كان رئيسا للمدرسة التقدمية المعروفة باسم السابنيين (Sabiniens)، وكان قنصلا لمرتين وعضوا في مجلس الدولة، ومحافظا على المدينة في 161- 162م، وبحجم وصلابة علمه وبيقين حكمه يكون يوليانوس أحد أمجاد الفقه الروماني، وعرف العديد إلى جانبه في المجال ذاته حيث وصل العديد من مواطنيه إلى مرتبة مشرفة جدا، منهم تلميذه كاسيليوس الإفريقي، باكتيميوس كليمنس الذي كان قنصلا وراعيا لكيرتا، وكل هؤلاء الفقهاء عاشوا في روما في مجتمع العلماء الأفارقة.[3]

اجتمع هؤلاء على الرغم من اختلاف مهنهم ببعضهم البعض في المدينة الكبيرة، وقد أشارت رسائل فرونتون الكيرتي وقصص أولو جيلي (Aulu-Gelle) وسير السيفيريين والجورديانيين إلى أنهم أحبوا العيش معا وقدموا لبعضهم البعض المال والدعم الكامل، حتى أنهم شكلوا مستعمرات عديدة ومؤثرة في روما، والتي ظلت على علاقات مستمرة مع

[1]- Thouvenot (R.), op. cit, p- 138.

[2] - بشاري محمد الحبيب، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، ع20، جامعة وهران، 2013، ص 23.

[3]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 345- 346.

موطنها الأصلي والتي اتحدت بقوة من خلال بناء مجتمع قائم على الأصل واللغة والأذواق والتعاطف الأدبي.[1]

ضمن هؤلاء المفكرين والأدباء الأفارقة بفضل موهبتهم وحماسة إيمانهم، السلطة الغالبة لكنيسة قرطاج في جميع أنحاء الغرب، ومن الجدير بالذكر أنه ليس من بين هؤلاء المؤلفين علماء محترفون وخطباء وشعراء ونحاة فحسب، بل يوجد أيضا رجال دولة وحتى أباطرة في ظل الازدهار الذي عاشته المقاطعات الإفريقية في تلك الفترة، واهتمام الأباطرة بها، حتى فرونطون الكيرتي كان يسعى لجذب اهتمام الإمبراطور ماركوس أوريليوس إلى موطنه الأصلي، فكان للرخاء المادي بين هذه الأجناس ذات الخيال المفعم بالحيوية قد أيقظ فضول العقل، وولد أدب أصلي في المنطقة فبرز أبوليوس المادوري وترتليانوس، ومهما كان مصيرهم فيما بعد كان جميع الشباب البرجوازي في المدن النوميدية أو البونيقية قد كونوا أنفسهم أولا في مدارس بلدياتهم ثم في قرطاج، واحتفظوا بذوق الدراسة وكانوا يجلبون إليها دائما تحول ذهنية الأفارقة، فمنهم من كرس نفسه بالكامل للأدب والشعر والبلاغة والتعليم في حين تحول آخرون إلى السياسة وحاولوا أن يسلكوا مهنة مشرفة، ولكنهم ظلوا جميعا أيضا علماء في إفريقيا، وهكذا أخذ العديد من القناصل والنواب والأباطرة مكانهم بين كتاب شمال إفريقيا، بعد خطباء القرن الثاني وفي الوقت نفسه مثل المسيحين العظماء مواطنيهم، رجال الدولة هؤلاء والأباطرة من أصول بونيقية أو نوميدية أو مغاربية المتحمسين للبلاغة والشعر، ساهموا بشكل كبير في تأثير الأدب الإفريقي على كامل الإمبراطورية.[2]

كان كل من تمكن في السلطة يسعى للرفع من شأن مواطنيه، فهذا سبتيموس سفيروس الذي جعل من الوظائف باختلافها نصيبا أكبر لأهل جلدته، نراه أيضا قد أحاط بنفسه صفوة من الأدباء من مواطنيه أمثال الإفريقي البلاغي إليوس (Aelius) كاتب سيرته، الشاعر جورديانوس الذي سيصبح إمبراطورا بعد ذلك، كما كان وزيره بلاوتيانوس (Plautianus) مواطنه وعلى الأغلب أنه قريبه وحتى رفيقه الذي لا يستغني عنه في الحروب، وقد عينه مرتين قنصلا ومحافظا، وتجدر بنا الإشارة إلى ماكرينوس الإفريقي الذي كان وكيلا على بلاوتيانوس ثم على سفيروس و العالم سامونيكوس سرينوس (Sammonicus Serenus) الذي اشتهرت مكتبته وألف مجموعة من المؤلفات، وبهذا التعاطف والاهتمام الذي أولى به سفيروس أبناء وطنه، كسب قلوب شعب بلده الذين كانوا قد أحبوه وافتخروا به كثيرا، في حين لم يكن له أي اهتمام برومان روما.[3]

امتاز أيضا خلفاء سبتيموس سفيروس الذين كانوا أمراء وهم بدورهم حملوا مشعل العلم والأدب والتعاطف مع مقاطعات إفريقيا، فقد كان جيتا صديقا لسامونيكوس وكان ألكسنر

[1]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., 345.
[2]- Ibid, p- 342- 344.
[3]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 354- 356.

سيفيروس هو الآخر خطيبا متميزا وشاعرا كتب سيرة الأباطرة شعرا، وقد اهتم كثيرا بالجامعات، فخصص منحا دراسية للشباب الفقراء، إضافة إلى ذلك أسس في المقاطعات وفي روما عددا كبيرا من المقاعد في الرسمية ومقاعد في البلاغة، النحو، الطب، العرافة، الرياضيات، الميكانيكا والهندسة المعمارية، وأبدى هو الآخر صداقة مع الشاعر سامونيكوس ابن العالم الذي يحمل الاسم نفسه وكان في بلاط سبتيموس.[1]

كانت إفريقيا لا تزال خصبة بالأدباء خلال القرن الرابع، وقد احتل المسيحيين مكان الشرف دون شك وبالضبط للقديس أوغسطينوس ولجمهور الكتاب الكنسيين الذين اجتمعوا حوله، سواء كانوا أساتذته أو زملاء الطلاب أو تلاميذه، في المقابل كان المعسكر الوثني يضم أيضا خطباء بارزين، أمثال ماكسيم (Maxime) الذي كان يتمتع بسمعة كبيرة في جميع أنحاء المنطقة وغيره.[2] لعل أبرزهم كالآتي:

1-2 سيرفيوس الماوري (Servius le Maure):

ولد في موريتانيا في منتصف القرن الرابع تقريبا ذهب إلى روما شابا، وسرعان ما اشتهر بتعاليمه وكتبه حيث كان رجلا مثقفا جدا ذو علم سليم وذوق رفيع، وقد كانت وثنيته وأصله الإفريقي وسعة اطلاعه وسمعته كعالم مساهمة بشكل كبير في تلقيه للاستقبال من طرف سيماخوس (Symmaque) بدائرته، هذا الذي كان واليا في قرطاج لعدة سنوات، كما كان شديد الاحترام له وكثير الثناء عليه رغم صغره، وكان سيرفيوس كثيرا ما يستشار في بعض المواقف الصعبة، واعتبر الأكثر تعلما ليس فقط بين أقرانه الشباب من جيله بل أفضل من جميع الشيوخ الكبار، وفي إشارة لماكروبيوس (Macrobius) يخبرنا أنه كان صغيرا جدا عندما نشر دراساته الأولى عن فريجليوس (Virgilius) وله أعمال أخرى عديدة.[3]

يعود الفضل إلى بروز هؤلاء الأفارقة بالدرجة الأولى إلى مقاطعة قرطاج، لكونها كانت المركز الفكري لإفريقيا الرومانية، مركز الحياة الغنية والنشيطة التي جذبت كل الأمة الحيوية لتخصب العمل المشترك وتشع في كل الاتجاهات، فقد ولد فيها العديد من المفكرين وقد إليها آخرون للاستقرار بها، فقد قدم إليها الجميع من جميع أنحاء شمال إفريقيا سعيا لتعليم أفضل والحصول على السمعة والثروة، وفيها كانت البيئة مواتية لازدهار الأعمال الأدبية والإثارة العصبية، وصداقات المفكرين أو مشاحناتهم، والحشود التي توزع المجد وجمهور الخبراء.[4]

3- دور الأرستقراطية المحلية في تنظيم الأنشطة الثقافية:

1- Ibid, p- 357.
2- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 401.
3- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 409- 411.
4- Ibid, pp- 459- 460.

تنافس العديد من القضاة والكهنة بالإضافة إلى دفع المبلغ الفخري المطلوب منهم لممارسة وظائفهم، في الكرم نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث فقدموا المعابد، المسارح، النوافير والتماثيل، إضافة إلى الألعاب التي تكون مصحوبة من وقت لآخر بالهدايا وهذه الأمور على الغالب كانت تشكل الجزء الأساسي من الخدمة.[1]

أصبح بإمكان الفئة الثرية ببلاد المغرب تنظيم أنشطة ترفيهية في المسارح، والسباقات التي كانت تجرى في السيرك إضافة إلى المسابقات التي تعقد في ساحات المدرجات.[2]

عرف هؤلاء الأغنياء بتشجيعهم للفنون والآداب، فملأوا المسارح وقاعات المؤتمرات لمشاهدة الخطباء[3]، فقد كانت تقام في كثير من الأحيان مسابقات في الشعر والبلاغة، وتقام أروع الألعاب كل خمس سنوات بمناسبة الألعاب الإقليمية الكبرى، وقد ذهبت كل طموحات الشباب هناك بحماس، نظرا لأن توزيع المكافآت تم الاحتفال بها بأبهة كبيرة وكان الحاكم نفسه يضع التاج على رأس الفائز[4]، ولنا أمثلة في ذلك نذكر منها:

1-3 لوكيوس كرونيليوس فرونتون بروبيانوس (Lucius Cornelius Fronto Probianus):

قدم هذا القاضي (magistrat) مبالغ لخزائن بلديته ومن أجل تنظيم الألعاب لسكان المدينة، ظهر على نقشه اسم الامبراطور الجبالوس (Elagabalus) أو ألكسندر سفيروس (Sévère Alexandre)، وقد تم إعادة تأليه كركلا على الرغم من خضوعه لـ (damnatio memoriae) ربما بواسطة الجبالوس.[5]

النقيشة:

ictoriae Augustae sacrum / Imp(eratoris) Caes(aris) [- - - / /---]] max(imi) [[- - -]] ; L(ucius) Cornelius L(ucii) fil(ius) Quir(ina tribu) Fronto Probianus eq(uo) p(ublico) orn(atus), / dec(urio) IIII col(oniarum), fl(amen) p(er)p(etuus) diui Magni Antonini, / statuarii cum tetrastylo, quam ob honorem ßam(onii), praeter HS LXXXII (milia) n(ummum) / quae rei p(ublicae) praesentia intulit, promiserat et dec(urionatus) HS XX (milia) n(ummum), sed et / cetera quae liberalitate suapatriae contulit, ex (HS) XXX mil(ibus) n(ummum) dedit / idemque dedicauit, ad cuius dedicationem etiam ludos / scaenicos cum missilibus edidit.[6]

الترجمة:

النقيشة مكرسة لنصر أغسطس {إسم الامبراطور المذكور}. لوكيوس كورنيليوس فرونتو بروبيانوسن، ابن لوكيوس من قبيلة كويرينا، كان من الفرسان العوام، ديكوريون للمستعمرات الأربع للكنفدرالية الكيرتية، كاهن دائم للمؤله الأكبر أنطونين (كركلا)، قدمها

[1] Briand-Ponsart Claude, Les « lancers de cadeaux » (missilia) en Afrique du Nord romaine. In: A. A, 43, L'Afrique du nord de la protohistoire à la conquête arabe, 2007, pp. 79-97, p- 85.

[2]- Ammar Mahjoubi, Le régime des notables, op. cit., p- 4.

[3]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 471.

[4]- Ibid, p- 482.

[5]- Bertrandy (F.) et autre, op. cit., p- 27.

[6]- ILAlg, Π, 1, 10 (CIL \ΙΠ, 7963 ; 19849 ; ILS 5473

وأهداها، دفع 30000 سيسترز لهذا التمثال مع شكله الرباعي (بأربعة أعمدة)، كان قد وعد به لشرف كهنوته، بالإضافة إلى 82000 سيسترز عرضت للمدينة طوعا، و20000 سيسترز بمناسبة دخوله الديكوريون، ولكن أيضا كل المبالغ التي دفعها من كرمه مقابل وطنه، لتكريس هذا التمثال قام بتنظيم ألعاب مسرحية وتقديم الهدايا.[1]

يعتقد فلوم أن تاريخ النقيشة يعود إلى فترة حكم الجبالوس أو عهد ألكسندر سفيروس (218- 235م) ويرجح الخيار الثاني، تم دمج لوكيوس كورنيليوس فرونتون بروبيانوس قريب الخطيب فرونتون في رتبة الفروسية، بترتيب الديكوريون للكونفيدرالية الكيرتية، ثم أصبح كاهن كركلا المؤله وفي كل مرحلة من حياته المهنية في البلدية أظهر الكرم.[2]

وصف أوغيسطينوس أيضا في كتابه (Contra Academicos) الذي كتبه عام 386م، الرضا الذي استمده أحد أعيان ثاغست (Thagaste) _المدعو رومانيانوس (Romanianus) الذي كان راعي ثاغست والمدن المجاورة لها من 370- 385م_ من المظاهرات العامة للاعتراف بالمستفيدين من بذخه والمدن التي دخلت في رعايته، {عندما قدمت لمواطنينا ألعابا تضم الدببة وعروضا لم يسبق لها مثيل هنا من قبل، عندما تلقيت أحر التصفيق في المسرح، عندما تم رفعك إلى السماء بضجيج الرجال الأغبياء الذين كانت حشودهم هائلة، عندما لم يجرؤ أحد على التصريح بذلك هو نفسه عدوك، عندما أعلنتك الألواح البلدية من البرونز راعيا، ليس فقط لمواطنيك ولكن أيضا لجيرانك، عندما نصبت لك التماثيل، عندما تم إعداد طاولات رائعة للولائم اليومية حيث يمكن للجميع أن يطلبوا ويحصلوا على ما هو ضروري وأيضا ما أراده تعطشه للمباهج، عندما أظهر تراثكم الذي يديره شعبكم أنه بمهارة وإخلاص، أنه قادر على تحمل مثل هذه النفقات، عندما كنتم تعيشون خلال هذا الوقت في مباني واسعة وفاخرة، كان لديك حمامات رائعة وامتلكت فسيفساء لا يعيبها شيء، واستمتعت بالصيد والولائم، عندما اعلن من خلال أفواه رعاتك ومن خلال افواه مواطنيك وباختصار من خلال أفواه الحشود، أنك لو كنت أكثر الناس خيرا وأكثرهم كرما وأكثرهم صدقا وحظا، أسألك يا روماني من يجرؤ على أن يحدثك عن سعادة أخرى، وهي السعادة الحقيقية الوحيدة؟}، ولا شك أن ثروة رومانيانوس الكبيرة سمحت له أن يكون له تأثير يتجاوز إطار مدينته، وهكذا فإن المنطقة التي مارس فيها أحد الوجهاء المحليين مهماتهم كرعاة، كانت تتكون من مجموع أراضي المدن المجاورة التي دخلت في رعايتهم، وضمن هذه الحدود تم التعبير عن ولاء المدن والذي يشهد عليه في أغلب الأحيان إهداء التماثيل ومن خلال ألواح الرعاية وبعض النصوص الأدبية النادرة.[3]

كان للأفارقة شغف كبير بالعروض بجميع أنواعها، وقد أشار لذلك أبوليوس (Apolius) ومانيليوس (Manilius)، ترتيليانوس (Tertulianus)، كبريانوس (Cyprianus)، أرنوبيوس

[1]- Bertrandy (F.) et autre, op. cit.,p- 27.
[2]- Briand-Ponsart (C.), op. cit., p- 85.
[3]- Houcine (J.), op. cit., p- 47- 49.

(Arnobius) و أوغيسسطنوس (Augustinus)، إذ أن شهاداتهم تؤكد كل الآثار التي تغطي تراب تونس والجزائر، فقد كان في قرطاج مسرح واحد على الأقل و أوديون (Odéon) ومدرج وسيرك، فقد كان يتم الاحتفال هناك بمختلف الألعاب الدورية، مثل الألعاب البيثية (Pythiques)، وألعاب أخرى تقدم تكريما للعائلات الإمبراطورية المختلفة، أو بمناسبة أعياد ميلاد الأباطرة.[1]

كان لقرطاج الدور الكبير بعد أن أصبحت العاصمة الفكرية لمنطقة الأطلس بأكملها، إذ صارت على اتصال دائم مع إيطاليا والشرق، فاستوردت أعمال وأفكار روما والإسكندرية، ومن خلال حركة التبادل هذه خصبت البلاد البونيقية والأمازيغية، مما ساهم في نشر تأثير الأدب المحلي الإفريقي على الأدب الروماني منذ عهد الأنطونيين، وعلى هيبة الكنائس الإفريقية التي أصبحت تحتل مكانة كبيرة منذ عهد ترتيليانوس (Tertullianus)، وبهذا كانت قرطاج هي إفريقيا باختصار واعتبرها جميع الأفارقة وطنهم، أين امتزجت الحضارات غير المتجانسة دون أن تندمج بشكل كامل على الإطلاق الوثنية أو المسيحية، حيث كان الأدب الذي تطور فيها قد أعاد إنتاج كل التناقضات.[2]

المبحث الخامس: تأثيرات دينية

المطلب الأول: على روما

1- دور النخبة الفكرية الإفريقية ومؤلفاتها في الدفاع عن المسيحية:

شهدت اللاتينية المسيحية ولادة في شمال إفريقيا بقدر ما كانت في روما، وعرفت المسيحية تطورا سريعا في البروقنصلية ونوميديا، كما شتهرت إفريقيا بمدافعين شرسين عن هذه الديانة ضد الأديان التقليدية في العالم القديم، والذي بدأه ترتيليانوس عام 197م وألف كتابه الأمم المتعارضة (Aduersus Nationes)، الدفاع عن المسيحية (Apologeticum) ليتبناه منيكيوس فليكس وكبريانوس القرطاجي قراء ترتيليانوس، واستمرت من 300- 310م مع أرنوبيوس ولكتانتيوس، وانتهت بعد قرن من الزمن مع القديس أوغسطينوس وأروس (Orose) وهذا التقليد الإفريقي الذي استمر لأكثر من قرنين شهد بالطبع تغييرات، لكنه استجاب بشكل أساسي للانتقادات نفسها.[3]

عرف مينوكيوس فليكس بانتمائه إلى هذا الخط من الكتاب المهتمين بترسيخ المسيحية في الثقافة العتيقة قدر الإمكان، إلا أن طريقته اختلفت حيث تخلى عن الموقف الدفاعي الذي اتخذه ترتيليانوس، ووضع الثقافة الوثنية والعقيدة المسيحية على قدم المساوات وكان بهذا

---

[1]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., p- 473.
[2]- Monceaux (P.), Les Africains…, op. cit., pp- 490- 491.
[3]- Inglebert Hervé, Arnobe et l'histoire de Rome. In: A. N. A, cultures et paysages. Actes du colloque de Nantes (Mai 1996) Besançon: Institut des Sciences et Techniques de l'Antiquité, 1999. pp. 151-164. (Collection « ISTA ». 725), p- 151.

يسعى إلى الحوار في ظل الفوضى الروحية، وأعد ادعاء لكتانتيوس الهادئ بتفوق المسيحية، وبهذا يحتل مكانا حاسما في الدفاعيات المسيحية.[1]

اشتهر أرنوبيوس الكبير هو الآخر بكونه من المدافعين عن المسيحية، ففي الكتاب الأول من (Aduersus Nationes) وهو اعتذار عن المسيحية، يرد أرنوبيوس على اتهامين وثنيين تقليديين يزعمان أن المسيحية والمسيحيين مسؤولان عن المصائب التي لحقت بالإمبراطورية، في تصريحات مفادها أنه: "منذ ظهور الشعب المسيحي على الأرض كان العالم يتلاشى والجنس البشري أصيب بآلاف الشرور"، فرد بأن القرون التي سبقت المسيحية وبالاعتماد على مصادر مختلفة شهدت كوارث هي الأخرى، من مجاعات، وفيضانات، أوبئة قضت على البشر، الجراد وفئران الحقول التي دمرت الزرع.[2]

يطرح أرنوبيوس بعدها مشكلة زمن المسيحية: "لقد مر حوالي ثلاثمائة عام منذ أن بدأنا نحن المسيحيين في الوجود ونعتبر في العالم خلال كل هذه السنوات سببا في حروب ومجاعات متواصلة، ألم يسد السلام على الأرض قط ؟، ولم نعد نجد السلع رخيصة الثمن ووفيرة؟، إن المهمة الأولى لمن يتهموننا هي أن يثبتوا أن هذه المصائب كانت مستمرة ولا تنتهي. ثم يرد أرنوبيوس من خلال استحضار الميزانية العمومية الإيجابية للإمبراطورية، خلال هذه السنوات تم تحقيق انتصارات لا حصر لها على الأعداء، وتم إرجاع حدود الإمبراطورية إلى الوراء، كما أخضعت شعوب إلى قوتنا لم يعرف أحد حتى اسمها، وفي كثير من الأحيان كانت هناك محاصيل ممتازة والمواد الغذائية متوفرة وزهيدة الثمن، مما أدى إلى إصابة التجارة بشلل بعد انهيار الأسعار... وكانت هناك فترات معينة من الندرة لكن عودة الوفرة جلبت الراحة، فبعض الحروب لم تكن حسب رغبتنا ولكن بعد ذلك جاءت الانتصارات والنجاحات التي أعادت الأمور إلى نصابها"، وعلى هذا الأساس يعتبر تاريخ روما منذ ظهور المسيحية إيجابي.[3]

كان الاعتراف الرسمي بموهبة لكتانتيوس من قبل بلاطين إمبراطوريين مختلفين مثل بلاط ديوقليديانوس وبلاط قسطنطين الأول، يوضح أن هذا الخطيب كان مثقفا بارزا ويوضح أنه على هذا النحو قام بعمل موجه بشكل خاص إلى المتعلمين والمثقفين من الناس في عصره، من أجل حشدهم إلى كنيسة تتحد أكثر مع الدولة، في ظل تأسيس قسطنطين بعد اعتناقه للمسيحية ما يسمى بالعلاقة بين الكنيسة والدولة مبنية على أسس جديدة خلال فترة "سلام الكنيسة" كما سماها المؤرخون.[4]

---

[1]- Chapot Frédéric, Les grandes orientations des travaux sur l'Octavius de Minucius Felix. Remarques sur trente ans de bibliographie. In. V. L, N°150, 1998, pp. 18-28, p- 25.
[2]- Inglebert (H.), op. cit., pp- 152- 153.
[3]- Inglebert (H.), op. cit., pp- 159- 160.
[4]- Monat (P.), op.cit., p- 48.

نفهم من هذا أن الأعمال الدينية التي ألفها لكتانتيوس كانت قد خدمت مصلحة الدولة الرومانية، وكان لها صدى واسع وتأثير بارز ينعكس من خلال الاهتمام الذي أولاه الإمبراطوران لهذا الخطيب.

عمل لكتانتيوس على قيادة النخبة الفكرية في عصره، من فلاسفة، شعراء وحتى الفقهاء لمعرفة وممارسة المسيحية[1]، كما سعى إلى اظهار الحقيقة المسيحية للوثنين الذين لم يكن لديهم سوى ازدراء النص الكتابي، خاصة وأنه كان يتمتع بقوة خطابية عالية واعتماده على الكتاب المقدس كنص ضمني حقيقي لخطابه، نظرا لما كانت تتمتع به من سلطة بين القراء الوثنيين.[2]

كانت مناظرة لكتانتيوس وفي ظل الظروف السائدة آنذاك جزء من الأحداث الجارية ونقطة "تحول قسطنطين"، حيث كانت تهدف إلى إضفاء الشرعية على العبادة المسيحية في روما، وقد لعب خطابه دورا هناك لأنه كان مؤلفا رومانيا ومسيحيا جديدا وبهذا فليس من قبيل الصدفة أن تتم كتابة مؤلفه المؤسسات الإلهية بالتوازي مع صعود قسطنطين السياسي.[3]

اشتهر القديس أوغسطينوس أيضا بدفاعه عن المسيحية، فقد تزامن اعتناقه لها انتشار الكثير من البدع والنحل فسخر نفسه للدفاع عنها وترسيخ المسيحية الكاثوليكية، وهو الأمر الذي جعل منه مجادلا عنيدا تصدى حتى للحركة الدوناتية بداية بالحوار، لكن عندما يئس منهم أثار عليهم السلطة الرومانية.[4]

المطلب الثاني: على إفريقيا

1- أثر الوساطة الدينية في ارتقاء الأفارقة

كان الأفارقة الذين يحصلون على مناصب في الوظائف الدينية يعملون على التوسط لأقاربهم سواء آباءهم أو إخوانهم من أجل الحصول على الوظائف والمناصب المختلفة، فوصل بعضهم حتى إلى بلاط الإمبراطور وكان لهم دور في تزكية أصدقائهم، ففي إشارة لمونصو (Monceaux) يتبين أن رجال الدين الأفارقة كان لهم سلطة كبيرة، وقد كان حضورهم قويا في مجمع سارديكا سنة 343م، وصل عددهم ستة وثلاثون أسقفا وقد ذكرهم غراتوس أسقف قرطاجة سنة 348م، في المجمع العام لإفريقيا فقال: "في مجمع سارديكا كان هناك بعض الانتقادات للأفارقة"، حتى غراتوس بحد ذاته اشتكى من زملائه الذين وجدهم غير قابلين للطي، ثم حكم على أن الأساقفة ظهروا كثيرا في البلاط الإمبراطوري، وأساؤوا استخدام سلطتهم لتزكية اصدقائهم والدفاع عن المصالح العلمانية، وأكثرهم إثارة للاهتمام هم الأفارقة حسب رأي أوسيوس الذي ترأس المجمع والذي سمح لنفسه بهذا الاتهام قائلا: " إن

1- Ibid, p- 49.

2- Blandine Colot, Lactance, nouvel auctor, et les témoignages païens du monothéisme, Revue de l'histoire des religions [En ligne], 4l2019, mis en ligne le 01- 01- 2023, consulté le 02- 07- 2024. URL: http://journals.openedition.org/rhr/10230. pp- 791- 819. p- 791.

3- Blandine (C.), op. cit., p- 818- 819.

4- بشاري (م. ح.)، المرجع السابق، ص ص 43- 44.

الإلحاح والترسيم المتكرر للغاية والمطالب غير العادلة، قللت من رصيدنا والثقة التي ألهمناها، فبعض الأساقفة لا يتوقفون أبدا عن الذهاب إلى المحكمة وخاصة الأفارقة، الذين وكما علمنا يحتقرون النصائح المفيدة لأخينا الأسقف المشارك غراتوس، إنهم لا يُقدمون للمحكمة الطلبات التي تُعنى فقط بتقديم المساعدة للأيتام والأرامل والفقراء، لكنهم يطلبون أيضا كرامات ووظائف لبعض الأشخاص".[1]

أشارت أيضا كارولين هورني (Caroline Hoerni) عند حديثها عن دور المرأة في إفريقيا، والتي تتصدر عدة مناصب لا تقتصر على السلطة القضائية وإنما تتعدى إلى مناصب دينية (Flaminique, Matrones) وهو أمر أساسي في الهياكل المؤسسية الاستعمارية.[2]

كانت النساء التي يحصلن على هذه الوظائف وخاصة وظيفة الفلامين (Flamine) يتوسطن لأباءهن وأزواجهن، إذ تسمح للزوج بترقية غير مباشرة من قبل زوجته، كما يسمح للآباء والأبناء والأقارب على السواء، الوصول لوظائف في الديكوريون (Décurion) أو حتى في الفروسية، كما تسهل هذه الوظيفة التقدم في المناهج المحلية والإمبراطورية، إذ كانت أحد أكثر الوظائف النسائية قيمة ومكافأة في إفريقيا، وقد تم توثيق حوالي 70 فلامين من فئة النساء، في الفترة الممتدة من القرن الأول إلى القرن الثالث ميلادي أكثر من نصفها في القرنين الثاني والثالث، ويمكننا الاستدلال بمثال من روسيكاد (Rusicade) زوج كلاوديا غاليتا (Claudia Gallitta) المدعو ك. أوستيرنيوس لابيانوس (Q. Austurnius Lappianus) وهو قاض محلي تم تكريمه بين 198- 211م وتم ترقيته إلى رتبة فارس بفضل زوجته.[3]

2- دور الهبات المحلية في إنشاء وإصلاح المؤسسات الدينية:

عمل الأفارقة على خدمة المراكز الدينية أيضا، وكان لهم دور في بناء بعض المعابد وإصلاح ما تعرض منها للتلف بأموالهم الخاصة ولنا مثال من نوميديا في 27 ديسمبر 265م، إذ أشارت المصادر المادية إلى أعمال ترميم وتوسع وزخرفة لمعبد بلوتو بمبلغ 67500 سسترز:

2-1- كايوس فاليريوس فالنتينوس (Caius Valerius Valentinus):

أشارت نقيشة عثر عليها بمريكاب ثالة (M'rikeb-Thala) أهديت من قبل الماكومادبين (Macomades) قصر العمري حاليا بأم البواقي في مقاطعة نوميديا بواسطة كايوس فاليريوس فالنتينوس، وهي هبة يبدو أنها كانت بسيطة ومقدمة على وجه الخصوص لبلوتو (Pluton)، وكما هو معتاد عليه كان المبنى مكرس للملك، لشكره على ترخيصه بالبناء ويشهد على الولاء والامتنان الملكي لأعمال الهبات وأبناء وطنه، لذلك أنفق فالنتينوس طوعا 67500

[1]- Monceaux (P.), Histoire littéraire de l'Afrique..., op. cit., pp- 216- 217.
[2]- Hoerni (C.), op. cit., p- 4.
[3]- Ibid, 7- 8.

سسترز أي ما يقدر بـ 337500 فرنكا مقابل ترميم المعبد، وهو مبلغ كبير أعلى بقليل من متوسط نفقات البناء في إفريقيا في عهد جاليانوس (Gallienus) 35750 سسترز.[1]

النقيشة:

Deo Pluton[i] Aug(usto) sac(rum) / pro salute d(omini) n(ostri) Imp(eratoris) Caes(aris) ⟦[P(ubli) Li]⟧/[⟦cini Egnati Gallieni⟧ Aug(usti)] / C(aius) Valerius Valentinus [3] / templum modicum antiqua vet[us]tate / dilapsum ampliato spatio columnis / et regiis duabus picturis ornatum / pecunia sua ex HS LXVII mil(ibus) D n(ummum) / a solo coeptum perfecit et deo / victimis redditis et popularib[u]s / epulo exhibito statut[o] etiam / perpetuo epulo annuo sa[c]erdoti/bus dedicavit cura(m) agen[ti]b(us) C(aio) Lollio Ho/norato et Q(uinto) Septimio Vitale sa[c]erdotib(us) f(aciendum) c(uravit) AC // Dedi/catum / VI Kal(endas) / Ian(uarias) // Vale/riano / et Lu/cillo / co(n)s(ulibus).[2]

الترجمة:

(النصب التذكاري) المكرس للإله بلوتو أوغسطس. عاش ربنا الإمبراطور بوبليوس ليكينيوس إجناتيوس غالينوس أوغسطس، كايوس فاليريوس فالنتينوس [---] قام بإعادة البناء الكامل لمعبد صغير كان قد تحطم منذ فترة طويلة، وقام بتوسيعه وتزيينه بأعمدة ولوحتين ملكيتين (؟)، على نفقته، بسعر 67500 سترس. بعد أن قدم الأضاحي للإله، وأرضى مواطنيه بمأدبة، وأقام مأدبة سنوية على الدوام للكهنة، كرّسها من خلال رعاية الكاهنين كايوس لوليوس أونوراتوس وكوينتوس سيبتيميوس فيتاليس. مكرس في اليوم السادس قبل تقويم شهر يناير، خلال فترة ولاية فاليريانوس، للمرة الثانية، ولوكيلوس.

2-2- بوبليليوس كاينيوس كايكينا ألبينوس (Publilius Caeionius Caecina Albinus):

عمل بوبليليوس على ترميم الرواق الأمامي لفناء الكابيتول،[3] وقد عثر علماء الآثار على نقش كبير يحمل اسمه إلا أنه مشوه نوعا ما، وتم نشره منذ زمن طويل حسب ما أشار إليه بوسويلوولد (Boeswillwald. F.) و آخرون في مؤلفهم، طول النقيشة حوالي أربعة أمتار ارتفاعها متر، وقد نسخه كل من روني (L. Renier) و ويلمان (Wilmanns).[4]

Pro magnificentia saeculi d(ominorum) n(os- trorum) Valentiniani et Valentis semper Augustorum [quattuor porticus Capitoli(i) seri<a>e vetustatis absumptas et usque ad ima fundamenta c[ollapsas], novo opere perfectas exornatasque dedicavit Pu- blilius Cacionius Caecin[a Albinus vir clarissimus, consularis, curantibus Aelio Juliano iterum reipu- blicae [curatore], Fl(avio) Aquilino (lamine) p(er)p(etuo), Antonio Petroniano f(lamine) p(er)p(etuo), Antonio Januariano f(lamine) p(er)p(etuo).[5]

الترجمة:

1- Bertrandy (F.) et autre, op. cit., p- 76.
2- AE 1905, 00035
3- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.)… et autre, op. cit., p- 208.
4- Ibid, p- 154.
5- C.I.L. VIII, 2388.

لروعة عصر سادتنا فالنتينيان وفالنس الأغسطسين الدائمين، تم إزالة صالات العرض الأربعة في مبنى الكابيتول من العصور القديمة الخطيرة بعد أن انهارت الأساسات حتى القاع، ، بوبليليوس كايكيونيوس كايكينا ألبينوس وهو رجل لامع، قنصل، أهدى العمل الجديد المتقن والمزخرف، تحت رعاية أيليوس يوليانوس أمين للمدينة للمرة الثانية، وفلافيوس أكويلينوس العراف الدئم، أنطونيو بترونيوس الكاهن الدائم، أنطونيو جانواريانوس الكاهن الدائم.

PRO MAGNFICENTIA SAECVLI DD NN VALENTINIANI ET VALENTIS SEMPER AVGVSTORVM *quat*
TVOR PORTICVS CAPITOLI SERIAE VETVSTATIS ABSVMPTAS ET VSQVE AD IMA FVNDAMENTA *Collapsas*
NOVO OPERE PERFECTAS EXORNATASQVE DEDICAVIT PVBLILIVS CAEIONIVS CAECIN *a albi*
NVS VIR CLARISSIMVS CONSVLARIS CVRANTIBVS AELIO IVLIANO ITERVM REIPVBLICAE *curatore*
FL·AQVILINO FF·PP·ANTONIO PETRONIANO FF·PP·ANTONIO IANVARIANO FF·PP·[redacted]
[redacted]V[redacted]TION M NOCI [redacted]CVR REIPVB

الملحق رقم 15: **صورة** توضح التشوهات الطارئة على النقيشة.

المصدر: Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.)… et autre, op. cit., p- 154.

أثار هذا النقش اهتمام المؤرخين وعلماء الآثار لأنه يثبت حسبهم أنه في الوقت الذي حكم فيه فالنتينيان (Valentinianus) وفالنس (Valens) معا (364- 367م)، كانت تيمغاد مثل العديد من المدن الأخرى في إفريقيا موضع اهتمام الحاكم، في الوقع تم العثور على اسم (Publilius Caeionius Caecina Albinus) في عدة نقائش وهو يصاحب دائما ذكر بعض أعمال البناء أو إعادة البناء، في خنشلة مثلا ظهر اسمه عند أحد الأبنية، أما في فليبفيل (Philippeville) سكيكدة حاليا، فقد تم بناء مخازن الحبوب على أساس الأمن الشعبي الروماني على قدم المساواة مع المقاطعات، في قسنطينة قامت الشخصية نفسها بترتيب سرداب مخصص لعبادة ميثرا (Mithra) وزينته بالتماثيل، أما في جميلة فقد أنشأ سوقا للملابس (Basilica vestiaria)، وفي لامباز (Lambèse) الغالب أنه قام بإصلاح معبد عين درين (Ain-Drinn)، وفي تيمغاد أيضا حسب نص تم العثور عليه أيضا يتضح أنه أقام في السوق تمثالا لاتفاق الأغسطيين، يظهر في آخر النص المدعو أيليوس جوليانوس (Aelius Julianus)، الذي كان أمين المدينة حينها للمرة الثانية أثناء إعادة بناء أروقة مبنى الكابيتول، وكان ذلك بعد عام من نصب التمثال في السوق (macellum)[1] وبالتالي يمكن أن يرجح بتاريخ 365م.[1]

---

[1] - ماكيلوم (macellum): يتبين بوضوح أن هذا المصطلح يشير إلى مبنى معين مستورد من روما، حيث تم تثبيت النموذج بعد حركة الأنشطة التجارية خارج المنتدى في موقع منتدى السلام في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وهو المصطلح الذي يتوافق مع ترجمة كلمة يونانية تشير إلى مكان مغلق (Makellos)، يستخدم للإشارة إلى مبنى يضم الحلات التجارية

يتضح أن التأثير المباشر الذي مارسته الأرستقراطية الإفريقية طوال هذه الفترة على مصير الإمبراطورية، رُسمت معالمه في عدة مظاهر تنوعت بين عدة مجالات وبرزت مثلا، في مجلس الشيوخ الذي وجدت إيطاليا نفسها قد تراجعت فيه إلى الحد الأدنى وهيمنة الأفارقة والسوريون التي ازدادت في عهد الأسرة السفيرية، وعلى حد قول شارل بيكار كانت حاشية الإمبراطور تعج بالأفارقة في زمن كومودوس، كما تجلى التفوق الإفريقي أيضا في النشاط الأدبي الذي كان متوازنا، واهتمام الأسرة السيفيرية الإفريقية بشكل خاص ببلدها الأصلي أثبتته مجموعة من الآثار والنقوش التي لا تعد ولا تحصى، كما مثل ظهور الإمبراطور الإفريقي سبتيموس سيفيروس بداية عصر تطور غير عادي لإفريقيا، ومما لا شك فيه أن عهده لم يحقق شيئا أعظم من الشبكة العملاقة من الحصون التي تغطي الحدود الجنوبية للبلاد بطول يزيد عن 2000كم[2]، كما لا بد من الإشارة إلى أن الازدهار الذي شهدته شمال إفريقيا في زمن السيفيريين، يبدو أنه لا مثيل له في كامل الإمبراطورية، وكان هذا الازدهار مصحوبا بتطور مكثف للحياة الحضرية وهو ما دل عليه عدد المدن الذي بلغ 500 مدينة مقابل 60 في بلاد الغال.[3]

والأكشاك المخصصة لتجارة المواد الغذائية وتكون محاطة بجدران مبطنة بأروقة. ينظر: Hamdoune (Ch.), op.cit, p- 27.

[1]- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.)… et autre, op. cit., p- 155.
[2]- de Visscher (F.), op.cit., pp- 36- 37.
[3]- Ibid, p- 38.

خـــاتـــــمة

خاتمة:

يمكننا بعد دراسة موضوعنا الموسوم بواقع الأفارقة في الإدارة الرومانية خلال القرنين الثالث والرابع ميلادي، وعنينا بدراستنا هذه أهم المنافذ التي جعلها الافارقة كطريق لهم للوظائف المختلفة، ثم حاولنا بعدها إبراز الأثر الذي حققه هؤلاء، الخروج بمجموعة من الاستنتاجات نسردها فيما يأتي:

- سعت روما من أجل رومنة المجتمع الإفريقي بفرضها لسياسات مختلفة تعددت مجالاتها، وحاولت تطبيقها لإدارة المقاطعات التي سيطرت عليها في شمال إفريقيا، وكان للسياسة التمديينة دور هام في نشر الرومنة، لأن المدينة كانت بمثابة الخلية الأساسية للنظام الروماني سياسيا، اقتصاديا ودينيا على حد تعبير "بن عبو"، وتشرب المقاطعات للثقافة الرومانية سار جنبا إلى جنب مع عملية التحضر.

- قامت السياسة التمدينية لروما على ركائز أساسية منها تأسيس البلديات التي اقتضت الإدماج التدريجي للمجتمعات الحضرية الخاضعة لسلطة روما، والذي بدوره يقتضي تخلي البلدة عن دستورها الخاص والاندماج الكلي في القانون الروماني، إضافة إلى تطوير المدن التي كانت تمثل السند الحقيقي لسياسة الأباطرة، الذين سعو لتنميتها وتطويرها في جميع المجالات.

_ عمد الرومان إلى اتباع سياسة أخرى كانت محل قبول من قبل الأفارقة، والتي كانت هي الأخرى سبيلا لهم للارتقاء الاجتماعي، وهي سياسة منح الوظائف والمناصب التي تعددت مجالاتها وشملت وظائف عسكرية، سياسية، مدنية، إدارية قضائية و دينية، تعددت فيها المهام وتنوعت من فترة إلى أخرى، غير أن هذه الوظائف لم تكن كرما من روما بل ارتبطت بمجموعة من الشروط التي أثقلت كاهل الإفريقي قبل وبعد الحصول عليها.

- عملت روما على غرار منحها للوظائف على فرضها للهياكل الإدارية الخاصة بها، لتكوين نخبة محلية تهيمن على الحياة المدنية، متمثلة في المجلس البلدي الذي يعد صورة مصغرة عن مجلس الشيوخ في روما، والجمعية الشعبية المسماة بالكوريا والتي فرضت عليها مهمة التسيير والإدارة والانفاق على المشاريع المختلفة.

- اتخذ الرومان من سياسة الترقيات الفردية والجماعية سبيلا آخر لإنجاح عملية الرومنة، فبعدما كانت المواطنة الرومانية تمنح للأفراد وعائلاتهم وفق شروط معينة منذ عهد يوليوس قيصر، انتقلت منذ القرن الثاني للميلاد لتشمل مدنا بأكملها، لتأخذ منحى آخر مع دستور كركلا سنة 212م، فعممت على كامل رعايا الإمبراطورية الرومانية.

- أكدت مختلف المصادر الأدبية والمادية أن دخول الأفارقة إلى العالم السياسي والإداري الروماني لم يكن وليد القرنين الثالث والرابع، بل تعود جذوره إلى القرنين الأول والثاني للميلاد، وهو ما دلت عليه العديد من النماذج التي كان لها دور في إدارة المقاطعات الإفريقية، وتحقيق عدة إنجازات بسخائها الذي يعود الفضل فيه إلى الثروات التي امتلكتها.

- استغل الأفارقة التجنيد في صفوف الجيش الروماني كسبيل لهم إلى الارتقاء في الوظائف العسكرية والإدارية، حيث ازداد عددهم وأصبحوا يشكلون الأغلبية، خاصة مع القرن الثالث في ظل حكم الأسرة السيفيرية، وهو ما دلت عليه العديد من الشواهد المتمثلة في النقائش العسكرية والجنائزية.
- اعتبر المجال الاقتصادي القائم على الزراعة، التجارة، الصناعة والحرف منفذا آخر إلى هرم السلطة الرومانية، فقد اعتمد الإفريقي على هذه المصادر كأساس لكسب الثروة التي تمكنه من الدخول في المجالس البلدية ومنها الارتقاء في المناصب، الذي اختلف من شخص إلى آخر بحكم الثروة التي تباينت بين هؤلاء.
- عُدت الزراعة مكسبا حقيقا لامتلاك المال نظرا للثروة الزراعية الهائلة التي شهدتها إفريقيا بجميع أقاليمها، إذ عرفت بمزارع الكروم والزيتون والحبوب، وقد عرفت مساهمة المزارعين الأفارقة في تحقيق الازدهار الذي عرفته إفريقيا منذ القرن الأول ميلادي، أما النجاح العظيم الذي شهدته منتجاتها خلال القرن الرابع ميلادي، فقد أثبته مدى الحفاظ على الازدهار الزراعي والاقتصادي عموما في إفريقيا.
- حاولت روما استمالة كبار الملاك لسياستها من أجل الاستفادة من خدماتها، لتأخذ دورها المتمثل في التحكم بالقبائل التي لا طالما خشيتها الإمبراطورية الرومانية لما عرفت به من انتفاضات وثورات تمردا عليها، وحظي الملاك بدورهم بالقيادة وأخذ مناصب مختلفة، كما نقلت إليهم ملكية الأراضي التابعة لقبيلة بأكملها، لتصبح ملكا لهم وبهذا قويت شوكتهم وخدموا مصالح روما في المنطقة، إلا أن هذه الخدمات لم تكن دوما لصالح روما، وهو ما دلت عليه ثورة جيلدون الذي انقلب على الرومان وقطع مدهم بالقمح، ما أثار غضب روما لتعلن عليه الحرب وتقضي عليه.
- استغلت الأرستقراطية المحلية التجارة كمصدر للربح، بعدما تطورت خاصة في المناطق البعيدة عن البحر، إذ صدروا الإنتاج المتزايد الناتج عن الثروة والتنمية الزراعية، وهو الأمر الذي مكن الأفارقة من تجاوز الحد الأدنى من المتطلبات لدرجة كبيرة، بلغوها من خلال جني أرباح بتسويق منتجاتهم تمكنوا بفضلها من ولوج عالم السلطة الرومانية.
- كانت الصناعة والحرف هي الأخرى طريقا للأفارقة إلى الوظائف والترقيات الاجتماعية، وقد أثبتوا الجدارة في العديد من الصناعات التي لاقت إقبالا كبيرا لتصديرها إلى روما، واشتهرت ورشات صناعية وصناع عكست شهرتهم العلامات التجارية التي عثر عليها منقوشة على صناعاتهم أو دلت عليها مشاهد الفسيفساء في روما، وهو ما يؤكد أنهم كسبوا ثروة هائلة فتحت لهم السبل إلى الوظائف.
- كان لصعود الأفارقة سلم الوظائف تأثير لم يقتصر على بلدهم بل تعداه إلى التأثير على كامل الإمبراطورية الرومانية، فكان لهم وقع حيثما حلوا وعلى أي مجال شغلوه، إذ أثبتوا جدارتهم بين الرومان وبين جميع الشعوب.

_ حملت روما الأفارقة عبئ تولي الشؤون الإدارية، فحملوا على كاهلهم المسؤولية الإدارية والسياسية، سواء في شمال إفريقيا أو غيرها من المقاطعات التابعة للإمبراطورية وحتى في روما، فارضة عليهم التزامات سطرت نصوصها التشريعات الإمبراطورية، حيث أصبحت مسؤولية تحقيق العدالة، الإشراف على مشاريع البناء والترميم، المشاركة في السفارات البلدية وغيرها من المهام المنوطة إليهم تشكل عبئا كبيرا، الأمر الذي دفع الكثير منهم للفرار من المجالس البلدية والتوجه إلى الأرياف والاستقرار بها.

- ساعد تولي الأفارقة لشؤونهم الإدارية والسياسية في الحصول على الاستقلال الإداري، مما ساهم بشكل كبير في قيامهم بالدفاع عن أقاليمهم ومدنهم لدى الحكام والأباطرة، وهو ما ساعد في تطويرها وترقيتها والعمل على ازدهارها، حتى في ظل أزمة القرن الثالث والمشاكل التي ظهرت في جزء كبير من المقاطعة حتى خلال حكم الأسرة السيفيرية، إذ كان أغلب الأفارقة غير راضين بالهيمنة الرومانية، فكان لهم تأثير كبير على الوضع السياسي بشمال إفريقيا.

- كان تأثير الأفارقة في المجال الاقتصادي قد بدت معالمه واضحة، خاصة في فترة أزمة القرن الثالث التي لحقت بروما، ولم تمس إفريقيا التي كانت متمورة روما آنذاك، ولكثرة الطرق التجارية التي كانت تنقل السلع من المقاطعات الإفريقية من كل الجهات إلى روما، مما جعل المؤرخين يأتون بعبارة "كل الطرق تؤدي إلى روما"، العبارة تشير إلى مدى استنزاف الرومان للثروات الإفريقية باختلافها، وبهذا يمكن القول أن الأفارقة كان لهم تأثير على إفريقيا بتطويرها اقتصاديا، وعلى روما لكونها وريدها الاقتصادي قبل وأثناء الأزمة.

- ساهم الأفارقة بعد دخولهم المجالس البلدية في تحسين الوضع الاجتماعي بالإمبراطورية الرومانية، وذلك بسعيهم إلى القيام على المشاريع التنموية للمجتمع، بتوليهم مسؤولية إنشاء المرافق العمومية، إنجاز الطرقات، إصدار تشريعات تخدم المجتمع بترقيته وترقية المدن التي يقطنها، فيسعون إلى التشهير بها لدى الحكام والأباطرة لنقلها من وضع أدنى إلى وضع أحسن.

- اعتمد التأثير الإفريقي الثقافي على عوامل عدة، تمثلت في النخبة المثقفة ومؤلفاتها التي كان لها انعكاس على العديد من الجوانب سواء الأدبية، بإحياء الأدب اللاتيني بعد الركود الذي شهده، أو على الجانب الديني خدمة للمسيحية والكنيسة الإمبراطورية، وتميزت بعض المؤلفات بالدفاع على إفريقيا ضد الاحتلال الروماني، والذي برز في كتابات الكثير من الأفارقة، كما عملوا على إنشاء مراكز ثقافية شجعت على نشر العلم، كالمكتبات التي كانت تحوي مؤلفات في مجالات مختلفة.

- اعتبر تبني الأفارقة للثقافة الرومانية بما فيها لغتها، خدمة لمصالح روما المتمثلة في نشر الرومنة بشمال إفريقيا، وفي الوقت ذاته اعتبر انتصارا للإفريقي عندما حقق بها مكاسب مختلفة، أبرزها الترقية الاجتماعية والحصول على وظائف حتى في البلاط الإمبراطوري.

- أحدثت مؤلفات النخبة الفكرية الإفريقية ضجة كبيرة، بدفاعها عن المسيحية وبهذا خدمت الكنيسة الإمبراطورية، إلا أنها كانت تسخط على الاحتلال الروماني في ثنايا هذه المؤلفات.
- خدم الأفارقة الذين كانوا يعملون في الوظائف الدينية بني جلدتهم بالتوسط لهم من أجل الحصول على وظائف، كما سعى الأرستقراطيين الأثرياء خدمة للدين على إنشاء المراكز الدينية من كنائس، بازيليكا، ومعابد، بتقديم ما سمي بالهبات التي دلت عليها العديد من الشواهد الأثرية.

الببليوغرافيا

المصادر:

أ- الأثرية

- Corpus inscriptionum Latinarum.
- Inscriptions Antiques du Maroc.
- Inscriptions Latines de l’Algérie.
- L’année Epigrafique.

2- المراجع باللغة العربية:

أ- المؤلفات:

- الناصري أحمد علي، تاريخ الإمبراطورية الرومانية (السياسي والحضاري)، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991.
- بن ميس عبد السلام، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصوريةوتطبيقاتها)، ط2، الرباط، 2010.
- بيكار جيلبار شارل، حضارة شمال إفريقيا (تريبوليتانيا- البروقنصلية- نوميديا- موريطانيا) خلال الفترة الرومانية، تر. محمد العربي عقون، ط1، المثقف للنشر والتوزيع، 2020.
- شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر. محمد مزالي وآخر، ط 4، الدار التونسية للنشر، 1983.
- شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق. م- /40م)، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- شنيتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في احداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- محمد البشير شنيتي، دراسات في التاريخ والآثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2017.

ب- الدوريات والمجلات (المقالات):

- بشاري محمد الحبيب، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، ع20، جامعة وهران، 2013.
- بن دوبة شرف الدين، المواطنة (مفهوم وتاريخ)، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع2، 2013.
- توفيق حموم، المنظومة الدينية لمجتمع مدينة سيرتا أثناء الاحتلال الروماني، مجلة العلوم الاجتماعية، ع22، 2016.
- بوذراع سفيان، المراكز الدفاعية لسيرتا (قسنطينة) للعهد الكونفدرالي في الفترة الرومانية –قراءة في النشأة والتطور-، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، م 9، ع 1، 2023.

3- المراجع باللغة الفرنسية:

أ- المؤلفات:

- Aounallah Samir, Pagus, Castellum, et civitas études d'épigraphie et d'Histoire sur le village et la cité en Afrique Romaine, ausonius editions, Paris, 2010.
- Berthier André, Tiddis cité Antique de numidie, Diffution de boccard, paris, 2000.
- Bassignano Maria Silva, Il flaminato nelle province Romane dell' Africa, Copyright, Roma, 1974.
- Bertrandy François, Demarolles Jeanne-Marie, L'empire Romain de 192 à 337 après J.-C., ellipses, Paris, 1998.
- Boeswillwald (F.) et Cagnat (R.) et autres, Timgad une cité Africaine sous l'empire Romain, Paris, 1905.
- Bonnet (C.), Lançon (B.), L'empire Romain de 192 à 325 du Haut-Empire à l'antiquité tardive, éditons ophrys, 1997.
- Chastagnol André, Le sénat romain à l'époque impériale. Recherches sur la composition de l'assemblée et la statut de ses membres, paris, 1992.
- Christol Michel, L'empire Romain du III siècle Histoire politique (de 192, mort de commode, à 325, concile de Nicée), éditions errance, paris, 1997.
- Decret François, Fantar Mhamed, L'Afrique du Nord dans l'antiquité Histoire et civilisation (des origines au V siècle), Payot, Paris, 1981.
- Francois Jacques, Le privilège de liberté politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'Occident romain (161- 244), école Française de Rome, Roma, 1984.
- Francois Jacques, Les cités de l'occident Romain du I siècle avant J.-C.au VI siècle après J.-C., les belles lettres, 2012.
- Hugoniot Christophe, Rome en Afrique de la chute de Carthage aux débuts de la conquête arabe, édition Flamarion, paris, 2000.
- Lassèr Jeane Marie, Manuel d'épigraphie Romaine, T 2, Picard, Paris, 2007.
- Lassèr Jean-Marie, Vbique populus, peuplement et mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap), Préfqce de Marcel Le Glay. Paris : édition de Centre National de La Recherche Scientifique, 1977.
- Lepelley Claude, Les cites de L'Afrique Romaine au Bas-Empire La permanence d'une civilisation municipale, Tome 1, etudes Augustiniennes, Paris, 1979.
- Monceaux (P.), Les Africains étude sur la littérature latine d'Afrique les païens, Lecène, oudin et cle, paris, 1894.
- Monceaux Paul, Histoire littéraire de L'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu' a l'invasion arabe, T 3, Ernest leroux, paris, 1905.
- Montagne Geoffroy, «Amator Civitatis » les notable municipaux en Numidie (II Siècle ap. J.-C.- IV Siècle), lettre de master, département Histoire, Université de Pau et des pays de L'Adour, France, 2013.
- Mrabet Abdellatif, Thysdrus/ El Jem site, monuments et parc archéologue, contraste editions, Tunis, 2021.
- Nacera Bensddik, Les troupe auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie césarienne sous le haut-empire, Société nationale d'édition et de diffusion 3, Bd zirout youcef, Alger 1978.
- Prévot Françoise, Jean-Louis Voisin, Philippe Blaudeau, Leila Najar, L'Afrique Romaine 69- 439, Edition : Philippe Lemarchand et Michèle Mirroir, Atlande, 2006.
- Roman Yves, Le Haut-Empire Romain 27 av. J.-C. – 235 ap. J.-C., ellipes paris, 1998.
- Warmington (B. H) et autre, Inscriptions of the Roman Empire AD 14- 117, édition 2, Cambridge university Press, 2023.
- Yann le Bohec, Histoire de l'Afrique Romaine 146 avant J.-C. – 439 apres J.-C., édition Picard, paris, 2013.
- Yann Le Bohec, L'armée Romaine dans la tourmente une nouvelle approche de la « Crise du IIIe siècle » L'art de la Guerre, Edition du Rocher, 2009.

- Yanne le bohec, La vie quotidienne des soldats Romains à l'apogée de l'empire 31 avant J.-C.-235 après J.-C. L'art de la guerre, Éditions Tallandier, 2020.
- Yves Roman, le Haut-Empire Romain 27av. J.-C.-235 ap. J.-C. Ellipses édition marketing S.A., 1998.

ب- الدوريات والمجلات (المقالات):

- باللغة الأجنبية:

- Amraoui Touatia, Les artisans africains : étude sociale et organisation du travail, A.A, n° 52, 2016.
- André Lecoq, le commerce de l'Afrique du Nord sous la domination romaine, L'echo de l'Oranie 340, 2012.
- Benabou Marcel, Anomalies municipales en Afrique romaine, In : Ktema : Civilisation de l'orient, de la Grèce et de Rome antiques, N°6, 1981.
- Benzina Ben Abdallah Zeineb, Mourir a ammaedara épitaphes Latines Païennes inédites d'Ammaedara (Haïdra) et de sa région, Sandhi Ortacesus, 2013.
- Beschaouch Azedine, Uzappa et le proconsul d'Afrique Sex. Cocceius Anicius Faustus Paulinus, In : M. A. H, tome 81, n° 1, 1969.
- Beschaouch Azzedine, Le Mystérieux Quintus Aradius Rufinus, Cnsulaire africain, In : bulletin de la société nationale des antiquaires de france, 1976, 1978.
- Blandine Colot, Lactance, nouvel auctor, et les témoignages païens du monothéisme, Revue de l'histoire des religions [En ligne], 4|2019, mis en ligne le 01- 01- 2023, consulté le 02- 07- 2024. URL : http ://journals.openedition.org/rhr/10230.
- Briand-Ponsart Claude, Les « lancers de cadeaux » (missilia) en Afrique du Nord romaine, In : A.A, 43,2007. L'Afrique du Nord de la protohistoire à la conquête arabe, 2007.
- Cagnat René, Les bibliothèques municipales dans l'empire romain, In : M. I. F, tome 38, 1e partie, 1909.
- Camps (G.), «Aradion », E. B (en ligne),6] 1989, mis en line le 1- 12- 2012, consulté le 26- 1- 2024.
- Camps Gabriel, Rex gentium Maurorum et Romanorum. Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles [Recherches royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles]. In : A.A, 20,1984.
- Carcopino Jérôme, Note sur un fragment épigraphique récemment découvert à Constantine. In : Comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et Belles- Lettres, 58 année, N. 1, 1914.
- Chaouali Moheddine, Les nundinae dans les grands domaines en Afrique du Nord à l'époque romaine, In : A.A, 38-39,2002.
- Chapot Frédéric, Les grandes orientations des travaux sur l'Octavius de Minucius Felix. remarques sur trente ans de bibliographie, In. V. L, N°150, 1998.
- Chastagnol André, Expositio totius mundi et gentium (Édition, traduction, commentaire), par Jean Rougé, Collection Sources chrétiennes, n° 124.. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 24e année, N. 2, 1969.
- Christian (S.), La continuité des familles sénatoriales Romaines (Ier- Ve s), In : Ktema : civilisation de l'orient de la Grece et de Rome antiques, N° 30, 2005.
- Corbier Mireille, L'aeraium satumi et l'aerarium militare. administration et prosopographie sénatoriale, Rome : M. F. R, 1974, PP. 3- 972 (Publications de L'Ecole Française de Rome.
- de Laet Sigfried J. Note sur deux passages de l'Histoire Auguste. In: L'antiquité classique, Tome 13, fasc. 1, 1944.
- De Luis Esmeralda, El limes Romano de Àfrica VII- Castellum Tidditanorum (Tiddis- Argelia), archivos de la frontera, N21, 2014.

- de Visscher Fernand, La Constitution Antonine et la dynastie africaine des Sévères, In : bulletin de la Classe des lettres et des sciences morales et politiques, tome 47, 1961.
- Desanges Jahan, Bassignano (M. S.), Flaminato nelle province romane del l'Africa. In : revue belge de philologie et d'histoire. Tome 53. Fasc. 4, 1975. Histoire (depuis Antiquité) geschiedenis (sedert de Oudheid).
- Drici Salim, Zettara, Arascal, Sila, Sigus, masterense et du territoire s'étendant de Cirta a Thibilis (confédération cirttéenne) durant l'époque romaine, Revu d'études archéologiques, volume 9, N°1, 2011.
- Ennabli Abdemjid, L'art romain en Afrique du Nord son avenir, dans le Revue du patrimoine mondial, N° 16, 2000.
- Filah M. el Mostefa et Amrous Farida, Castellum tidditanorum tiddis, Quintus Lollius Urbicus et sont mausolée, Revue d'études archéologiques, Volume 19, N°1, 2021.
- François Bérard, Epigraphie Latine du monde Romain, Annuaire de E. P. H. E, section des sciences historiques et philologiques, PP- 170- 179. P- 172. (En ligne), 150- 2019, Mis en line le 11 juin 2019, Consulté le 16 Novembre 2023. URL :http://journals.Openedition.Org/ashp/2988; DOI http ://doi.org /10.4000/ash.
- Gascou Jacques, Pagus et castellum dans la Confédération Cirtéenne, In : A.A, 19,1983.
- Gerard Coulon, Les bibliothèques Publiques dans L'Empire Romain, Revue l'archéologue. Archéologie Nouvelle, n° 72, 2004.
- Gsell (S). Carcopino (J), La Base de M. Sulpicius Felix et le décrets des décurions de sala. In : M. A. H, tome 48, 1931.
- Gsell Stéphane, La Tripolitaine et le Sahara au IIIe siècle de notre ère, In : Mémoires de l'institut national de France, tome 43, 1e partie, 1933.
- Hamdoune Christine, les macella dans les cités de l'Afrique romaine, In : A.A, 45, 2009.
- Hoerni Caroline, « Place et représentation des femmes dans les structures civiques des provinces de l'empire », Cahiers « Mondes anciens » [En ligne], 2 | 2011, mis en ligne le 20 - 07- 2011, consulté le 17- 02- 2023. URL : http ://journals.openedition.org/mondesanciens/478.
- Houcine Jaïdi, Etre notable au Maghreb. Le patronat des cités dans les provinces romaines d'Afrique, expression de l'allégeance et facteurs de la territorialisation, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, Tunisie, 2006, mis en ligne 18- 12- 2014, consulté 2- 4- 2023. http://books.Openedition.org/irmc/312
- Hugoniot Christophe, Les cités de l'Afrique Romaine Au Bas-Empire les curies et l'évasion des notable municipaux, AnTard, N° 26, 2018.
- Huntzinger Hervé, La Citoyenneté romaine impériale, journée de formation « enseigner la citoyenneté dans l'Antiquité grecque et romaine », 2015.
- Kotula Tadeusz, Michalak M, Les Africains et la domination de Rom, In : D. H. A, Vol. 2, 1976.
- Iiro Kajanto, The latin cognomina, helsinki- helsingfors, 1965.
- Laporte Jean-Pierre, Nubel, père de Sammac*, Firmus, Gildon*, etc. », E. B [En ligne], 34 | 2012, document N72, mis en ligne le 15 décembre 2020, consulté le 5- 2- 2024. URL : http :// journals openedition.org/encyclopedieberbere/2763.
- Lassère Jean-Marie, Biographie d'un centurion (C.I.L., VIII, 217-218). In : A.A, 27,1991.
- Lassère Jean-Marie, Griffe Michel, Le moissonneur de Mactar [À la mémoire d'André Chastagnol, récemment disparu, qui avait publié dans V. L. une introduction à l'épigraphie]. In : V. L, N°143, 1996.
- Le Bohec Yann, De Sila a Gadiaufala : urbanisation et municipalisation dans la Numidie Cirteenne méridionale, publications de M. F.R, 1990.
- Lepelley Claude, Hilaire Yves-Marie, Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, étude Francehistoire municipale, In : Revue du Nord, tome 59, n°235, Octobre-décembre 1977.

- Lequément Robert, Le vin africain à l'époque impériale, In : A.A, 16, 1980.
- Mahjoubi (A.), Le régime des notables dans la cité antique, https ://www.leaders.com.tn/article/26936- mis en ligne le 20- 04- 2019, Consulté le 28- 08- 2022.
- Mahjoubi Ammar, Ville et structures Urbaines de la Province Romaine d'Afrique, 2 édition, centre de Publication universitaire, Tunis, 2011.
- Mattingly David, Libyans and the 'limes': culture and society in Roman Tripolitania. In : A.A, 23,1987.
- Maurice Euzennat, et autre, Inscriptions antiques du Maroc, 2. Inscriptions latines. Paris : Éditions du centre national de la recherche scientifique, 1982. Pp. 5-469. (Études d'antiquités africaines).
- Michel Christol, À propos des Anicii : Le IIIe Siècle, M. F. R, 1986.
- Michel Christol, Thugga et Thibursicum Bur, In : A.A, 14, 1979.
- Modéran (Y.), Gildon, les Maures et l'Afrique, In : M. F. R. Antiquité, tome 101, n°2 1989.
- Modéran (Y.), Gildon», E. B [En ligne), 20 | 1998, document G49, mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 5 -2- 2024. URL : http ://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1928.
- Monat Pierre, Lactance, L'homme et l'œuvre, In : V. L, N° 130-131, 1993.
- nglebert Hervé, Arnobe et l'histoire de Rome, In : A. N. A, cultures et paysages. Actes du colloque de Nantes (Mai 1996) Besançon : Institut des sciences et techniques de l'antiquité, 1999. Pp. 151-164. (Collection « ISTA ». 725).
- Oetelaar Taylor, Reconstructing the baths of Caracalla the 12th international symposium on virtual reality, archaeology and cultural heritage vast, 2011.
- Pflaum Hans-Georg, Remarques sur l'onomastique de Cirta, lims studien, Basel, 1957.
- Philippe Leveau, La situation coloniale de l'Afrique Romaine, In : annales economies, sociétés, civilisation. 33e année, N. 1, 1978.
- Ronin Marguerite, Travaux hydrauliques et consensus municipal en Afrique Romaine (IIe-IVe siècles). L'eau dans les villes du Maghreb et leur territoire à l'époque romaine, Hal Open Science, 2018.
- Rossignol Benoît, Le personnel administratif de la paye des soldats, ausonius éditions, 2014.
- Russo Adelaide, Ancora in tema di gens : Anicia e Appuleia, iura et legal systems, N°5, 2018.
- Speidel Michael P, Mauri equites, the tactics on light cavalry in Mauretania, In: A.A, 29, 1993.
- stelle Bertrand, «La mémoire des conquêtes tardo-républicaines sous Septime Sévère, un appui à l'appropriation et à la reconstruction de l'espace impérial, Interférences En ligne), 1312022, document 3, mis en ligne le 15- 9- 2023, consulté le 13- 07- 2024. URL : http :// journals.openedition.org/interferences/9575.
- Thouvenot Raymond, L'Afrique Romaine aux trois premiers siècles, In : journal des savants, 1960.
- Tlili Noureddine, Les bibliothèques en Afrique romaine, In : D. H. A, vol. 26, n°1, 2000.
- Trousset Pol, Le tarif de Zarai: essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne. In: Antiquités africaines,38-39,2002.
- Vallat Jean Pierre, Bulla Regia : les thermes memmiens : H. Broise, Y. Thébert, Recherches archéologiques franco-tunisiennes à Bulla Regia, II. Les architectures, 1. Les thermes memmiens. In : D. H. A, vol. 20, n°2, 1994. l'institut national de france, tome 38, 1e partie, 1909.

4- الرسائل والأطروحات الجامعية:

أ- باللغة العربية:

- بخوش زهير، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني دراسة تحليلية ومقاراناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية ب "أوراس"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه "علوم" في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2017.
_ فاضل لخضر، تبسة في العصور القديمة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 01، 2018.

ب- باللغة الأجنبية:

- Bond Sarah Emily, The epigraphic rise and fall of the civic patrona In Roman North Africa, a thesis submitted to the faculty of the university of north Carolina at Chapel Hill in partial fulfillment of the requirement for the degree of masters in the department of History, 2007.
- Pflaum Hans Georg, Les carrières procuratoriennes equestres sous le Haut-Empire Romain, thèse complémentaire pour le doctorat ès lettres de l'université de Paris, T. 2, paris, 1960.
- Ronin Marguerite, La gestion commune de l'eau dans le droit Romain. l'exemple de l'Afrique Romaine et de l'Hispanie (Ier siècle avant – Ve siècle après J.-C.), these en cotutelle doctorat en Histoire, université laval québec, Canada et université de Nantes France, 2015.

5- المواقع والروابط الإلكترونية:

- http://bibd.uni-giessen.de/papyri/images/pgiss-inv015recto-1600kb.jpg
- https://collections.louvre.fr/en/ark:/53355/cl010275883
- https://www.brepolsonline.net/doi/pdf/10.1484/J.AT.2.300815.
https://fr.m.wikipedia.org/wiki/Thermes_de_Caracalla#/media/Fichier%3ABaths_of_Caracalla%2C_facing_Caldarium.jpg.

الفهـــــــارس

فهرس الأعلام

-أ-

-ب-

-ل-

-ي-

فهرس المصطلحات

-أ-

-ب-

-ج-

-د-

-ر-

-ع-

-ف-

-ق-

-ك-

فهرس الأماكن والمواقع

-أ-

-ب-

-ز-

-س-

-ش-

-ط-

-ع-

فهرس الشعوب والقبائل

فهرس الشعوب والقبائل

فهرس الملاحق

فهرس المحتوى

ملخص:

يتمحور بحثنا حول فئة معينة من سكان شمال إفريقيا خلال الاحتلال الروماني، وهي الطبقة المرومنة من الأفارقة، التي طُرحت حولها تساؤلات عدة وبقيت محل جدل بين المؤرخين ولا تزال كذلك، برزت هذه الأخيرة منذ القرن الأول ميلادي بعد منح حقوق المواطنة الرومانية من طرف الإمبراطور يوليوس قيصر، لتتوالى بعده تحسين امتيازات الحصول عليها من قبل الأباطرة الرومان، الأمر الذي نتج عنه تزايد عدد الأفارقة المرومنين ودخولهم إلى عالم الإدارة والسياسة الرومانية، خاصة خلال القرنين الثالث والرابع ميلادي لعدة اعتبارات، أبرزها تولي الأسرة السيفيرية ذات الأصول الإفريقية، حكم الإمبراطورية الرومانية لمدة ما يقارب ثلاثين سنة، وتقديم بني جلدتهم على بقية الأجناس لتولي المسؤوليات المختلفة، ما دفع لتقوية شوكتهم وتزايدهم المستمر بعد الحصول على مناصب حساسة، استغلوها لخدمة بلدهم والعمل على تطويره في ظل السيطرة الرومانية، يهدف بحثنا إلى دراسة هذه الفئة وإبراز التحديات التي رفعوها للولوج في العالم الإداري الروماني، ومدى تأثيراتها على مقاطعة إفريقيا.

Abstract :

Our research focuses on a specific category of North African popule during the Roman occupation, namely the Romanized class of Africans, about which many questions were raised and which remained a subject of controversy among historians and still is. The latter emerged since the first century AD after the granting of Roman citizenship rights by Emperor Iulius Caesar, followed by the improvement of the privileges obtained by the Roman emperors, which resulted in an increase in the number of Romanized Africans and their entry into the world of Roman administration and politics, especially during the third and fourth centuries AD for several reasons, most notably the assumption of the rule of the Severian family of African origins by the Roman Empire for a period of nearly thirty years, and the presentation of their people over the rest of the races to assume various responsibilities, which led to the strengthening of their power and their continuous increase after obtaining sensitive positions that they exploited to serve their country and work to develop it under Roman control. Our research aims to study this category and highlight the challenges they raised to enter the Roman administrative world, and the extent of their effects on the province of Africa.